

# الكتب وجملات نظر

في الثقافة والمساواة والوضوح

Weghat Nazar - Volume 6 - Issue 68 - September 2004

مجلة شهرية - العدد الثامن والستون - السنة السادسة - سبتمبر ٢٠٠٤ - الثامن عشرة جنيهاً

دارفور.. من أشعل الحريق؟

حسن مكى - أليكس دي وال

من الحداثة إلى ما بعدها .. عصر النهايات

عبد الوهاب المسيري

الحل « الكروي » للطموحات الإسلامية

فرانكلين فوير

دروب لا تفضى إلى شيء ..

سلامة أحمد سلامة

فن الأكل



سبتمبر ٢٠٠٤

Per.  
306.089  
927

دلوقتى لأول مرة فى مصر  
اختار المدة اللي تناسبك  
مع خط البريمو من موبينيل



معاك طول السنة

أو

معاك لمدة ٦ شهور

من غير فواتير شهرية  
اشحن براحتك بـ easyGO  
والدقيقة بـ ٣٠ قرش بس!

**موبينيل**

بعد انتهاء مدة التعاقد يمكنك تجديد خطك  
أو التحويل لى نظام آخر (اشتراك شهرى أو الو)

شبكة المحمول الأولى فى مصر

الكتب  
وجهات نظر

في الثقافة والمسياسة والفكر

تصدر عن:

الشركة المصرية

للنشر

العربي والدولي



رئيس مجلس الإدارة

إبراهيم المعلم

رئيس التحرير

سلامة أحمد سلامة

رئيس التحرير الفني

حلمي التوسني

مدير التحرير

أيمن الصياد



## كتب العدد :

- ١- أحمد السيد النجار.. خبير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام  
التيكس دي وال.. مدير منظمة Justice Africa  
٢- إلهيريه دي.. رولاند.. محاضرة في تاريخ الفن والدراسات الكلاسيكية.  
أندرو سيمز.. مدير السياسات في مؤسسة الاقتصاد الحديث.  
٣- أيمن الصياد .. صفحتي  
٤- جيمس مان.. كاتب صفحتي بمركز الدراسات الاستراتيجية والدولية بواشنطن.  
٥- حسن مكى.. عميد مركز البحوث الأفريقية بجامعة أفريقيا العالمية بالخرطوم.  
٦- سعد القرش.. صفحتي  
٧- سلامة أحمد سلامة .. صفحتي  
٨- هيد الوهاب الصوري.. أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة القاهرة.  
٩- فرانكلين فوير.. صفحتي أمريكي.  
١٠- مات رينشيل.. صفحتي  
١١- محمد يحيى جمال.. مترجم مصري مقيم بأستراليا ومدرس الترجمة بمعهد سينس للتكنولوجيا.  
١٢- محمد يوسف عيسى .. باحث في التاريخ والشئون السياسية مقيم في إنجلترا.  
١٣- معتز غويدس.. نائب رئيس جامعة القاهرة للدراسات العليا والبحوث.

رسم العدد للفنانين :

محمد حجي - سعد الدين شحاته - أحمد الناب



يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على دعائم ورقية  
أو غير الحاسبات لكل أو بعض المقالات المنشورة أو أجزاء  
منها، بغض النظر عن كسبها من النشائر.



## المراسلات :

الشركة المصرية للنشر العربي والدولي  
٢ ميدان طلعت حرب، القاهرة، جمهورية مصر العربية  
ت : ٢٨٣٠٤٩٦ / ٢٨٣٠٤٩٦ / ٢٨٣٠٤٩٦ فاكس ٢٨٣٠٤٩٨ (٢٠٢)  
البريد الإلكتروني (التحرير) : info@alkotob.com  
الموقع على الإنترنت : www.weghanaz.com

## الاشتراكات :

السنة الواحدة (أشهر عشر معداً) شاملة أجرة البريد : داخل مصر : ١٠٠ جنيه مصري -  
التابع بريد عربي : ٦٠ دولاراً أمريكياً - أوروبا وأفريقيا : ٧٠ دولاراً أمريكياً - أمريكا  
وقندا : ٨٠ دولاراً أمريكياً ، باقي دول العالم : ١٠٠ دولار أمريكي .  
إدارة الاشتراكات : شارع سيوفيه المصري ، ص. ب. : ٢٢ البائناورا ، مدينة نصر  
هاتف : ٠٢٣٣٩٩ - فاكس ١٥١٥٦١ e-mail: wegah @ alkotob.com

## شمن النسخة :

في مصر : ١٠ جنيهات مصرية . السعودية : ١٥ ريالاً . الكويت : ١٠٠ دينار - الإمارات  
١٥ درهماً - مملكة البحرين : ١٠ دينار - قطر : ١٥ ريالاً - سلطنة عمان : ١٠ ريال - لبنان  
٥٠٠٠ ليرة - سوريا : ١٥٠ ليرة - الأردن : ديناراً ونصف - ليبيا : ديناراً - الجزائر : ٣٠٠ دينار  
- المغرب : درهماً - تونس : ديناراً - اليمن : ٣٠٠ ريال - فلسطين : ٢ دولارات .  
Austria , France, Germany and Italy: EURO 6 - United Kingdom £ 3 - USA \$5.

طبع بمطابع الشروق بالقاهرة

## محتويات العدد :

- ١- سلامة أحمد سلامة .....  
٢- «من الغزاة إلى الاعتزال.. دروب لا تقضى إلى شيء» .....  
٣- عبد الوهاب السبوري .....  
٤- «من الحداثة إلى ما بعد الحداثة.. عصر النهايات» .....  
٥- حسن مكى .....  
٦- «دارفور.. من أشعل الحريق؟» .....  
٧- اليكس دي وال .....  
٨- «جناية التاريخ والجغرافيا» .....  
٩- جيمس مان .....  
١٠- «خطة هرمجيدون.. ماذا لو انهارت القيادة الأمريكية؟» .....  
١١- من كتابه: Rise of the Vulcans .....  
١٢- فرانكلين فوير .....  
١٣- «الحل الكروي لمطوحات الإسلامية» .....  
١٤- How Soccer Explains the World، تأليف: فرانكلين فوير .....  
١٥- سعد القرش .....  
١٦- «أفكار غائبة.. أو مفتعلة.. أو سطحية.. سينما بلا هوية» .....  
١٧- أندرو سيمز ومات رينشيل .....  
١٨- «جسارة العضلات» .....  
١٩- محمد يوسف عيسى .....  
٢٠- «إذا كان العالم كله مديناً.. فمن المدين؟» .....  
٢١- The Grip of Death، تأليف: مايكل رويثام .....  
٢٢- أحمد السيد النجار .....  
٢٣- «الشراء المزائف» .....  
٢٤- معتز غويدس .....  
٢٥- «الجامعات في عصر الجات.. ومستقبل التعليم العالي» .....  
٢٦- محمد يحيى جمال .....  
٢٧- «مؤتمرات كثيرة ولا حصاد.. العرب دُعاوا، في الترجمة» .....  
٢٨- «إنجليزي د.. رولاند .....  
٢٩- «فن الأكل» .....  
٣٠- Feast: A History of Grand Eating، تأليف: روي استرونج .....  
٣١- إصدارات جديدة .....  
٣٢- علاء الدين عبدالرحمن.. «سيناريوهات أمريكية للشرق الأوسط عام ٢٠١٥» .....  
٣٣- أيمن الصياد .....  
٣٤- قراءة: «الحيل المشددة» .....

# من المفزلة إلى الاعتزال

المرض والوهن، يصبح الاعتماد على الممرضة أو الطبيب أو القريب هو المصدر الوحيد للمقدرة أيًا كان نوعها.. القدرة على المشي والقدرة على الحركة.. حتى القدرة على أن تذهب إلى دورة المياه. أو تأكل أو تشرب، أو تتقلب في سريرك. يرقد الإنسان مثل نبات يتفنى ولكنه غير إرادة أو قدرة على الحركة.. في انتظار من يعيد ترتيب أعضائه وأوراقه، وإروائه بالمحالييل والسوائل إبقاء على نفثة من نضات الحياة في كيانه.



يطرق المرء دروب الحياة المختلفة ولكنه يصل عند هذه النقطة التي تتقطع به فيها السبل، مثل طرق الغابة الكثيفة التي يخطئ العابرون اكتشاف مسالكها. تأخذهم الحيرة كل مأخذ، وقد وصلوا إلى مفترق طرق، لا يحمل أية معالم، ولا يشي بأي اتجاه ولا ينبئ عن أي مسار أو عنوان. تشابهت الطرق وتقاربت، وازدوجت وتعادلت، فما يعرف المرء أين بدايته أو نهايتها. وتراوحت آثار أقدام الذين سبقوا بالسير فيها في اتجاهات متباينة، فلا تدري أنت ذاهب في اتجاه الشمال أم الجنوب، إلى الغرب أم إلى الشرق؟ إلى لحظات الميلاد الأولى أم إلى لحظات الموت والفناء والنهاية. وحينئذ فلا

حتى يسقط معلناً النهاية لنفسه ولن حوله.



لا شيء في حياة الإنسان يساوي تلك اللحظات أو الأيام التي يقدر له فيها أن تختزل عمره في حالة من العجز الكامل. يشعر المرء بعجزه تحت وطأة المرض وما ينشره في جسم الإنسان من ضعف ووهن وغياب القدرة على التحكم فيها كان يملك السيطرة عليه والتحكم فيه من أعضاء جسمه وعضلاته.. وتدرجياً تهرب المدركات والأشياء من الوعي ومن القدرة على التمييز والاستبصار والرغبة في التفكير. تختلط الحقائق وتتمسوه الظلال، ويصبح التعرف على أقرب الناس إليك مسألة خاضعة لأسرار ومعطبات في وظائف مخ الإنسان. تأتي وتذهب دون ضابط أو رابط.

العجز الإنساني بكل أشكاله هو العنوان الذي يدعج هذه الحالة الدرامية التي تستعصي على فهم الإنسان حين تفاجئه، فلا تترك له فرصة الإدراك والفهم. والعجز درجة من درجات الذل، بل لعله أصبح محوراً وأكثرها مهانة لكرامة الإنسان. فالعاجز لا يكون قادراً إلا بغيره.. وفي حضيض

والنبض وغيرها من المعدات والآلات التي تملأ المكان وضلاً النفس شعوراً بالرغبة والخوف والضيق أمام المجهول.. تنتقل من طمأنينة غرفتك في المنزل أو المكتب وما تعود عليه المرء من شخوص وأقوام ترضى عنهم أو تسخط عليهم، وما تخلعه عليك الألفة من سكينه، إلى عالم آخر تماماً في غرفة المستشفى.. وأنت لا تعرف على وجه التحديد أين تفضي بك الخطوة القادمة.. أين ينتهي الدرب.. أين تبدأ المسيرة نحو المجهول، وأين تتوقف، بل ومتى يتحول المرء إلى نقطة صغيرة سابعة في هذا الوجود اللانهائي مع ملايين الملايين من الأرواح والكائنات والذرات غير المرئية في ملكوت الله؟

هل هي النهاية؟ هل يقف الإنسان في قلب هذا البرزخ الفاصل بين الحياة والموت في انتظار القاطرة التي تقله إلى عالم الغيب؟

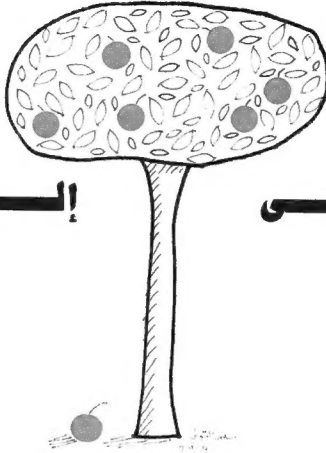
تجربة المرض الشديد الذي يضع المرء على الحافة بين الحياة والموت من أعماق وأقصى التجارب الإنسانية. كثيرون قد لا يَمرون بها وتنتهي حياتهم فجأة بسكتة قلبية أو سكتة دماغية، وهي نهاية مريحة بكل المقاييس، لا تضع صاحبها موضع الاختبار والمعاينة وانتظار المجهول، فالمرء في هذه الحالة يظل على قدميه يسعى في أرجاء الحياة

تستطيع أن تخترق دروب الحياة من الطفولة إلى الشيخوخة، صعوداً وهبوطاً، سعياً وشقاءً، نجاحاً وفشلًا حتى يفضي بك العمر إلى فراغ يصعب تحديده أو تعريفه.. كل منا يسلك طريقه الخاص به، وقد تبدو هذه الطرق متشابهة متوازية مبهمّة للعالم، ولكن يظل في النهاية لكل منا طريق خاص، يشعر بأنه من صنعه ومن أعماق تجربته التي تنسجها التفاصيل الصغيرة والكبيرة لحياته. ومع ذلك فما إن يصل المرء إلى هذه اللحظة الفارقة التي يخيل إليه أن الحياة قد أفضت به إلى لا شيء، إلى لا مكان، إلى نقطة الفراغ في لحظة من لحظات العمر حتى تتحول مسألة الوجود إلى سؤال كبير يقرر الوعي، ويستدير كل ما تجاهله المرء من شكوك وأوهام. ولا تقع هذه النقطة الجوفاء أو الثقب الأسود في حياة الإنسان إلا في لحظات الضعف والمرض والاقتراب من النهاية، حين يصبح الوجود المادي والعقلي للإنسان على شفا الانهيار الكامل، قبل لحظات النهاية بقليل.

وقد وجدت نفسي فجأة في قلب هذه النقطة، داخل ثقب أسود لا يفضي إلى شيء، مربوطاً إلى عشرات الأنابيب والمحالييل وأجهزة الأشعة وقياس الضغط والسكر

## دروب لا تفضى

## إلى شيء!



يعلم الإنسان بعد علم شيئاً،  
وحيثما تستطيع أن تستعيد مع أبى  
العلاء:

غَيْرُ مُجِدِّ فِي مِلَّتِيْ وَاعْتِقَادِيْ  
نُوحَ بِأَكْ وَلَا تَرْنَمُ شَاد  
وَشَبِيهَ صَوْتِ النَّعْيِ إِذَا قَبِيْ  
سَ بِصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادٍ  
أَبَكَّتْ لَكُمْ الْحَمَامَةُ أَمْ غَدٌ  
تَ عَلَى فَرْعِ غُصْنِهَا الْمِيَادِ  
وَقَبِيحُ بِنَا وَإِنْ بَعْدَ الْـ  
عَهْدِ هَوَانِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ  
تَحَبُّ كُلُّهَا الْحَيَاةَ فَمَا أَمَّ  
جَبَّ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي إِزْدِيَادِ  
إِنْ حُرْثًا فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ أضعاف  
سرورٍ فِي سَاعَةِ الْمِيَادِ



ربما يستعيد المرء بعض وعيه،  
فيستيقظ في ساعات باكرة على  
أصوات حركة تأتي من بعيد،  
علامة على أن الحياة لم تتوقف  
وما زالت تسرى في شرايين  
الوجود، وفي عروق المرض، تبعث  
الأمل وتجدد أسرار الحياة وتروى  
ظما الإنسانية إلى البقاء  
والخلود. وتعيد طرح الأسئلة التي  
أنهكت عقل الإنسان منذ الأزل:  
هل نحن كائنات عينية تأتي إلى  
الوجود وتذهب دون علة، أم أن ثمة  
حكمة لهذا الوجود نحن جزء منه  
ولبنة في بنائه.. كينونة الوجود  
الإنساني وعي الإنسان بذاته،

الحياة أكبر من قدرة الإنسان على  
إدراكها والإحاطة بها.



بين اليقظة والحلم.. بين  
هلوسات المرض ولحظات الوعى..  
بين المخزون الشاقب في دنيا  
اللا شعور ولحظات الانتباه.. بين ما  
كان المرء يتمنى تحقيقه وما عجز  
عن تحقيقه، تتراءى لى يعين  
الخيال قطعة أرض صغيرة خضراء،  
يحيط بها سياج من الخوص أو  
العشب. تناثرت فيها شجيرات  
مورقة لغواكه كنت أرقبها واستمتع  
بها حين كنا نذهب إلى القرية ونحن  
أطفال.. ترتفع في أرجاء الحديقة  
الصغيرة بعض أشجار النخيل،  
وتفترش جوانبها نباتات اللوبيا  
والطماطم والخيار وشجيرات  
الفلفل.. وقد كفت على العناية بها

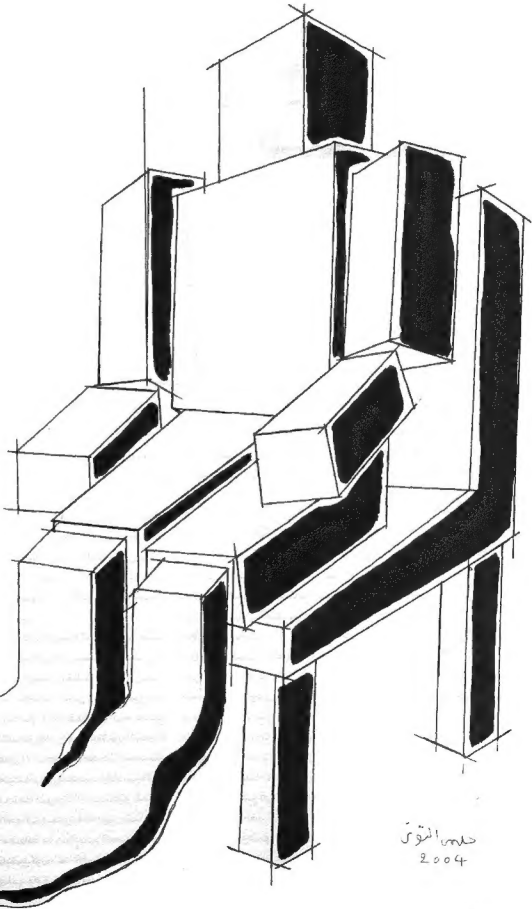
وتتقى الحشائش منها وريها.. هذا  
الحلم القديم الذى يراودنى بين  
الحين والحين، لا يلبث أن يتكرر  
كلما أوشكت أن أقدم استقالتى من  
عيب الحياة وأثقالها وهمومها،  
فى سنى الصبا والشباب لا  
يتوقف المرء طويلاً أمام أحلامه  
الصغيرة وأمنياته البسيطة، أمام  
شجرة رمان كان يعيشها أو جديلة  
كرم كان يأوى لها وقت الظهيرة، أو  
سويحات من اللعب والجرى مع  
رفاق الصبا كانت تملأ عليه حياته..

هذه أيام من العمر ذهبت، يمتد  
البصر إليها عبر السنين والأمكنة  
والأزمنة، ثم يرتد خاسماً إلى تلك  
الطرق الموحشة فى قلب غابيات  
كثيفة من مسالك الحياة الملتوية  
حوله. تفضى به المسيرة إلى ذلك  
«الثقب الأسود» مرة أخرى.. يتحدث  
الإنسان إلى نفسه: هل أن أوان  
الذهاب إلى عزلة الشيخوخة  
والوقوف عند السياج؟ إنها فى كل  
الأحوال علامة قاطعة على أن تعب  
الحياة قد تجتمع وتراكم عند نقطة  
فاصلة.. حق على المرء فيها أن  
يستمتع بما بقى فى العمر من  
لحظات قبل أن يسبق جرس  
الانصراف.. يرقب أبناءه وأحفاده،  
يطوف العالم، يفعل كما يفعل  
الوف اليابانيين والأوروبيين الذين  
يقضون ما بقى من حياة حافلة مع  
سن الشيخوخة دون ندم على ما فات  
أو انتظار لما هوأت. ■

سلامة أحمد سلامة

# من الحداثة إلى ما بعد الحداثة

❖ لا يمكن كتابة تاريخ بدون نموذج (في الواقع لا يمكن كتابة أي شيء، سوى قائمة المشتريات من البقال، بدون نموذج). فلو نظر الدارس إلى وقائع التاريخ بشكل موضوعي مادي متلقى كوقائع مستقلة الواحدة عن الأخرى، لراى أحداثاً متناثرة لا معنى لها على الإطلاق ولأمكنه أن يفرض عليها أي معنى يشاء. فلننظر على سبيل المثال إلى معلومة تاريخية مثل إن إنجلترا إبان الثورة الصناعية قد زادت إنتاجها بمعدلات «غير مسبوق» في تاريخ البشرية، رغم فقر إنجلترا من ناحية الموارد الطبيعية. يمكن أن نستنتج من هذه «المعلومة التاريخية»، أن الشعب الإنجليزي شعب موهوب، وأنه قادر على زيادة إنتاجيته من خلال التكنولوجيا وإدارة مجتمعه بطريقة حديثة، وأنه من خلال كل هذا حقق ما يسمى بالتراكم الرأسمالي. ولكن لو وضعنا هذه المعلومة في سياق أوسع لاختلفت الصورة تماماً. فمثلاً إذا وضعنا الثورة الصناعية في سياقها الاجتماعي ونظرنا إلى عمليات الاستغلال غير الإنسانية التي لحقت بالطبقة العاملة البريطانية والظروف القاسية التي كان يعمل فيها الأطفال والنساء الحوامل والمدن الصناعية القبيحة التي كانت تحول الإنسان إلى مجرد طاقة إنتاجية، وكمية التلوث الذي سببته الثورة الصناعية، فإن رؤيتنا ستختلف قليلاً. وإذا وضعنا الثورة الصناعية في سياقها العالمي لاختلفت الصورة تماماً. فنحن نعرف من كتب التاريخ أن مجموع ما نهته إنجلترا من الهند وحدها يفوق كل ما أنتجته إبان الثورة الصناعية! أي أن التراكم الذي حدث في إنجلترا لم يكن تراكماً رأسمالياً



حلي التوي  
2004

# عصر النهضة !!

## عبد الوهاب المسيري

والإجراء مقابل الانفلات والإشباع المباشر. التراكم مقابل التبدد. الإنفاق، الدولة مقابل السوق. وهي نتائج صلبة تعكس ثنائية الإنسان والطبيعة. فالطرف الأول من الثنائية (الإنتاج والنفعة والتحكم والإجراء والتراكم والدولة) يفترض وجود مركز لكون (إنساني أو طبيعي)، أي أنها تعبير عن العقلانية المادية. أما الطرف الثاني (الاستهلاك والمدة والأفلات والإشباع المباشر والتبدد والسوق) يفترض انعدام الحدود وغياب المركز. ومن ثم تتساوى كل الأشياء وتختفي الثنائية لتتحل محلها سوية شاملة، وتختفي المادية القديمة لتحل محلها المادية الحديثة. وتختفي العقلانية المادية لتحل محلها اللاعقلانية المادية. تكل هذا وجدنا أن التقسيم الثنائي له مقدرة تحليلية وتقديرية عالية.

ومع هذا يجب أن نشير إلى أننا ندرك تماماً أن الظواهر التاريخية، بكل تنوعها وتكرارها، لا يمكن اختزالها ببساطة إلى مرحلتين، لأن التقسيمات الثنائية بسيطة ومفرية. ورغم أننا قسمنا تاريخ الحضارة الغربية (العقلانية الحديثة) إلى قسمين اثنين: (مرحلة التحديث العلمية التحقيقية ومرحلة ما بعد الحداثة السائلة الفردوية) فإننا ندرك تماماً أن تقسيماتنا هي وسيلة تفسيرية وحسب، وليس لها أي وجود مادي. فهي ليست انعكاساً مباشراً، لواقع الموضوعي المادي، وإنما تعبير عن نموذج تفسيري وتحليلي نرى أن له قيمة تفسيرية وتفسيرية يمكن إختبارها، أي أننا نقوم بتشيد نموذجنا التفسيري، ونذكر أنه رغم تركيزنا إلا أنه أكثر بساطة من الواقع، وأنه مهما بلغ من تركيزه تظل هناك جوانب في الواقع قد أهملها وعشمتها لحساب جوانب أخرى أكدها وإبرزها.

وفي عرضنا لسمات كل من المرحلتين (وكذلك المرحلة الانتقالية)، سنفتناها إلى مجالات مختلفة، وقد بدأنا بمجال الاقتصاد المحدث ثم انتقلنا إلى المجالين السياسيين والاجتماعيين الأقل تحداً ثم المجال الدولي الأكثر عمومية ثم إلى المجال الفلسفي المجرد ومنه إلى المجال الأخلاقي وأسلوب الحياة، وهي مجالات خلافية يصعب الحديث عن مكوناتها وشارها بأي شكل من أشكال البقعة. ونصل في النهاية إلى عالم المنظومات الدلالية والجمالية والصور المجازية.

منتصف الستينيات. ولا يمكن تحديد تاريخ الظواهر الحضارية بالإشارة إلى يوم بعينه أو عام بعينه فهي تتطور بشكل يتجاوز مثل هذا التحديد الدقيق. ومع هذا يظل عام ١٩٦٥ اختياراً مناسباً في تصورنا، نقطة تركّز تقع داخل متصل طويل. وزعم إدراكنا وجود ثلاثة مراحل إلا أننا أقرنا أن نلتفت عن مرحلتين اثنتين لأن مرحلة الحداثة الاحتجاجية كانت مرحلة قصيرة للغاية ولم تكن سوى مرحلة التقاطعية بين الأولى والثانية، كما أن نموذج الحداثة الاحتجاجي ظل هامشياً. لذا احصنا مرحلة الحداثة بمرحلة التحديث، رغم أن لها استقلالها النسبي، وفراقتها الأكيدة.



وسنحاول في هذه الدراسة أن نستخدم نموذجاً تحليلياً واحداً مركباً، يضم الأبعاد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفلسفية، لتبين الاستقرار والانقطاع في تاريخ الحضارة الغربية الحديثة، وأن ثمة وحدة فضفاضة وراء كل الظواهر المتنوعة، أي أنها وحدة لا تُجِب التنوع، واستمرارية لا تُجِب الانقطاع والتحويلات النوعية. كما قمنا بتحليل الصور الجازية الأساسية وعقد مقارنة بينها لتبين دلالة كل منها وطبيعة المرحلة التي تعبر عنها هذه الصور. وقد لا حظنا وجود مجموعة من الثنائيات الأساسية التي تتحكم في المتتالية التحديثية التحقيقية (الإنتاج مقابل الاستهلاك، المنفعة، البرانية، مقابل اللذة، الجسدية، التحكم

الأولى، والتي يمكن أن نشير إليها بأنها مرحلة التراكم الإمبريالي.

٢. الحداثة: في هذه المرحلة أدرك الإنسان الغربي أن عصر التحديث البطولي قد ولّى وانقضى، وأن سيطرة الإنسان على الطبيعة وعلى نفسه لم تعد ممكنة، وبالتالي بدأ العالم المتمركز حول اللوجوس يتأكل، وهذه هي مرحلة الحداثة العنصرية وبداية ظهور اللاعقلانية المادية والمادية الجديدة، والتي تتمسك بالاحتجاج والغضب على إخفاق المشروع التحديثي، وتاريخياً هذه المرحلة تمتد من بعد نهاية الحرب العالمية الأولى حتى منتصف ستينيات القرن العشرين.

٣. ما بعد الحداثة: في هذه المرحلة يرضخ الإنسان الغربي تماماً لإدراكه إخفاق مشروع التحديث ولكنه بدلاً من أن يحن ويتردد فإنه يقبل بل ويحب. وهو موقف ترجم نفسه إلى عالم لا مركز (أو متعدد المراكز) ولكنه بدلاً من أن غير متمركز حول أي مطلق، وهذا العالم يتسم بالسهولة. وفي هذه المرحلة لا تزال في بدايتها ولم تتحد ملامحها بعد. ونحن نرى أنها بدأت في الستينيات. ولابد من التنبيه على أن المرحلة الثانية كاملة تماماً في المرحلة الأولى، فالتحقيق العاجل كان يتم باسم الاستهلاك الأجل، والقمع كان يتم باسم اللذة الموعودة في المستقبل، أي أن الانقطاع الاستهلاكي كان حتمية كامنة في كل النظم المادية مهما بلغت من نقش، ولغة حتمية لتسوية الفردوسية بعد مرحلة الصلاية البطولية (التحديث) أو العينية (الحداثة).

وقد تم اختيار عام ١٩٦٥ لا لأن شيئاً محدداً ملموساً حدث فيه، وإنما لأنه في

وإنما كان تراكماً إمبريالياً. وهكذا حين وشمنا المعلومة في سياقات مختلفة، محلية ودولية، فإنها اكتسبت أبعاداً كثيرة ومعنى مركباً محدداً. والنموذج التحليلي المركب هو الألية التي يقوم الدارس من خلالها بالربط بين المعلومة والسيقات والأبعاد المختلفة. والنموذج المركب يساعدنا على إدراك الفارق بين المتتالية الثنائية التحديثية المفترضة (التي يروجها دعاة التحديث) والمتتالية الفعلية التحقيقية. والمتتالية المثالية العلمانية التحديثية كان من المفروض أن تؤدي حلقاً إلى آخرى إلى نهاية سعيدة، سيطرة الإنسان على الطبيعة وعلى نفسه وتأكيد مركزيته المطلقة في الكون (الاستئثار والعقلانية المادية). ولكن هذه المتتالية كانت تحوى داخلها تناقضات النظم الواحدة المادية (تأليه الإنسان وتأليه الطبيعة في الوقت نفسه الذات الإنسانية مقابل الموضوع الطبيعي المادي. التكل مقابل الجزء. التجاوز مقابل الإنكسار والتكيف. المضي والتبات مقابل الحركة التي لا معنى لها). ولذا نجد أنه أثناء عملية التحقق التاريخي، عبرت هذه التناقضات تدريجياً عن نفسها، وأدركها الإنسان الغربي ثم حسمت في نهاية الأمر في التحليل الأخير، لصالح العنصر الثاني من المتتالية، وبدلاً من انتصار الإنسان، تم تفكيكه وزده إلى المبدأ المادي الواحد (الاستئثار المظلمة واللاعقلانية المادية). (البطولية) إلى واقع الحداثة (العنصرية)، ثم استقر الخلاف عند عالم ما بعد الحداثة (النسبي الجرمياتي). أي أن المتتالية المثالية المفترضة مختلفة تماماً عن المتتالية الفعلية التحقيقية.

وعملية التحقق شئت تدريجياً عبر ثلاث حلقات هي:

١. التحديث: في هذه المرحلة كان الإنسان الغربي لا يزال يتحرك في إطار المتتالية المثالية المفترضة، ولذا كان يحدهو الأمل في السيطرة على ذاته وعلى الطبيعة. ولذا فهو كان يرى أن العالم له مركز محدد هو الإنسان والمادة، فهو عالم لوجوسنتريك Loco-centric، عالم متمركز حول اللوجوس، أي متمركز حول مطلق ما، ونحن نرى أن العالم الذي له مركز هو عالم صلب. ومن الناحية التاريخية تقع حقبة التحديث منذ عصر النهضة في الغرب وما يسمى عصر الاكتشافات، حتى الحرب العالمية

## تمت عملية تحديث بقية العالم

### من خلال جيوش الإمبريالية الغربية،

### ثم ظهرت دول قومية تحاول إنجاز

### التحديث بسرعة (وكانت عملية

### التحديث تعنسى في واقع

### الأمر عملية تقريب)

ورغم تعاملنا مع هذه المجالات، كل على حدة وكأنها منفصلة الواحدة عن الأخرى، إلا أننا ندرک تماماً أنها مندمجة ومتداخلة ومتفاعلة ومتوازنة، وما يحدث في مجال ما، له في معظم الأحيان ما يقابله في مجال آخر. ففي الحديث عن المجال الاقتصادي تحدثنا عن البعد الاقتصادي في حد ذاته، ثم في علاقته بالنفس البشرية وعلافة كل هذا بالإعلام وعمليات تنميط السلع وتزياد الإحساس بالغترباب وهكذا. ونحن لا نرى أن هناك علاقة سببية بين مجال وآخر، فلا نقول إن العوامل الاقتصادية هي التي أدت إلى تغير الرموز، وأن التغيرات التي حدثت في المجال الفلسفي هي التي أدت إلى التغيرات التي حدثت في المجال السياسي، بل إننا نذهب إلى أن التحويلات حدثت بشكل متزامن في جميع المجالات ومن خلال تفاعلها، فكل عنصر هو سبب ونتيجة في ذات الوقت، دون أن نعطى أولوية سببية لنعصر على الآخر. وغنى عن الذكر أن تدخل المجالات وتوازنها يؤدي إلى التكرار.

وكل مجال ينقسم إلى قسمين: التحديد والحداثة (ويرمز له بالحرف أ)، وما بعد الحداثة (ويرمز له بالحرف ب).

وبإمكان القارئ أن يقرأ هذه الدراسة بطريقتين:

(أ) طريقة مقارنة، أن يقرأ القارئ كل ما ورد من المجال الاقتصادي (على سبيل المثال) فيقارن الجزء (أ) ثم الجزء (ب) ثم ينتقل بعد ذلك إلى المجال الذي يليه (وهذه هي الطريقة التي كتبنا بها الدراسة).

(ب) طريقة تكاملية، أن يقرأ العنصر (أ) في كل المجالات ثم يقرأ العنصر (ب).

## المجال الاقتصادي

(أ) الهدف النهائي من الوجود في الكون هو الإنتاج والزيادة المطردة للإنتاج. والإنسان في هذه المرحلة منتج أكثر من كونه مستهلكاً، واجبه الإنتاج ومكافأته الاستهلاك في حدود المعقول، وما يحرک الجميع هو مبدأ المنفعة المادية، فالمستهلك يبحث عن السلعة الضرورية التي تشبعه، والمنتج أيضاً يبحث عما ينفق المستهلك لينتجته فيحقق أرباحاً متزايدة. ولذا فلا بد من عملية قمع، فلو حركت اللذة البشرية في هذه المرحلة لتكانت كارثة، لأن المواطن سيستهلك أكثر مما ينتج، ولن يمكن ضبط الإنتاج والسلع. ولذا تسود في بداية هذه المرحلة أخلاقيات العمل البروتستانتية ويظهر الإنسان

الاقتصادي في الدول الرأسمالية، وهو نفسه الإنسان الاشتراكي (يطلق الإنتاج) في الدول الاشتراكية، وكلاهما تتحدد مكانته في المجتمع في إطار مقدار ما ينتج (لا ما يستهلك). ومن هنا التفتت والتراكم وزيادة الإنتاج والصناعة الثقيلة وديانات الاقتصاد الرشيد ومرحلة المركبات الثقيلة وتوحيد السوق القومية في البداية، ثم الرأسمالية الرشيدة والرأسمالية المالية أو المصرفية في غرب أوروبا والولايات المتحدة وظهور مفهوم السوق العالمية (وبداية ظهور ملامح الاستهلاكية والانفتاح وتحدي السوق والجنس للدولة القومية).

ويمكن في هذه المرحلة أن نتحدث عن «المستغلين، والمستغلين»، وعن عمال يتم استعمار فائض القيمة منهم، وعن طبقات متوسطة تحقق حراكاً اجتماعياً أو هبوطاً في السلم الاجتماعي والطبقي.

ومع هذا، لم يكن قد تم تحديث أوروبا تماماً حتى عام 1914، فالتقنيات معظم بلاد أوروبا كانت تضم قطعاً زراعياً كبيراً، وكان معظم السكان إما جزءاً من الاقتصاد الزراعي أو جزءاً من الصناعات الاستهلاكية والتجارة الصغيرة المحلية. وقد حققت الثورة الصناعية خطوات واسعة بعد عام 1890، وساهم التراكم الإمبريالي في الإسراع بعملية تحديث الغرب، ومع هذا ظل كثير من البنى الاقتصادية والثقافية القديمة التقليدية قائماً. وقد تمتعت

إنجلترا ثم الولايات المتحدة بمرکزية في النظام الاقتصادي العالي. وقد كان تاريخ شرق أوروبا (وبقية العالم) مختلفاً، ولكن الجميع لحق بالركب. فمرت مجتمعات شرق أوروبا بمرحلة مركبتالية نقضتية تراكيمية، مكثفة، وبدلاً من ديكتاتورية البيوريتات جاءت ديكتاتورية البوليتاريا، وبدلاً من الملكيات المطلقة والدول القومية المطلقة جاءت دولة الطبقة العاملة المطلقة التي ركزت السلطة في يدها وقامت بعملية الترشيح والتراكم بسرعة.

وقد تمت عملية تحديث بقية العالم من خلال جيوش الإمبريالية الغربية، ثم ظهرت دول قومية في العالم الثالث تحاول إنجاز عملية التحديث بسرعة (وكانت عملية التحديث تعني في واقع الأمر عملية تغريب) وأن تحقق التراكم وأن تهيمن على سواها القومية.

(ب) الهدف النهائي من الوجود في الكون هي مرحلة ما بعد الحداثة المسائلة، والاستهلاك والمزید من الاستهلاك، وما يحرک المستهلك هو اللذة لأنه لو حركته المنفعة لكانت كارثة لأنه لن يستهلك وبالتالي لن تتحرك آلات المصانع التي تنتج آلاف السلع غير الضرورية، ولن تزيد أرباح المنتجين ولن يشاركهم رأس المال. بل إن الاستهلاك بالنسبة للمستهلك واجب/ حق، ولذا، بما تحكم الاستهلاك في العملية الإنتاجية، وبعد تحقيق التراكم الرأسمالي بنسبة معقولة، انتقل النظام

من المنفعة إلى اللذة وأصبح الاستهلاك (لا الإنتاج) هو هدف المجتمع، وأصبحت السعادة هي تحرك الاستهلاك من الحاجات المادية أو الأساسية التي يتطلب الوفاء بها السلع ذات القيمة الاستهلاكية. ولم يعد هدف المجتمع إشباع الحاجات وإنما تخليقها، ولم تعد الحاجة مصدر معاناة تحتاج إلى إشباع وإنما أصبحت على العكس من ذلك شيئاً يحثى به. ولم يعد التنافس الأساسي بين المنتجين (كما هو الحال في الرأسمالية الصناعية التنافسية) وإنما بين المستهلكين.

وأصبح الاستهلاك هو المجال الرئيسي الذي يتم فيه اغتراب الإنسان، حيث تتحدد وتنتج احتياجات الناس، وتوجه الرغبات نحو ما تم تحديده وإنتاجه من قبل. ويتم استيعاب الناس في منظومة متعددة المستويات من الأشياء والعلامات والإشارات والرموز والدلالات، وهو ما يجعل «الشقافة، والإدراك أولوية على القيم المادية. (وأصبح نقد الاستهلاك وإشباع اللذة) وأصبح ممتلكات الفرد أو إنتاجيته مؤشراً على مكانته في المجتمع، وانتقل التحديد وضع الفرد في المجتمع من السلعة نفسها أو كمية النقود التي يملكها الفرد. وأصبحت الصورة أو العلامة هي السلعة أو القيم المادية الرئيسية التي تقاس بالنسبة لها قيمة كل شيء، أي أن السلع المادية والنقود لم تعد أساس السيطرة على المجتمع. كل هذا يجعل التحليل الماركسي الذي أكد أولوية السلع المادية على السلع الثقافية غير ذي موضوع، بل يجعل الماركسية نفسها (كما يقول بودريار) مجرد امتداد للرأسمالية التقليدية ومتواطئة معها وأداة للهيمنة أو الإمبريالية الإدراكية. ويمكن القول بأن تحديث المجتمعات الغربية قد اكتمل بعد الحرب العالمية الثانية، وتم تهميش أية جيوب زراعية أو شبه زراعية ولم يعد القطاع الزراعي أهمية كبيرة.

وتشهد هذه الفترة ظهور الفورديزم Fordism، أي تنميط الحياة على مستوى ضخم، فتم إنتاج السيارة والمنزل بشكل نمطي على نطاق جماهيري، كما تم تطبيق أساليب تالور في الإدارة العلمية، وتزايد استخدام الكريدت كارد (بطاقات الائتمان) بدلاً من النقود، وهو ما ساهم في الحركة الاستهلاكية وفي تضخم قطاع الخدمات وقطاع اللذة واتساع السوق المحلية وتجاوز الحدود القومية، وظهرت السوق العالمية والشركات متعددة الجنسيات عابرة القارات التي لا تحترم السوق المحلية، وظهرت الاستهلاكية العالمية. وقد تزايد ما يسمى «الاقتصاد



## أصبح الاستهلاك هو المجال

الرئيسي الذي يتم فيه اغتراب الإنسان، حيث تتحدد وتنتج احتياجات الناس، وتوجه الرغبات نحو ما تم تحديده وإنتاجه من قبل





الفقاع، (بالإنجليزية: بابل إيكونومي bubble economy) أو (بالإنجليزية: دريفاتييف، إيكونومي ديفرنتييف) (derivative economy) الاقتصاد الضاربات البني على التأميات المهرقية التي لا يقابلها إسمال حقيقي (تجارة الأموال تقدر بنحو ٥٠٠ تريليون دولار) (التريليون يساوي ١٠٠٠ مليار) وهو ما يعني أن هذه التجارة تصل إلى ٥٠ ضعف قيمة تجارة السلع الدولية التي بلغت قيمتها الإجمالية عام ١٩٩٧ نحو ١٠ تريليونات دولار فقط لا غير. كل هذا يعني ابتعاد الاستثمار المالي عن الاستثمار الاقتصادي الحقيقي. ومع هذه الحركة الطائشة للتريليونات يتقرر مصير أهم بأكملها ارتفاعاً وهبوطاً. وقد تزايد دور الإعلام وقطاع الندة في تصعيد الاستهلاك، ولا يمكن الحديث عن مستغل ومستغل، فالستغل في مكان يصعب مستغلاً في مكان آخر. فكان عملية الاستقلال أصبحت بلا بؤرة أو مركز، وأصبح النموذج دائرياً، نموذجاً قوياً فعلاً دون فاعل، يدور كالألة. وكما يقول سيرج لاتوش: «لا يمكن الحديث عن الحضارة الغربية الحديثة (أو عن الحداثة الغربية) باعتبارها لحظة زمنية أو رقة جغرافية، وإنما هي آلة بدأ الإنسان في تشغيلها، ثم استمرت في الدوران بقوة الدفع الذاتية، ثم أخذت لتتزايد سرعتها بقوة تفوق طاقة الإنسان، وهي في ذروتها تدوس بقوة على الجميع، بما في ذلك الإنسان الفري نفسه الذي بدأها في الدوران وكان يحاول توظيفها لصالحه». في هذا الإطار (آلة التي تدور الاقتصاد الطفيلي، الإعلام الشرس، عالم بلا بؤرة) يشمر الإنسان بالعجز الكامل فيزياد الحديث عن المؤامرة. ويلاحظ تراجع الهيمنة الاقتصادية للولايات المتحدة وظهور مراكز أخرى في اليابان وجنوب شرق آسيا وألمانيا، وبنادية الخصخصة في العالم الثالث، وتناقص سياسات الاقتصاد الوطني ونفسي الشريعة الاستهلاكية. وتدخل الدولة الصهيونية المرحلة الفردوسية الاستهلاكية.

#### أجالات السياسات والاجتماعية

(١) نشبت الثورة البورجوازية ضد الإقطاع ثم الثورة البروليتارية ضد الرأسمالية، وانتصرت البورجوازية والطبقة المتوسطة وتبليو الصراع الطبقي وظهوت القويومات العلمانية (العضوية وغير العضوية) والدولة القومية المركزية الحلقية (مرحلة الملكية الحلقية ومرحلة الدول الديمقراطية في

غرب أوروبا والاشتراكية في شرقها) وتم تأكيد أهمية الماضي القومي والهوية القومية. والدولة القومية هي التي قامت بتوحيد الحدود وترشيده الداخل الأوروبي وتوحيد المؤسسات وعلمنة الرموز وتلجسين الإنسان الأوروبي وتحويلة إلى إنسان وطني حديث (استعمار عالم الحياة، على حد قول هابرماس)، ثم جيشات الجيوش ونهبت العالم فأسست البنية التحتية للمجتمعات الغربية من خلال التراكم الإمبريالي (الذي يُقال له «التراكم الرأسمالي») ومن خلال مؤسساتها التربوية والإعلامية جعلت الإنسان الفري يتسبطن رؤيتها للحياة. لكل هذا هناك إيمان عميق بالمصالح العام وبإمكانية الإنابة (بالإنجليزية: ريزنرنتشين representation) أي أن ينتخب الإنسان من ينوب عنه في البرلمان ليعبر عن رأيه ومصالحه، لكل هذا هناك ثقة كاملة بالعملية السياسية وأخلاقيات الصبرورة. ورغم قوة الدولة القومية وشراستها وهيمنة البرجوازية، ظلت هناك جيوب تقليدية (أرستقراطية، إشتية، دينية) حتى الحرب العالمية الثانية، وكان كثير من أعضاء النخب الحاكمة من أصول أرستقراطية، وكان معظم أوروبا يحكمها أسر ملكية. بل تكيفت البرجوازية مع النظام القديم وتكونت الأرستقراطية الصناعية بالوان الأرستقراطية الزراعية.



#### التحول الحقيقي للغرب ثم

بعد «حرب الثلاثين عاماً الجديدة»

(١٩١٤ - ١٩٤٤) إذ تم تحديث وعلمنة كل النظم

والمؤسسات وتهميش الأرستقراطيات

وكل الجيوب التقليدية المتبقية



(ب) مع تصاعد معدلات التحويل والاتصال الإلكتروني ضمرت الدولة القومية ومؤسساتها ومراكز قوى أخرى (نقابات، جماعات ضغط، شركات ضخمة منظمات غير حكومية)، فالسلطة لم تعد مجموعة مؤسسات مركزية يمكن الاستيلاء عليها والتحكم فيها، فهي موزعة بين عدة مؤسسات متغلطة في المجتمع. ولم يعد هناك إيمان بالصالح العام، ولم يعد من الممكن «إنابة» شخص يمثل مصالح الناخب. كما بدأ التوجه الحاد نحو اللذة يقوض مركزية الدولة، إذ تصاعدت النزاعات الفردية.

ومن أهم التطورات تضخم (بل تقوّل) قطاع صناعات اللذة، وسمسته على الحياة الخاصة التي تم استيعابها في رقة الحياة العامة، وتزايد تأثير وسائل الإعلام ومنظمات المعلومات التي تحاصر الإنسان بالصور الأيقونية الجذبية المخففة، الخالية من المضمون والمعنّي تقريباً، والتي تكاد تشير إلى ذاتها، ولذا فالمنعج لا تحكمه الدولة وإنما تحكمه منظمات المعلومات والشفرات الجامعية الموحدة (كود Code) مثل لغة الأعلامات والقوالب المرئية والنظمية الجاذبة. ومن أهم التطورات الأخرى تزايد الوزن النسبي لكثير من الفئات الهامشية، وضور الهيويات العرقية، وخلقها بقايا الأرستقراطية والثقافة الأرستقراطية (١٩١٤)، وظهور الطبقة المتوسطة الجديدة من المهنيين الذين كانوا يشكلون ١٠-١٥ من سكان الدول الغربية الصناعية حتى بداية القرن العشرين، ولكن عدهم في الوقت الحاضر يبلغ نحو ٢٥-٣٠. وهم أقلية عدية كبيرة يتمتع أعضاءها بنفوذ قوى يتجاوز نسبتهن العدية، فهم الذين يضعون السياسات والإستراتيجيات، كما أن لهم نفوذاً ثقافياً قوياً، لأنهم يتميزون بمقدرتهم على الإنفاق، وهم لهذا أكثر مراكبة لعصر الاستهلاك. ونتيجة لهذا كله يحل هؤلاء المهنيون محل الأرستقراطية القديمة أو حتى البرجوازية في تحديد قيم المجتمع وأسلوبه في الحياة. وموقف هؤلاء المهنيين من الطبقة العاملة مبهم للغاية، ولكن الطبقة العاملة نفسها استوعبت ضاماً في أسلوب الحياة في المجتمعات الغربية بعد أن تعدت أحلامها تختلف عن أحلام أعضاء المجتمع ككل. فشقت أي دور ثوري لها، ومن هنا الإحساس بأن الصراع الطبقي تم إلغاؤه. أما على مستوى الواقع فيلاحظ تزايد الاستقطاب الطبقي والجيلي في الولايات المتحدة وغيرها من الدول المتقدمة (وخصوصاً ابتداءً من نهاية التسعينيات). كما



عن حقوق الشذاز جنسياً وعن حقوق الحيوانات.

والنظام العالمي الجديد هو تصعيد لعمليات العولمة الشاملة، ومحاولة لإعادة صياغة العالم بأسره حتى يصبح جزءاً من الآلة التي تستمر في الدوران إلى أن ترتطم بحائط كوني (مثل الإنفجار العظيم) والأوزون والقشور النازع في التخلص من النفايات النووية وغير النووية. ويمكننا الآن الحديث عن «الاستهلاكية العالمية، وعن «الإمبريالية النفسية، (أي الإمبريالية التي تعتبر النفس البشرية هي الحيز الذي تتحرك فيه وتتهززه وتحوسله) بدلاً من الاشتراكية العالمية، أو «الراسمالية العالمية، أو «الإمبريالية العالمية، وخصوصاً بعد سقوط النظام الاشتراكي والنظرية الماركسية، والذي حدث هو التقاطع كونهن جالس convergence بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي، وهو تلاقق تفرقه كثير من علماء الاجتماع منذ زمن. نلاحظ أن الولايات المتحدة لم تعد المركز ولا القوة الوحيدة في العالم، إذ ظهرت لها قوى أخرى (الشمور) الآسيوية. تعاضد بقوة (روسيا)، ويحاول النظام العالمي الجديد (هذا التسيير الجديد من الظلمة الاستعمارية الغربية أو النظام العالمي القديم) أن يجعل شعوب العالم تستبطن رؤيتهم لذاتهم كمشركين ومتبشرين وحسب، أي مادة استعمارية، وتدخل القصص الحيدوي راضية قانعة، ولذا فهو يلجأ للإغواء والقمع بدلاً من المواجهة الصريحة والصقع المباشر.

وقد قبلت كثير من نخب العالم الثالث هذا الإغواء وبدأت تفرش في الأرض عن النظام العالمي الجديد (ولكن بدأت قطاعات أخرى تدرك تماماً خطورة هذا الاتجاه نحو العولمة). ثم أصبحت الحداثة الداروينية عن نفسها تصاماً حين قام النظام الأمريكي برفض الشرعية الدولية وفكرة القانون الدولي العام وهاجم العراق.

## الجيل الفلسفي

(أ) شهدت هذه المرحلة بدايات المشروع العقلاني المادي الذي يستند إلى الإيمان بالكل المادي الثابت المتجاوز للهدف والغاية، والذي يشكل مركز الثقل، وكان هذا المركز في البداية هو إما الإنسان أو الطبيعة، المادة ثم في مرحلة لاحقة أصبح مركز الكون أي مطلق علماني (افرد). الدولة، العنصر الاقتصادي).

وتم إلحاح الإصلاح الديني وبيادية

تحاول في الوقت الحاضر استغلال الموارد الطبيعية والبشرية على المستوى العالمي بدون مواجهات عسكرية، ومن خلال تجنييد النخب المحلية الحاكمة لتتبع خططات العالم الغربية، ومن خلال تزايد معدلات التحويل، بحيث يتحول الكون بأسره إلى شيء متجانس يتسم بالوحادية الدولية، لا يتسم بخصائصه ولا ثنائيات ولا تنوع. وبدلاً من استعمار الشعوب، يحاول الغرب أمركتها وكوكلتها (نسبة إلى الكوكاكولا) وتحتل الكوكاكولانية بدلاً من الكولونيالية. ويتم الحديث عن نهاية التاريخ ونهاية الأيديولوجيا، لإضاعة الإحساس بأن شمة نظاماً جديداً قد ظهر مبنياً على العدل وتبادل المصالح الاقتصادية ومع هذا يلاحظ على مستوى الواقع أن ٢٠٪ من سكان الأرض (شعوب الدول المتقدمة) يستهلكون ٨٠٪ من موارد العالم الطبيعية. وقد تزايد الاستقطاب على مستوى العالم لصالح الدول الثرية التي تزداد ثراء بينما تزداد الدول الفقيرة فقراً، من خلال عملية التبادل الاقتصادية (العادلة) كما يلاحظ أن معدلات إنتاج الأسلحة (وبيعها) لم ينخفض كثيراً عن ذي قبل.

ولا يستخدم النظام العالمي الجديد الدينيات القديمة مثل عبث الرجل الأبيض وإنما يتحدث عن الدباج (الانتقال) عن حقوق الإنسان وحقوق الأقليات وحقوق النساء ويطيحاً بالثقاف

ورغم تقسيم العالم من قبل الدول الغربية فقد شهدت هذه الفترة حرباً عالمية (أي غربية) وأخرى صغيرة في آسيا وأفريقيا. وبدأت تظهر ملامح ما يسمى «جولباليزيشن» globalization أي «العولمة» أو تحويل العالم إلى وحدات متجانسة لا تتمتع بأية خصوصية (وهو الاتجاه الذي أدى في نهاية الأمر إلى ظهور النظام العالمي الجديد). ومما سارع بهذا الاتجاه أن الاستعمار الغربي (والأمريكي بخاصة) اكتشف أن المواجهة مع الشعوب أمر مكلف جداً، وأن الحروب الاستعمارية لا تأتي بعائد كبير ولذا قرر التراجع عن الغزو العسكري المباشر والبحث عن أشكال أكثر مرونة مثل الاستثمار الجديد. وكان هناك دائماً دولة غربية واحدة هي المهيمنة على النظام العالمي (إنجلترا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ثم الولايات المتحدة حتى الوقت الحاضر)، وانتهت الفترة بالحرب الباردة، وبدأت عملية تصفية الجيوب الاستيطانية. ومع نهاية المرحلة لم يبق سوى الجيب الاستيطاني في فلسطين، يحل على أفريقي وقبلة السوسين، والجيب الاستيطاني في جنوب أفريقيا في قاعدة القارة.

(ب) شهدت هذه المرحلة بداية ظهور النظام العالمي الجديد ويمكن الحديث عن عولمة بعض القضايا مثل الطاقة النووية، الثلوث الأي. الإن. الثورة الإلكترونية. ثورة المعلومات، ويمكن القول إن الدول الاستعمارية السابقة

ظهرت حركات الطلاب والحركات الاجتماعية الجديدة التي تربط دائماً بين الاعتناق والحرية الجنسية (خاصة بعد اكتشاف حبة منع الحمل)، أي أن أحلام الثوريين لا تختلف كثيراً عن الأحلام التي يفرقها بكفاءة عالية قطاع اللذة في المجتمع. وقد أدركت بعض قوى اليسار أن الثورة مستحيلة، وأن الاستيلاء على الحكم مستحيل، في عصر ما بعد الأيديولوجيا وسيادة الفكر التكنوقراطي في عالم السياسة وقوانين الإدارة العلمية، وأنه لو تم الاستيلاء على السلطة فإن هذا لن يحل المشكلة بسبب هيمنة النظام التكنوقراطي ونظم المعلومات والمورال الأيونيوية المخلفة على الإنسان من الداخل والخارج.

ومع هذا يلاحظ اندلاع الحركات الثورية ذات التوجه اليساري، التي تشكل أول إصلاح حقيقي ذي طابع جماهيري عن منظومة التحديث الغربية، المادية العقلانية الداروينية. ورغم ضرب حركات التحرر الوطني في العالم الثالث وظهور نخب حاكمة ذات اتجاه تخريبي واضح، وتكاثر مؤسسات الدولة القومية وتزايد الحروب الإثنية والدينية، يلاحظ ظهور حركات شعبية ترفض عملية التحويل والتخريب، وقد ظهرت بعد بشكل واضح ومتطور في الحركات المناهضة للعولمة ولغزو الأمريكي للعراق.

## الجيل الدولي

(أ) تبدأ هذه المرحلة بقيام الإنسان الغربي بإعادة شعوب الأمريكتين وتسخير ملايين الأفارقة ليصبحوا مجرد طاقة توظف في خدمة الإنسان الأبيض. ثم ظهرت الإمبريالية العالمية، وهي عالمية لأنها حولت العالم بأسره إلى مادة استعمارية فاستغلت الموارد الطبيعية والبشرية في كل بقاع الأرض بشكل مباشر ومن خلال الجيوش النظامية أو من خلال الجيوب الاستيطانية المختلفة. وكان يتم تبرير الهيمنة الإمبريالية الغربية على شعوب العالم باللجوء إلى شعارات مثل نصيب الرجل الأبيض، والرسالة الحضارية، والمقدور المحتوم، وانحصرت التجربة الاستعمارية لروسيا القيصرية في البلاد المحيطة بها، فاستولت على الخانات التركية وعلى بعض الدول المجاورة مثل بولندا، حتى أن روسيا كانت تسعى سجن الشعوب، وحينما قام الاتحاد السوفيتي ظل محتفظاً بهيمنتته على هذه الدول كما هيمن على الأحزاب الشيوعية وكان هذا يتم باسم الأممية الاشتراكية واسم الدفاع عن الطبقة العاملة.



أدركت بعض قوى اليسار أن الثورة مستحيلة، وأن الاستيلاء على الحكم مستحيل، في عصر ما بعد الأيديولوجيا وسيادة الفكر التكنوقراطي في عالم السياسة وقوانين الإدارة العلمية



علمة الدين وتهميش المنسّ وزله في رقعة الحياة الخاصة، على أن تحرر الحياة العامة من كل المقننات، وهو ما يسمى نزع القناعة عن الكون. وظهرت الرؤية المعرفية العلمية الشاملة التي لهبت الإنسان، وهي رؤية تقوم مقام الديانة العالمية (إلا للإنجليزية؛ وورد رليجون العالم (world religion التي تسم بالشمول، وتتمتع عنها منظومات معرفية وجمالية أخلاقية ومعيارية كاملة في جميع المجالات، ولذا نجد أن لها سفير التكوين الخاص بها (أصل الأنواع) وإنشائها (نشاط داروين وماركس) وقيمتها الكبرى (الانتماء المستمر) وغيرها (إنتاج الفئات) وشرها (مهمسا) وجنتها (البيوتنوسيا التكنولوجية) وجنتها (التخلف المادي). ولغة إيمان عميق بالعلم والتكنولوجيا والإيمان بمقدرة الإنسان على هزيمة الطبيعة.

وقد ظهرت من داخل هذه المنظومة ثنائية الإنسان والطبيعة الصلبة حيث يشغل الإنسان أمثاله مركز الكون (أو تشغل الطبيعة/ المادة المركز). ولكن ما حدث في واقع الأمر أن الإنسان الأبيض (وليس الإنسان ككل) أنه نفسه وأصبح رئيس ذاته واحتل المركز وقام بحوسلة الطبيعة وقياس البشر ومن ثم تحولت الرؤية المعرفية العلمانية إلى رؤية علمانية إمبريالية، ورغم مادية المنظومة المعرفية العلمانية الإمبريالية فإن شمة نزعة طوباوية مثالية تظهر داخلها والدفاع عن العدالة الاجتماعية، أو الهيمنة الإمبريالية في المعسكر الغربي والدفاع عن عبء الرجل الأبيض ورسالة أوروبا الحضارية.

ومنذ البداية نشب صراع بين مركزي الكون (الإنسان والطبيعة) فأثقت النزعة الإنسانية الهيومانية أسبقية العقل على الطبيعة/ المادة وحرية الإرادة الإنسانية ومقدرة الإنسان على معرفة قوانينها وفتروها والهيمنة عليها والوصول إلى معرفة كذبة يمكنه أن يرشد حياته المادية والأخلاقية في ضوئها، وبأسهم يستطيع الإنسان أن يقيع رغبته ويرجعها وأن يتجاوز ذاته الطبيعية/ المادية. وظهرت اختلافات مادية (المنفعة المادية، البقاء لأصلح، صراع الطبقات). وقد واكب كل هذا إيمان بأن الكون مقنن، وفيه هدف وغاية، ومن ثم تزايد الإيمان بالقدم وبأن التاريخ له مسار واضح حتمي، ينتهي بانتصار الإنسان (الإنسان الأبيض على وجه التحديد) وهذه هي مرحلة البؤولة المادية.

وفي الوقت نفسه ظهرت الرؤية المعادية للإنسان (الإيمان بالعلم المنفصل

عن القيمة والغالبية الإنسانية). إلا أن فلسفة إسبينوزا وروية نيوتن قاستا بتأليه الطبيعة بدلاً من الإنسان، ووضعتا المدة في مركز الكون، وطالبتا الإنسان بالإدعان للثقافون الطبيعي المادي الآلي والاحتميات المادية وهيمنت الواحدة المادية. وظهرت حركة الاستنارة والعقلانية المادية في النصف الأول، وسادت مفاهيم السببية الصلبة في العلوم، وتراجعت القيم المسيحية تدريجياً، وكل المطلقات والثوابت، وبدأت مجالات حياة الإنسان المختلفة تنفصل تدريجياً عنه، بحيث يصبح كل مجال مرجعية ذاته، لا علاقة له بالمركز الإنساني.

ويمكن القول بأن العدالة (في الإطار المادي) ليست تبني العلم والتكنولوجيا وحسب وإنما هي تبني العلم والتكنولوجيا المنفصلين عن القيمة، المتجاوزين للغالبية الإنسانية، باعتبارهما المرجعية النهائية للإنسان، والعدالة تمنى أيضاً الفصل الإنسان عن كل النزعات الكونية وفصل كل العلاقات التقليدية وإخضاعها هي والمنظومات القيمية لمعاملات التفاوض المستمرة.

ولكن مع إخفاء المعايير وال مرجعيات المتجاوزة لتساوي كل الأشياء وظواهرها، والقيم هي كلها توجد تحت سقف مادي واحد، فصيح كل الأمور نسبية. عند هذه النقطة يصبح كل فرد أو شعب هو مرجعية ذاته، ومن ثم يستحيل حسم

الصراعات إلا من خلال القوة، أي أن التسمية المطلقة تؤدي إلى الداروينية، ولذا فحين تسمى العدالة الغربية الوحيدة الداروينية. ومع بداية نهاية المرحلة (ابتداء من النصف الثاني للقرن التاسع عشر) تبدأ هذه الرؤية في الاعتزاز، فتهتز فكرة الكل المادي المتجانس، وتتراجع مفاهيم السببية الصلبة في العلوم ويتعمق إحساس الإنسان الغربي بأن معرفة الطبيعة ليست أمراً سهلاً، وأن استخلاص قوانين تحكمها الصدف. كما أدرك الإنسان الغربي أن تزايد الترشيح والتحكم الإمبرياليين لا يؤدي بالضرورة إلى السعادة، بل بدأ يدرك استحالة الترشيح، فتهززع إيمانه بفكرة التقدم والحقمية التاريخية. وهنا ظهر نيتشه الذي أعلن موت الإله، أي نهاية عصر الميتافيزيقا والكيلات ودعاة الإنسان المركزية وبشر بعالم لا مركزي له. في هذا الإطار ظهر الفكر المادي للاستنارة والعقلانية المادية والرؤية المعنوية الشمولية وفكرة التاريخ كعود أبدي وكتواتر مفرغة والفكر المعنوي الغربي (كانت أكثر الكتب انتشاراً في أوروبا في نهاية القرن التاسع عشر كتاب الفكر المعنوي الفرنسي دومونت «فرنسا اليهودية» وفي هذه الترية نيتش النازية واليهودية المحافظة والصوفيونية.

وسمع تزايد الإحساس بالورطة الحضارية تزايد الفكر العتي والعنصرية

ويلاحظ أن لغة علاقة بين تزايد النزعة الاستهلاكية (والانغلاق على الذات ومغلتاتها) وتزايد النسبية والعنصرية الفلسفية. ونشبت ثورة ضد الكليّة والشمولية، سواء في شكلها المادي الواضح (الوضعية الوظيفية)، أو في شكلها المادي الذي يتلبس لباساً روحياً (الهيكلية البيئية). وظهرت مدارس فلسفية توجه سهاق نقداً للعدالة العقلانية المادية الغربية وفكر الاستنارة ككل (مدرسة فرانكفورت) وهاجم فكرة التقدم. وكل هذا مؤشر على اقتراب المرحلة الصلبة من نهايتها، ومع هذا فإن ما يتخذ هذه المرحلة من السبولة الكاملة ومن السقوط في قبضة العنصرية هو الإحساس بالمسؤول الذي صاحبه، فأفانسان الغربي كان لا يزال يحمل وجدانه لأدرك المرحلة البيولوجية المادية.

(ب) كتسب الحركة المادية في هذه المرحلة صراعات كاملة وحركية ذاتية مستقلة عن إرادة الإنسان بحيث تتجاوز أية نماذج عقلية وأية محاولات للتفسير والتفسير، فكل شيء ينسحق في قبضة العنصرية، وتختفي المنظومات الكليّة، ولذا لا يتسأل الإنسان عن أصل الأشياء ولا عن معناها ويتخفى البحث عن الأصول والمعنى (فالحديث عن الأصل يعني وجودات فاعلة تهمش الذات الأخرى). ويتنظر إلى العالم بأسره من منظور الهامش ويصل فيه الترشيح فتمته فيفقد الإنسان رشده وحريته وإرادته ومقدرة على التحكم، فيصبح العقل وفمرات الفكر (مثل النظرية والأيدولوجيات) أمورا قديمة يجب طردها. وبذا، يخفى الإنسان تماماً يتحوّل إلى مادة مستوعبة في نظام إلى على وصلت فيه درجة التحكم والترشيح إلى العزوة، ففقد السبولة والتأنيث، وفكرة الالتحد في الطبيعة، والانتصار الكامل للرؤية المتمركزة حول المادة على الرؤية المتمركزة حول الذات الإنسانية، أي أن المركز الواعي للكون (الإنسان) يخفى ليحل محله في بداية الأمر الطبيعة باعتبارها المركز اللاواعي، ثم يظهر أخيراً اللامركز اللاواعي، وتتصاعد الشكوك في العلم والتكنولوجيا، خاصة مع تقاليم العلم البيئية. ومع هذا يزداد استخدام الكمبيوتر، ومن ثم الاعتماد على العلم والتكنولوجيا.

هذا هو عصر النهايات والمابدييات (نهاية الأيدولوجيا، نهاية التاريخ، نهاية الميتافيزيقا، نهاية الحقيقة، نهاية البحث عن المعنى). ولذا لا توجد أزمة معنى، وتجل العلاقات المادية محل العقلانية المادية، والاستنارة العظيمة محل الاستنارة



## يكننا الآن الحديث عن

الاستهلاكية العائية، وصن الإمبريالية النفسية، بدلاً من الاشتراكية العائية، أو الرأسمالية العائية، أو الإمبريالية العائية،

المصلحة، وتلخص تماماً القيم والثوابت والملتقيات (في المجال العرفي والديني والأكاديمي) ويصبح لكل فرد ثوابته وقيمه ودينه، وتختفي المعيارية لتحل محلها لا معيارية كاملة ونسبية شاملة. ولعل أطروحات ما بعد الحداثة هي تعبير عن هذا الوضع، فهي رؤية للحكم تؤكد أن الكون لا مركز له، وأن لا علاقة بين النتائج والأسباب، ولا بين الدال والمدلول، ولا بين العقل والواقع، فكان كل شيء أصبح مكتفياً بذاته لا علاقة له بالآخر، مجرد قصص صغرى، لا لا توجد قصة عظيمة ولا ديانة عالية، عالم دوى تماماً لا قداسة فيه انسحب منه الإله ومات فيه الإنسان. ولذا نحسى كل الثنائيات وتختفي النزعة الطوباوية وتظهر النزعة البرجماتية والريعية في التكيف والمقدرة الفائقة على الإذعان لآثار الواقع.

ويمكننا القول بأنه إذا كان الإله، حسب التصور النيتشوي، قد مات هي أواخر القرن التاسع عشر فإن الشيطان نفسه، قد مات أول يناير ١٩٦٥ (أي مع البداية الافتراضية للمعركة الثانية). فالتصديق يفترض وجود قصة كبرى وثنائيات هضماناً أو صلبة، وعالم يرتكب فيه الإنسان الجريمة، ومع اختفاء كل هذا، ومع الإحسان الكامل تجاه الله والجنس والعالم، ومع إزالة ظلال الإله (مفهوم الكليّة والسببية والغالية) يصبح من الصعب التمييز بين المقدس والدنس، ويصبح الشيطان كائنًا بلا وظيفة فيقوت، وهذا هو ما يمكن تسميته «تحييد العالم».

ومع هذا يلاحظ أن المقدس لم يمت تماماً، وإنما كان هناك طليعة الوقت متوارياً. ويظهر المقدس من نفسه خارج أي إطار ديني، من خلال عدد هائل من التعايش مع كل المفاهيم المصغرة أو تعيش جنباً إلى جنب معها دون أن تدخل معها في أي علاقة.

أما في العالم الثالث فتتداخل الأمور، فمع الحديث عن الاستارة يوجد الحديث معاً بعد الحداثة، رغم ما بين الاتجاهين من تناقض عميق. كما يلاحظ ظهور فكر لا يقبل الحداثة الغربية، ويحاول أن يؤسس حداثة جديدة تنطلق من نقد أساسي لفكر الحداثة الغربية، ففي العالم الإسلامي، على سبيل المثال، تراجع مشروع الشيخ محمد عبده الخاص بتكامل الخطاب الغربية والإسلام، ويحاول الخطاب الإسلامي طرح نقد شامل للحداثة الغربية، ويبدأ البحث عن حداثة جديدة لا تتوحد بالإنسان. أما في إسرائيل فتتراجع الأيديولوجية الصهيونية

وتظهر العبادات الجديدة (بين أعضاء الجماعات اليهودية في العالم) وتترجم فلسفة ما بعد الحداثة نفسها في مجال اليهودية إلى لا هوت موت الإله.

## المنظومة الأخلاقية وأسلوب الحياة

(أ) يتم في المرحلة الأولى توليد منظومات أخلاقية مادية (اشتراكية أو رأسمالية) يؤمن بها الإنسان الرأسمالي أو الاشتراكي. وهو على استعداد للموت من أجلها. وهو ما يعني أن النزعة الطوباوية والأحلام المثالية البحرية والإخاء والمساواة والهيمنة الإمبريالية وإرادة القوة ذات فعالية. ويشرع الإنسان من ثم بأنه قادر على التحكم في حياته ومصيره وعلى صياغة بيئته وذاته في ضوء المثل الأعلى الذي يؤمن به. ويتم ضبط الحياة من خلال التماسك على الرغبات (وكبتها أو قسمها) وإجراة الإشراف والذلة. وتبدأ عملية تآكل الأسرة (فتختفي الأسرة الممتدة لتحل محلها الأسرة النووية التي تبدأ في التفكير في الآخر)، إلا أن الأسرة تظل مع هذا هي الوحدة الأساسية في المجتمع التي يتم من خلالها توصيل القيم إلى الأفراد وتحويهم إلى مواطنين وكنائس اجتماعية. كما يتم التماسك على الرغبات باسم المثل الأعلى داخل إطار

الأسرة. وتظهر حركة تحرير المرأة التي تطالب بإعطاء المرأة حقوقها باعتبارها عضواً في المجتمع، تقوم بعبورها كام وعادة عاملة. ويؤدي تنميط الصلح إلى تنميط الحياة وترشيدها، كما يؤدي استخدام المصاراة إلى تسارع وتيرة الحياة. ويلاحظ تراجع رفعة الحياة العامة وضومرفعة الحياة الخاصة وبداية تحويل أسلوب الحياة وتراجع اللون المحلي (انتشار الهامبورجر والدتي شيرته والليجويزينز وأمركة الغرب والعالم والولايات المتحدة، باعتبار أن الأمركة هي أسلوب في الحياة يعادي الخصوصيات الثقافية وضمناها الخصوصيات الأمريكية نفسها). ومع هذا، يظل إحساس الإنسان بأنه قادر على التحكم في حياته ومصيره وفي صياغة بيئته وذاته، ويظل هناك وهم الخصوصيات الإثنية والقومية. ويلاحظ تصاعد عملية التحكم في حياته ومصيره والأحلام والرغبات، ومع هذا تظل الأحلام والرموز القديمة ذات فعالية. ولا يزال النظام التعليمي متأثراً بالمثل التقليدية (أهمية اليونانية واللاتينية ودراسة الفلسفة والتلايينيكيات)، ويظل هناك شكل من التلايينيكيات أو الأسمى قائماً ينعكس على سلوك الأفراد وأزيائهم التي تشير إلى الاحتكام ومحاولة توضيح الفرق بين الجينسين والشي تتبع بروتوكولا اجتماعياً محدداً.

(ب) مع التزايد التدريجي للنسبية يصبح من المستحيل الإزعة بأية قيم، وهو ما يعني اختفاء النزعة النضالية



## هذا هو عصر النهايات

والمابعديات (نهاية الأيديولوجيا، نهاية التاريخ، نهاية الميتافيزيقا، نهاية الحقيقة، نهاية البحث عن المعنى)



وتلاشي النزعة الطوباوية وكل الأحلام المثالية (في المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي)، ويرفض الإنسان إرجاء إشباع اللذة العصرية. ولكنه، مع هذا، يشعر بأن عليه أن يتكيف مع واقعه ويقبل عمليات التسوية في المجتمع التي تسوى الإنسان بالإنسان ويصبحون هويته وضالته الجواني ثم تسوية بالأشياء.

يتسارع تآكل الأسرة إلى أن تأخذ في الانخفاء تماماً وتظهر أشكال بديلة من الأسرة (أسرة من رجل واحد وأطفال، امرأة واحدة وأطفال، رجلان وأطفال، امرأتان وأطفال، رجلان وأطفال... إلخ). وتظهر حركة التركيز حول الأثني التي تنظر للمرأة باعتبارها كائناً في حالة صراع مع الرجل، وتبدأ لا تطالب هذه الحركة بحقوق المرأة وإنما تطالب بتحسين كفاءات الصراع (مع الرجل) وتغيير اللغة وتعديل مسار التاريخ. ومع ضمور النزعة الطوباوية واختفاء الأسرة كآلية لنقل القيم وإعلاء الرغبات يتزايد السهر الجنسي منذ الأفراد، ويريد حذته قطاع اللذة الذي يعمل على هدم القيم الأخلاقية وإعلاء القيم الاستهلاكية التي تصبح الحافز للحكم على الإنسان (ولذا يحصل النطق الجديد، محصل الأخلاقيات العصرية والقيم الاجتماعية محل القيم الأخلاقية)، ومع الأساليب الأخرى التي أدت إلى زوال المسار الجنسي انفصال الجنس عن القيمة الأخلاقية والاجتماعية، بحيث أصبح النشاط الجنسي مرجعية ذاتة. وقد أصبحت اللذة إحدى الآليات التي يستخدمها المجتمع العلماني الحديث في استيعاب الجماهير في عمليات الضبط الاجتماعي بعد أن كان يبدل جهوداً لمحاصرتها وإعلائها. وتتم عملية الاستيعاب والضبط لا من خلال القمع الصريح وإنما من خلال الإغواء، وهو شكل من أشكال القمع الخفي حيث تتم إشاعة الإحساس بأن حق الإنسان الأساسي (بإل الوحيد) هو الاستهلاك وبأن إشباع اللذة هو أقصى تعبير ممكن عن الحرية الفردية، وهو ما يعني ضمور اهتمام المواطن برفعة الحياة العامة وتركيزه على ذاته ورغباته، ولكن هذه الذات وهذه الرغبات يتم تسكينها وصياغتها وتوجيهها من قبل صناعات اللذة وأجهزة الإعلام التي تقولت تماماً في تلك المرحلة. والتي تقوم بإقتحام أحلام الإنسان وترشيده من الداخل والخارج. فيظهر الإنسان ذو الوجد الواحد الذي تم ترشيده من الداخل، ويظهر المواطن الخضر الذي لا يمكنه التحكم في رغباته الحسية، والذي تتركز أحلامه في تحقيق انتصار جنسي أو فوز لنادي الذي ينتمي إليه فوراً ساحقاً منافحاً!

ويلاحظ ظهور الإنسان الجسدي وشيوع القيم العريضة، عام ١٩٦٠ و هو نهاية القيم البيوريتانية الخاصة بالقمع والإجراء، فقد ظهرت حركة الجنس المطلق أو المرسل (بالإنجليزية: free love movement) فقد ظهرت حركة والتي تسمى حرفياً حركة الحب الحر). وقد ثورة الشباب في الستينيات، هي تصوراً، معلماً أساسياً في تاريخ المثالية التحديدية والعلمانية الشاملة، فحتى هذه الوقت لم تكن علمنة العلم الإنسان الغربي قد اكتملت بعد، رغم علمنة وفهمه وأحلامه وزيناته، وهو ما تم إنجازه في هذه المرحلة، وكانت اللذة الحسية حتى هذه المرحلة مقصورة على الطبيعة والحكمة ولكن تم تعميمها وخصصتها وجعلها تامة للجميع، أي تم التوسع الفاعل لإمكانات إشباع الرغبات الحسية (بالإنجليزية: ديموكر اليزيشن أوف هيسولفهمز democratization of hedonism)، وكل ما يطلبه المجتمع الآن هو الإنسان هو الاستسلام للاستهلاك والذلة، وقد أصبح هذا تزايد استهلاك المخدرات بين أعضاء الطبيعة والشباب، وتزايد سرعة الحياة العامة وإيقاعها (خاصة استخدام التلفزيون، المحور، الذي حول رقة الحياة الخاصة إلى رقة عامة) وتوسع رفقتها تشمل معظم رقة الحياة الخاصة للإنسان، وتغفل السبق والتعاقب والتبادل في كل مجالات الحياة (الواجبات السريعة بدلاً من الضمان، الكروت كارد بدلاً من النقود)، وتم علمنة التعليم والرموز والأعلام تماماً، ويلاحظ اكتمال عملية التمهيط، ومع هذا تفتير الأساليب والتطرز إلى رقة يصعب على الإنسان استيعابها، وتوسع رقة الحياة العامة وتوسع وتيرتها، لا توجد قواعد عامة في المجتمع، ومع هذا يلاحظ وجود عدد ضائل من القواعد والإرشادات التي تتغير كل يوم، كل ما يعني في واقع الأمر أن لا وقت للعلم، فالذات محاصرة بالتعدد السلعية والمعلوماتية المفرطة والكشحيات الأقنوية التي تلهي الإنسان ولا تمنحه سعادة أو حكمة فيبتلع كل شيء ويتشأ في مجتمع التبادل والاتصالات وتصبح الصورة العامة (صورة الذات والصورت التي يتفاهها المستهلك)، ولذا يتزايد إحساس الإنسان بالجدوى وعدم اليقين وأنه لا يمكن من شيء، الأعلام يفرح ما ينشر وما لا ينشر الهندسة الوراثية تتحكم في كل شيء، الكمبيوتر يقسم العالم (ومنذ ذلك الإنسان) إلى وحدات بسيطة يتم تناولها، ويؤدى كل هذا إلى أن ينسى الإنسان الإنسان ويؤتد لديه كل حساس، بأنه في حاضر أزمي.

وفي العالم الثالث، يلاحظ تزايد معدلات التفريغ بشكل واضح، ويصبح نجوم السينما هم المركز ويتبنى الناس الاستهلاكية إطاراً للحياة والبرجماتية أو الداروينية أطراً معرفية.

### المنظومة الدلالية والجمالية

(١) يسود في المرحلة الأولى الإيمانيات غير شمة وأولية مستقرة ذات استمرارية قادرة على التواصل مع السنوات الأخرى من خلال لغة عقلانية شفافة. تتخلل الواقع النفسي نشيل اللغويين للحالات، وأن الأعمال الفنية تستند إلى المحاكاة والتعبير (بالإيمانية، بالميميسيس (mimesis) كما يشار إليها بعملية التمثيل أو الإيانية بالإنجليزية)، ولها مضمون إنساني وواقعي وتهدف إلى تعبير إدراك الإنسان بالواقع وربما تعميقه، وأن وظيفة النقد الأدبي وأدبي هي اكتشاف القيم الأخلاقية والجمالية الإنسانية التي يمكن أن يهتدي بهديها المبدعون والجمهور.

ولكن مع نهاية المرحلة تكتشف الذات الإنسانية أن حدودها غير واضحة وأن الدواعي غير مستقرة وأن القيم ليست ثابتة لتضاهي على الإنسان، لكل هذا تفشل اللغويات الإنسانية في التواصل مع السنوات الأخرى أو التفصل مع الموضوع أو الاتصال معه.

[illegible][illegible]

**أصبحت اللذة إحدى الآليات**

التي يستخدمها المجتمع العلمي  
لحديث في استيعاب الجماهير في عمليات  
الضبط الاجتماعي بعد أن كان يبذل  
جهوداً لحاصرتها وإعلانها

وليس ثم فالواقع هو نتائج الخلط بين  
والمسح كمن الظن في الماضي أن  
الخطاب هو نتاج اجتماع اللغة في التي  
نتج الواقع والفكر. ولكن اللغة في ذاتها  
تحتل علاقات ثابتة. حينما نغير عن  
الحقيقة ما نغير عنه ليس الحقيقة  
وإنما ترتيب جميل للحقيقة منسّق مع  
نفسه، فاللغة حقيقة موضوعية  
لا يمكن فهم الحقيقة، وما يعني أن  
اللغة لا يمكن استخدامها في تمثيل  
الواقع، فاللغة تستخدم أساساً لتعريف  
في المشاريع العلمية كبرية. ويعد  
من أن تكون اللغة أداة التواصل بين الناس،  
تستطيع سجن الإنسان. ومع هذا، يستطيع  
الإنسان أن يحقق قدرًا من الحرية من  
خلال التفكير ومن خلال إعلان اللغة  
والتشريع الإنساني بأسره.

والنظام في المجتمع، ليس ثمة  
قصة كبرى (إنسانية مشتركة) أو جهد  
واحد أو تواصل لغوي للخطاب والحدود  
القواعد وإنما هو نتيجة للعمليات  
(القصص المتغيرة) لا الحوار الذي  
يدور في إطار ضابط. بل إن العلاقات  
بين الناس هي نتيجة  
تدخل الأنواع القوية التي



# دار الشروق — محمّد حسنين هيكل



يطلب من

دار الشروق، ٨ شارع سيدي بيه المصنوع، رابطة المدوية - مدينة نصر تليفون ٤٠١٢٣٦٩ ومكتبة الشروق، ١ ميدان طلعت حرب تليفون ٣٩١٢٤٨٠ ومكتبة الشروق، مبنى هزنت امام حديقة الحيوان ٣٥ ش الجزيرة محل رقم ١٩ تليفون ٥٧٥٠٣٥

كما يمكنكم شرائها إلكترونياً [www.e-kotob.com](http://www.e-kotob.com)

■ أول ما برر مصطلح السودان الجديد كان في الأربعينيات من القرن المنصرم حينما والت الصبور جريدة يومية كان يرأسها نقيب الصحفيين السودانيين الأستاذ أحمد يوسف هاشم، وكانت واحدة من مجلة الصحف التي تحررت فكرة الجامعة السودانية، كما سارت في اتجاه خط الحبيبة الاستقلالية التي رأت طموحاتها تتركز في قيام جمهورية سودانية مستقلة على عكس التيارات الأيديولوجية المتطرفة بوحدة وادي النيل، ثم ما لبث أن دخل في المصطلح من جديد في الديان الإفتتاحي للحركة الشعبية لتحرير السودان والجيش الشعبي لتحرير السودان بقيادة هاشم هريز الصادق في عام ١٩٨٢، حيث ركز البيان على طبيعة الحركة الحديثة التي تستمدت العنف ومنهج الثورة تغيير الأوضاع في السودان القديم وتحسين حاله القديمة وتحرير الخرطوم، وإقامة سودان اشتراكي علماني ديمقراطي، وتحرير كل السودان من سيطرة الأقلية الخرطومية كناية عن إضفاء ثقافة المركز الإسلامي العربية. واختلفت الحركة عن حركات التحرر الجنوبية حيث طرحته نفسها كحركة

نجحت الحركة الشعبية في استقطاب دعم هائل من أثيوبيا وليبيا وكوبا والنو الاشتراكية والأفريقية، وجاءت أول دفعات سلاح معتبرة للحركة من ليبيا والتي أرادت أن تؤدب الرئيس السابق جعفر نميري وتطبع بنظامه تأييده لثأره بفيدي، وتحالفه مع السادات وإيوافه للمعارضة الليبية أما نظام الرئيس منجستو، فقد اعتبر الحركة شركا استراتيجيا فوهيما، إذاعة كاملة بثت منها ثقافتها الجديدة الملهمة ضد ثقافة المركز وضد سيطرة المركز، كما فتحت أبواب الكليات العسكرية والديبلوماسية الأفاق أمام الحركة للتدريب والتسلح في البلدان الأفريقية والاشتراكية، وكان الهدف في المرحلة الأولى خلق جيش ينيل يتفوق على الجيش السوداني في العدد والعتاد، وتكوين ثواته الصلبة من مائة ألف مقاتل، بالإضافة لتسليح القبائل والقوى الهشة الأخرى، وجاءت ظروف سودانية وديولية لتخدم الحركة، منها رضوخ الرئيس

لتحرير السودان وضعها ببعض كوادره من الداخل وفي المهجر، كما خدم خطها الفكرية والإعلامي، وكان من أجل الخدمات كتاب أصدره استاذان جامعامين بوهون (مجزرة الضعين أو الرق في السودان) وهو كتاب بصورة توثيق ضد حالة معزولة تطورت من عرلاتين قبيلة ذات جنود عربية وهي السيرية وقبيلة الدينكا التي ينتمي لها جون فريز، ومع أن نهاية الحدث كانت مؤلمة إلا أنه تحول في الكتاب إلى كارتة فورية مستعلا عرابي مركز في العقل السوداني وأصبح الكتاب وقرؤا تتناولته الكتلان في مؤثراتها الدالية والإقليمية والمحلية كما تناولته كبريات الصحف العالمية، ثم جاء بعد ذلك كتاب الأستاذ محمد إبراهيم نقد سكرتير الحزب الشيوعي في السودان بعنوان علاقاتنا في المجتمع السوداني، وهو كتاب يصور المجتمع السوداني مجتمعا فوضي على مرتكزات هيكلية السخرة والمعبودية والتحقيق التركية واليهودية كما جاء كتاب آخر للسياح الجنوبي البروف ايل الير بمتون، مشكلة جبهة السودان والتداعي ونقض المؤثر، والتي صور فيها كذلك العلاقات بين الشمال والجنوب كملاقات

لتحلق الجنوب حيث أصبح لها وجود معتبر في جبال النوبة بقيادة الرحوم يوسف كوة، جبال النوبة بقيادة الرحوم يوسف كوة، من مناطق الاشتقا والفونج تحت قيادة الصلابة أبو شتلا والقالد مائل عفار، وكذلك سعت الحركة في عام ١٩٩١ للدخول إلى مناطق دارفور والعزيز الحلو أرسلت جيشا الثاني لمنطقة جبال النوبة وكان يهدف للتحصن في سلسلة جبال مرة المنيرة وكان تحت قيادتها خمسة آلاف مقاتل، ولكن تمت إعادة الحملة من آخرها، نسيمة لأن المجتمع المحلي بكل مكوناته رفضها، بما في ذلك القبائل الأفريقية والحزب والجناح التي ناصرت الحكومة، ودارفور والجيش القوي متناحية خلافاتها الداخلية وصراعاتها المتأججة حول الحرص والماء والتي راهن عليها فريق في محاولات الأولية في اختراق دارفور.

وقد وجدت الحركة الشعبية في بداية التسعينيات أن الخريطة السياسية الإقليمية قد تغيرت حيث سقط نظام منجستو الشريك الاستراتيجي لجنوب

# دارفور.. من أشعل الحريق؟

لتحرير كل السودان وهرقت شمال السودان بأنه فقط مديرية الخرطوم والمجزرة، بينما نظرت إلى كل مناطق السودان الأخرى مثل كرهان ودارفور وشرق السودان والشمالية القديمة وغيرها كمناطق متخلفة تستوي في ذلك مع المديرية الجنوبية، وبذلك فإنها تعتبر مجالا حيويا للحركة الشعبية وتوفر فيها إمكانات الثورة، ولذلك اعتبرت الحركة لها مجرد مقدمة تحريف قوى كبير ينتظم كل مناطق السودان بحيث يشكل الجنوب قاعدة انطلاق ثم يلي ذلك جبال النوبة جنوب النيل الأزرق ومناطق الجبال ثم دارفور.

وقامت الحركة على فكرة بسيطة مستندة إلى الإحصاء السكاني لسودان لعام ١٩٥٥ والذي أبرز أن ٣٨٪ من سكان السودان يشكلون الكون العربي من الحبيبة الأفارقة الأصح، ولكن كان تعريف العربية في هذا الإحصاء محصورا في النقاء العرقي، بينما لا يوجد في السودان نقاء عرقي، ولا نقاء لغوي لأن العربية في السودان إنما هي اللسان، واعتبر الإحصاء أن من له لسانا آخر بجانب اللسان العربي ليس عربيا، فوهنا خرجت قبائل السودان المسلمة تتكلم بجانب العربية بلسان محلي عن العربية، علما بأن ثقافتها إسلامية عربية وأصولها إسلامية عربية، وتشكل بجانب الناطقين باللغة العربية، كلغة ما أكثر من ٨٠٪ في سكان السودان.

السابق جعفر نميري طالب الجنوبيين الاستوائيين لتقسيم الجنوب إلى ثلاثة كيانات، ثم إن نظام نميري دخل في عزلة عربية وديولية بسبب تهجيرته للفلان، كما ضمت داخليا بسبب خصامه مع الحركة الإسلامية، مما أدى إلى ضعف الجبهة الداخلية وانسحب ذلك على القوات المسلحة مما سهل مهمة جون فريز، مما أدى إلى النهاية لتفكك نظام نميري في أبريل ١٩٨٥. ولعل أهم نجاح للحركة الشعبية في الفترة الانتقالية تمثل في إيجارها لحكومة السيد / الصادق المهدي على إلغاء اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر والسودان.

## ثقافة الكراهية:

تجع خطاب الحركة الشعبية الفلم على مفردات الاشتراكية والتقدمية والتمهيش أن يقع مؤلفا حسنا، في فوس البير السوداني المصنوع بتجرعته مع نظام الرئيس النميري، والرابيع في تصفية الحسابات مع المؤسسة العسكرية السودانية ومع نظام الرئيس نميري، وبذلك دخل في تحالف غير منمن مع الحركة الشعبية

سخره وأن الكنيسة وهي التي مثلت صوت خلاص لأهل الجنوب، وصور المالمالين كأنهم يباينون والجنوبي كأنهم ملاك، كما برزت كتابات د. منصور خالد، هكذا تحدث جون فريز، وغيرها، وانزهر في هذا الإطار ادب الاستخبارات الكراهية التي ولق عليها شباب ساحط ويتنوعون سخي من الهبات الاستخباراتية والجماعات ذات الأجندة السياسية وفي فترة من الفترات أصبحت إذاعة الحركة الشعبية لتحرير السودان فاعلة وصوتها أكثر من إذاعة ام درسان، وبقية الإذاعات العربية، ولكن ما لبثت أن تلاشت هذه الهبة الأسفلتية لثقافة الحركة الشعبية وعطلها السياسي على الأخص بعد وصول الحركة الإسلامية واستلامها للسلطة السياسية في ٣٠ يونيو ١٩٩٨.

ومع أن نظام الإنقاذ استطاع عن طريق التعمية العسكرية والجهاد إعطاء الحرب مع جون فريز أولويته، وتدمير هيكل حركة الجيش الشعبي لتحرير السودان مما أدى إلى القضاء، والقضاء الكثيرين منه حتى إن قوام جيشه تناقص من مائة ألف ما يزيد إلى ما يقلل من الخمسين ألفا، ولكن النجاح الأكبر للحركة الشعبية تمثل في نجاحها في نقل دائرة الصراع خارج

فريز، كما برزت إريتريا كداعم لنظام الإنقاذ كما أدى تفكك الاتحاد السوفيتي وسقوط الكتلة الاشتراكية إلى حرمان الحركة الشعبية من مدد الأممية، كما استأذنت ليبيا لتصبح حليفا لنظام الإنقاذ كما توحيست بوهونا في البداية من مرؤز نظام قوى في السودان، إذ يقول في حركة تحرير الربيع حيث يؤازر بين الجيش الشعبي لتحرير السودان، ذهبت هذه التبرعات المالية والأحزاب المتوالية أن يفرج جون فريز مرة أخرى للجنود الأصلية التي نهضت عليها حركة الثورة والقواوة في جنوب السودان وهو بريطاني وإسرائيلي وأوروبي والغربية والولايات المتحدة والكنيسة العالمية ولكن برز لضج وضطارة وهاء قيادة الحركة الشعبية حينها استطاعت إملة علاقته من إريتريا وأثيوبيا، وكذلك الدخول في تحالف مع قوى السودان القديم، كل المجموعات والكتليات والأحزاب المتضررة من إهيام سلطة الإنقاذ وبرز ذلك في مؤثر القرارات المصرية والذي عقد في اسمر في عام ١٩٩٦ بزعامة من الحكومة الإسرائيية وحضور من أمريكا والدول الأوروبية التي أدى لقيام التجمع الوطني، وأصبح مفهومية الجميع وبرنامج سياسي اعتمد العنف والثورة، ضم كل القوى السياسية المناهضة للإطاحة بنظام الإنقاذ، وأصبح السيد محمد عثمان الميرغني، رئيسا للتجمع الوطني الديمقراطي، وجون فريز



اميناً عاماً وأقالماً للواء السودان الجديد  
المناطق به أحداث التغيير العسكري.

ولعل أبرز نجاحات الحركة ظهر في  
تجديدها في منطقة جنوب النيل الأزرق  
وبلغ هذا النجاح قمته حينما بسطت  
الحركة سيطرتها على مدينة الكرمك  
عام ١٩٨٨. وهي مدينة حاكمية ما بين  
النوبيا والسودان، كما يمتد منها طريق إلى  
مدينة الدمازين التي تخزن المياه للسودان  
ومصر، كما تتوكل فيها الكهراء التي تقضي  
معظم السودان، ومن سخرات الأقذار أن  
زعيم السودان حينها محمد الجريشي سافر  
للحراق وأحضر كميات من العتاد العسكري  
مكنت القوات المسلحة من استرداد  
الكرمك، ولكن بعد عشرة أعوام من ذلك  
أصبح السيد محمد عثمان الجريشي رئيساً  
للتجمع الوطني الديمقراطي المعارض  
وشريكاً لجون فريق مما أدى إلى إسقاط  
الكرمك مرة أخرى في يد جون فريق وما  
تزال حتى يومنا هذا تسيطر عليها قوات  
جون فريق تحت قيادة شريك من أبناء  
منطقة الفونج وهو الخالد مالك عقار.  
وحيثما زار وزير الدولة المصري للشئون  
الخارجية في يونيو ٢٠٠٤ الخرطوم،  
ودافعو أعقبها زيارته أخرى لجون فريق  
في المدينة الضعيفة المهمة مدينة الكرمك  
فذلك أمر له دلالاته ومفرا.

أما بالنسبة لشرق السودان، فقد كان  
التجمع الديمقراطي متشدد في قيام  
حركة ثورية مسلحة قوامها جمهور البجة،  
نسبة لأنها منطقة نفوذ للسيد محمد  
عثمان الجريشي، والذي لم يكن راضياً على  
خروج البجة من تحت هيأته، خصوصاً  
أنه كون جيش الفتح كخراع عسكري  
للاتحاد الديمقراطي.

ومعها يكن فقد انتهت التسوية في  
مؤتمر اسمرّا بإعتراف بمؤتمر البجة  
تحت قيادة أحد أبناء المنطقة (أحمد  
محمد طاهر) وإن ظل تسليحه وشؤيله  
وحركته محدودة، بينما تم التركيز على  
تنظيم آخر وهو تنظيم الجهود الحرة أو  
أسود الرشادية، وهي قومية ذات جذور  
عربية هاجرت من الجزيرة العربية في  
النصف الثاني من القرن التاسع عشر طلباً  
للعمى وتوطئت في مناطق البجة،  
وأصبحت كالبجة عابرة للحدود السودانية  
الإريتريّة، وإن كان ٨٠٪ منهم يقيمون في  
الطرف السوداني.

وينظر الرشادية صلاتهم مع  
السلطات السودانية من خلال قصيتين:  
القضية الأولى، هي القضية الاعتراف  
بكيانهم وإيجاد نظارة لهم وتمارس هذا  
القبائل المحلية، أي قبائل البجة صاحبة  
الأرض والتي لا ترفض وجودهم ولكن  
ترفض تخصيص كيان على أرض تقتطع  
لهم كمساحة مستقلة.

أما الأمر الثاني فيتعلق بالصدام  
الشرس الذي وقع بينهم وبين سلطة ثورة  
الإنقاذ، حينما تصدت للمجموعات  
المتخصصة في تهريب البضائع عبر البحر  
الأحمر وعبر إريتريا وصارت بضائعهم  
وعرباتهم وطارت شبابهم، والذي وجد  
الفرصة في تصفية حساباته مع الحكومة  
في تنظيم الجهود الحرة،  
والذي وجد التسليح



## الحركة الشعبية وحرق دارفور:

كان من أبرز مكونات التجمع الوطني الديمقراطي وحلفاء جون قرنق في دارفور «اتحاد السودان الفيدرالي الديمقراطي» الذي يترجمه السياسي السوداني الخضر أحمد إبراهيم دريج (من قبيلة الفور) وثلاثه دكتور شريف حريز (من قبيلة الزغاوة) وقد كتبوا جدهم طيلة فترة نشاطه لشماع التجمع الوطني بتفنيده السلطات العسكرية للتجمع الوطني في كل من جنوب السودان وجنوب السودان الأوسط والشرق، ولكن حينما نضجت التناقضات بين الشراكة السودانية الجنوبية بين الحكومات السودانية وجون قرنق وجد الاتحاد الفيدرالي نفسه معزولاً، وحينما طلبت قيادات دارفور من جون قرنق تشييلهم في المفاوضات الجارية مع الحكومة لتحل بأن الأمور لم تنضج في دارفور، وأن الحريق لم يشعل بما فيه الكفاية حتى يشتهر إليه العالم الخارجي، ويصبح جزءاً مهماً في محاولات قبضة السلطة والثروة وإعادة ميكة السودان القديم، لافاً نظره إلى ما قام به من محاولات لإشغال الثورة في دارفور، وكيف ضاع خمسة آلاف من رجالة ضيمية سهلة في يد الحكومة السودانية في عام ١٩٩١ بقيادة المرحوم د. ولا. ولكن تشعل قرنق من التزامه تجاه بيت الحياة في «اتحاد السودان الفيدرالي» الديمقراطي، كان يعود لسبب آخر وهو أنه بالتعاون مع الاستخبارات الإسرائيلية وإريتريا كان قد أعد فريقاً قوامه المقاتلون مقاتلين من أبناء الفور والزغاوة والمصاليات وحشد قيادة حفلاتهم السودانية ومنسوبي الحزب الشيوعي السوداني، وأصبح لهذا التنظيم اسم مشتق من الاسم الأصلي للحركة الشعبية لتحرير السودان حيث أصبح اسمه حركة تحرير السودان وثقيادة منى راكواي مناوي، واستفادت الحركة من العداوات التاريخية القديمة والمتأصلة في نفوس أبناء المنطقة والأمية المتغلغلة بوجود مشروع لاستئصال الزنقة من أهل دارفور، وتعود أوامهم هذا إلى مقرر عقد في ١٩٨٧ عام تضمن الحرب الأهلية العربية دعت بعض الجهات الليبية في محاولاتها لتطويق ليبيا، من العجيب أن القائلين العربية الكبرى كان زياراتها فاعطت هذا المشروع، بينما التفت هذه القبائل البدوية الصغيرة، ولم يكن لها المشروع أي أهمية تذكر، لذلك خلفت الحرب الثنائية الليبية. إذ رفر في خضم القبائل التشادية الرحمة، أن تسليح ليبيا للقبائل العربية الترابزة بقيادة أحمد أصيل وبني القصد منه استعصاف مركز القبائل غير العربية الأخرى مثل القرعان، والتي كانت تساند حكومة الرئيس محمد حريز كما تصاعدت هذه البثيرة إلى كل مناطق الحزام السوداني على غرار ما حصل من صراع بين مورتانيا والسفلال، وفي الطوارق وأخوانهم من مالي

## دارفور



### حينما طلبت قيادات دارفور

### من جون قرنق تمثيلهم في المفاوضات

### الجارية مع الحكومة لتحل بأن الأمور لم

### تنضج في دارفور، وأن الحريق لم يشعل بما فيه

### الكفاية حتى ينتبه إليه العالم الخارجي،

### ويصبح جزءاً مهماً في محاولات

### قبضة السلطة والثروة وإعادة

### هيكلية السودان القديم



والنيجر، ولكن خضعت هذه الحركة في الحزام السوداني حينما اتجهت ليبيا لإحياء فكرة الجامعة الأفريقية والأفريقية، خصوصاً بعد رفض القادة الأفارقة للحصار المفروض على ليبيا، ولكن ما إن تلاشت آثار الشروع في مناطق الحزام السوداني الأخرى حتى ترسخت في دارفور. وقامت على أساطير وأوهام أن هناك قبائل تريد استئصال قبائل حركات سياسية وعسكرية.

وما لا يعرفه الكثيرون الدور المصري في نشأة السودان، بل حتى لفظ السودان نفسه إنما أطلقه الخديوي السعدي بعد أن حارب أهله، سمياً به ما كان، والى ذلك صنفته مصر وعلى مراحل، ففي المرحلة الأولى تم احتواء سلطنة الفونج والتي كانت تحكم السودان النيلي الوسيط، والذي كان يجاور مصر وذلك في عام ١٨٢٠ ثم أدخلت مصر في إطار مملكة الفونج مناطق جنوب السودان الحالية في عام ١٨٢١ وبعد ثلاثة وخمسين عاماً انحلت بها أي في عام ١٨٧٤ دارفور وأطلق الخديوي إسماعيل على هذا المورد المؤلف من ثلاثة كيانات اسم السودان وظل الحنين للاستقلال يراود أصحاب مملكة دارفور وهم أسلاف الفور والزغاوة والمصاليات وبعض القبائل الأفريقية الأخرى الصغيرة، علماً بأن دارفور تبلغ مساحتها ما يقرب من ربع وتشتركها ١١٣ قبيلة معظمها تحت الحشبة العربي ومع أن دارفور هي المنطقة الوحيدة في السودان التي لم تستعبد بها كنيسة ومقتل كل أهلها الإسلام، بل إن العرب تسبوا في حفظ القرآن الكريم ربما توجد بعض قبائل الفور، إلا أن دارفور كذلك ظلت منطقة حروب وصراع مع سلطة ودائ أي تشاد في تجاه الغرب وفي حروب مع القبائل العربية المجاورة للحدود السياسية لدارفور كالتزنايات

والزنايات والمحاميد، كما ظلت الحروب سمة مع القبائل التي تشتركها الأرض كالمصر والبرقي والبرنو وغيرها ولم تهدأ دارفور لا في ظل الحكم العثماني ١٨٢١، ولا في إطار الحكم المصري ١٨٨٥، ولا في ظل الحكم التركي ١٨٨٨، ومن المعروف أنه حينما انشغل الخليفة عبد الله بمهام التصدي لمحلة كوش في ديسمبر ١٨٨٨، انسحب على دينار من أبناء سلاطين الفور وأبناء حرمته هارون إلى الفاشر، حيث أصبح مملكة أجادهم من جديد ابتداء من عام ١٨٩٩، واعتمد السلطان على دينار تعاليم وأوارد الطريقة الشاذلية كاساس روحى لوائته بدلاً من الأيديولوجية المجهودة، وسعى لإقامة علاقات جوار مع ليبيا والأطراف في العالم الإسلامي، وحينما أطلت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ قام بمراسلة سلطان تركيا، وكانت عواطفه مع الجور الذي يضم ألمانيا وتركيا في وجه الحلفاء مما جلب عليه غضب بريطانيا التي شددته بطائرات وزمناً كانت أول منطقة يستخدم فيها الطيران العسكري في أفريقيا وأند الحصار، كما أعيت بريطانيا العداوة التاريخية ما بين القبائل العربية البوية ذات الجذور العربية، ومملكة الفور بقيادة السلطان على دينار وأقامت بتسليح قبيلة الكباشيش في ليبيا لاستعادة دارفور وتم ذلك في عام ١٩١٦ بقوة السودان والفرز، وولقت السلطان على دينار والزنايات مع مملكة دارفور ووجهة العلمين المصري والإنجليزية في مكانه ليستبدل بالعلم السوداني في ١٩٥٧/١/١. ومنذ ذلك الوقت ترسعت في أذهان أهل دارفور وجود كيانين، كيان دعوى بوي تمتد جنوبه إلى نقيع أنحاء السودان بل وكذلك بقية أنحاء أفريقيا لأن حياته تقوم على البداوة وسير الحدود طلباً للثقل والرعي، ونسبة لذلك فإنه يظل مرتبطاً بالسلطة القومية العربية للحدود المحلية والولائية، وكان عامرة القبائل الزراعية المرتكزة في أرضها، وما ينتج من علاقات مع الأرض،

ومع أن هذه القبائل، قبائل مسألة، كما أن استقرارها يخلق بينها تجانساً مع الجغرافيا والتاريخ إلا أن علاقاتها تدهورت بشدة مع القبائل العرقية على الأخص بعد موجة الجفاف التي ضربت الساحل الأفريقي ابتداء من سبعينيات القرن المنصرم، مما عرض مزارع هذه القبائل للرعي الجائر من القبائل البدوية وحدوث الاحتكاكات والصراعات المألمة، ولكن الجديد هو استخدام السلاح الناري الفتاك بدلاً من الأسلحة البدوية، ولكن من أجل آباء الفتاك؟

## الجغرافية السياسية لدارفور

يمكن القول بأن من يحكم دارفور يستطيع تشكيل مناطق الحزام السوداني، وتاريخياً اخترق الفرنسيون منطقة دارفور قبل الإنجليز، ووصل قوادهم إلى مناطق دار مسالمت حدود دارفور الغربية في عام ١٩٠٠، وكان ممكناً أن تكون دارفور منطقة نفوذ فرنسي لولا المقاومة الجاسلة التي أبداه السلطان تاج الدين ضد الفرنسيين. أما الأمر الثاني فهو انسحاب القوات الفرنسية بقيادة مارشان، حينما جابهت القوات الإنجليزية في شفرة في عام ١٨٩٩، ويقال أنه نزل اسحاب مارتشان لوقت الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٩، بدلاً من ١٩١٤ وربما تغير تاريخ الدنيا حيناً لأن فرنسا ستكون جزءاً من الحور ضد بريطانيا العظمى، وما يمكن يحد ظلت دارفور مركزاً لحركات المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي في تشاد، ومن رحم دارفور خرجت حركة فورقوية ١٩٦٥ والتي أسست لمشروع حكم الشعب الإسلامي لجمهورية تشاد بدلاً من استئثار الشعب الاقتصادي المنتصرة بالسلطة والشرع، كما ظلت قبائل دارفور تسهم في تشكيل حركة الحياة في تشاد وأفريقيا الوسطى، ومن دارفور كدلت حركت قوات إدريس ديسو التي أصبحت قلباً للقرعان من السلطة لصعوبة لقب قبيلة الزغاوة، مما جعل السلاح الناري يتدفق من ليبيا وتشاد، كل يعز من حليفه في دارفور.

وحينما ضعفت هيكل السلطة في أفريقيا الوسطى التي كانت يحكمها الرئيس السابق لي تانسانيه قامت ليبيا بنقل القبائل التشادية حرساً للرئيس تانسانيه، كما عززت ذلك بنقل قوات سودانية وبعية جيبوتي لحراسة وضع متها، ومع أن السودان لم يكن من مصلحة التدخل العسكري في أفريقيا الوسطى، ولكنه ربما هذا كله ليس نتيجة الضعف للتحرير وتهاك نظام باثيس في أواخر لعيات ٢٠٠٢ وتقهقر سياسات أفريقيا الوسطى إلى دارفور وبيع سلاحه لمن طلب

والمساواة في ألمانيا لوجود عدد من شباب الزغاوة المتحمسين هناك واستفادتهم من خدمات الكنيسة الانجليكانية الألمانية AKD ومنظمة سودان فولك بويت الألمانية. ومع أن الاستخبارات الإسرائيلية والت نشاطها في دارفور هي الظالم محمية نشاطاتها، إلا أن التقارير تفيد أن إسرائيل تمارس نشاطها من أسمرأ التي أصبحت مركزاً لقيادات حركة العدل والمساواة وحركة تحرير السودان، وثالث الأمن العام للمؤتمر الشعبي، وأبرزت الصحف الإسرائيلية والتليفزيون الإسرائيلي صور قيادات الثورة والتقدم في دارفور في حضرة الرئيس اسباب الحرق ومساعد الأمين محمد سعيد، كما توافرت الأنباء عن لقاءات بعضهم بالتفصيل الإسرائيلي هناك. كما أعلن خمسة من أعضاء المكتب السياسي للجمعية الفيدرالية بالسودان استقلالهم نسبة لزيارة مسئول كبير بالجمعية ويتكلم باسم دارفور الإسرائيلي، كما نشرت جريدة The Jerusalem post الصادرة في السابع من أغسطس ٢٠٠٤ أن وزارة الخارجية الإسرائيلية تقوم بتعبئة المنظمات اليهودية لدعم أجهزة الإغاثة المتلفة بدارفور تحت واجهة جامعة، وأن وزير الخارجية الإسرائيلي سلفان شالوم خاطب مجلس الوزراء قائلاً إن إسرائيل تواصل مساعيها لمساعدة الجهود الدولية المتلفة بأناس الإنسانية بدارفور وأن أمة إسرائيل التي كانت لها معاناة عظيمة في الماضي لا يمكن أن تقف مكتوفة الأيدي إزاء الآلام التي تصعب بالآخرين في دارفور وما خفى أعظم.

## التوظيف السياسي

### لتقاضي التخلف والفقر،

خلقت الاتفاقيات تقاسم السلطة والثروة ما بين الحكومة السودانية والحركة الشعبية لتحرير السودان، دافعية سياسية جديدة في كثير من أطراف السودان خصوصاً أن هذه الاتفاقيات تنقل هيكل السلطة من المركز إلى الأقاليم، كما أنها أوجدت مناهل للتدخل الدولي منها العسكري والسياسي والاقتصادي، أما العسكري فيمثل في قوات المراقبة والرصد والتي أصبحت تنتشر مع انتشار مناطق النزاع أي في جبال النوبة وكذلك سيتم الانتشار في جنوب السودان، ومناطق جنوب النيل الأزرق والشرق وأبيي ودارفور، وتشكل هذه الرقعة من المساحة أكثر من نصف السودان لأن مساحة الجنوب ٢٥ ألف ميل مربع ودارفور مائتي (٢٠٠) ألف ميل وجبال النوبة ٢٢ ألف ميل مربع، وجنوب النيل الأزرق ٢٦ ألف ميل مربع، وهذه بدو شكل أكثر من خمسمائة ألف ميل مربع، ويسكنها أكثر من ثلث سكان السودان، كما أنها تتميز بأنها سودان المستقبل فيها تكمن الموارد الطبيعية من مياه ونترول وحطب ويعتبر حرمة النحاس في دارفور جزءاً من حرام اليوزايوم الذي يعتمد من الشجر ومرواً بأمرقيا الوسطى وانتهاء



ويأثفه الألمان كما أصبح بعض مكونات الجيش مواء لما عرف بمصائب السحب المسلح، وفي ظل هذه الظروف المتقدة، تكاملت أبعاد انقسام المؤتمر الوطني الحاكم، الذي انشق إلى جناحين، جناح مع السلطة احتفظ باسم المؤتمر الوطني وجناح اختار مسمى المؤتمر الشعبي.

وكان لانقسام التيار الحاكم في السودان إلى فريقين أحدهما وقع مع الدولة بقيادة الرئيس البشير كحقيقة واقعة، وإكطار لمشروعية والشرعية والآخر انحاز إلى دكتور الترابي، بينما احتار قسم لا يستهان به، وأصبح في منزلة بين المنزلتين وهذا النظام بمقداره الدكتور الترابي ليس فقط، المرجعية الرجعية، ولكن الرجل بعيد النظر الذي كان يتحسس للمآلات ويخطط وفق ذلك ولكن أخطأ، د. الترابي في حساباته مع الرئيس البشير ومعهما يتك. فإن انقسام السلطة الحاكمة أدى إلى إضمار هياكلها، ومع أن السلطة الحاكمة حاولت أن تعوض ذلك بالانفتاح على الغرب، وبالأخص أمريكا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ إلا أن حساباتها أخطت ولم تأت بثمار واضحة إلا على مستوى العلاقات العربية وعلى الأخص مصر ودول الخليج.

حينما شعر الترابي بأن حساباته في أمر السلطة قد طاشت وأن هياكل الدولة تنفذ من مشروعه، أخذ في التركيز على أبناء الغرب أي دارفور كعصبية تنظيمية وسياسية وجعل ثالثه من هنالك، وقد تحدث في مجالسه بأن الإمام الهادي وجد النصرة في الغرب، ولم يكن دقيقاً في ذلك لأن العرب القصي آخر من ناصر الإمام الهادي، اللهم، إلا إذا كان يقصد الخطيئة عبد الله النعاشي فهو محسوب كذلك على تيار الغرب العرويس.

وأخطأت الحكومة حينما تعصبت مؤيدي دكتور الترابي من أبناء الغرب في هياكل الدولة، وتكونت حركة العدالة والمساواة كواجهة من واجهات المؤتمر الشعبي، ولكنها ما لبثت بعد اتصالها تنظيمياً وحركياً بالقيادات الغربية، أن أصبحت لها شخصيتها وكيانيتها الخاصة، وأصبحت مرشحة للخروج من عباة الترابي كما فعل تلاميذه الذين نضروا بالسلطة.

ووجدت الحركة أرضاً خصبة لممارسة نشاطها في ألمانيا حيثما تصفد مؤتمر المهتمين بدعوة وشوول من المنظمة الألمانية AKE في مدينة هنتنجن في أبريل ٢٠٠٣. وأصبح دكتور علي الحاج نائب الأمين العام للمؤتمر الشعبي رئيساً للمؤتمر كما التقى وزير الخارجية الألماني هيشر بقيادة الحركة وبرز اسم الحركة في ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٢ في مدينة الفاض حينما قامت بالتنسيق مع حركة تحرير السودان نصرب المدينة واحتلها لعدة ساعات وتديرست طائرات عسكرية وكانت هذه الضربة الموجهة التي أهلت السلطة وكسرت هيبتها في دارفور المناسبة التي تلفت الرأي العام المحلي والعالمي إلى أن الفضل والثروة في دارفور قد دخلت مرحلة الاعودة كما أصبح قادة الحركتين نجوماً على مؤائد الفضليات والإذاعات وقيل ذلك الاستخبارات، وتركزت حركة العدالة

الإحاطة بمصر فاعليه بالسودان، وازدادت أهمية السودان كذلك باكتشاف البترول واليورانيوم فيه، كما زادت أهمية أمن البحر الأحمر الذي يسيطره السودان وفي ظل هذه المتغيرات يمكن القول بأن السودان يحتاج لحكومة قوية يقوم حولها ما يشبه الإجماع الوطني، بمعنى أنها تجمع بين عنصرى القوة والتمثيل فكانت السودان وهذا يحتاج لولاية عميقة واجتهادات، لأن وصفا الدولة للحكومات الحزبية عدم مقدرتها على الاستجابة لمشكلات السودان ثلاث مرات، كما أن ذات الوجهة التي تطرح نفسها كحل سبق أن جربت، وانتزعت منها السلطة على النطاقين، في الأطراف والمراكز ولا يمكن التمويل عليها في مرحلة دقيقة ومركبة كما هو حدث الآن.

ومن الناحية الأخرى، فإن مسوغات التجديد والتفويض للحكومة الحالية غير مبررة، لأنها فشلت في إقامة مؤسسات حكم قوية وقادرة على الحاسبة وفشلت في قضية الشفافية كما فشلت في ترقية الأوضاع الشورى والديمقراطية فكانت في حصف الأمن ما أدى إلى انقلاب الوضع دارفور. كما أن الفشل في حفظ الأمن يعني فشلها في رعاية وتنمية المؤسسات القومية التي حول عليها السودان وظلت مسؤولة عن تحديد حدوده وأوضاعه، كما توجد طريقة لتحديد على من تقع مسؤولية الفشل إلا بإطلاق القول على عموه بأنه فشل الحزب وحشده في الفترة الأخيرة وبالتالي التي أجهت مدركة الضعرة، التي أبعد بقضاها هـ، الترابى لتحل محله عقيلة قابضة، استغنت بداهب الترابى عن الطوبطان والعجيلة المتعلقة بنغايه من شورى ومحاسبة ومؤسسية وشعافية.

أدى تعقيد الأزمة السودانية، إلى فتح شوية الأجنحة الخارجية والتوظيف السياسى، حيث تحوم الدول حول الجفة وتحلق الصقور لتناقض على الفرصية الضمنية، وفي ظل هذه الأوضاع، فلا يمكن استئزال سودانيين من المرجح لحكم السودان، وبظل الأمر معقودا بجوار مسؤل من كافة القوى الوطنية لإيجاد حكومة تراضى وطنى وقومى في مهلة تسبق انتخاب للانتخابات لترتيب الأوضاع، وطنى وقومى هنا كلمتان مترادفتان.

وهي هذا الإطار فلا غنى عن الحريات وللحريات تبعاتها من سيادة قانون وقضاء قوى ومستقل وكذلك الحاسبية والتفصى أن تكون للجهاز التشريعى والقضائية صلاحية حاسبية رئيس الدولة ومعاقبته وكذلك سيادة الشورى والشفافية وفي تحسين حاصل الدين الألوين. لقد دفع اليأس بعض مكونات النخب لطرح فصل الجنوب وفصل الجنوب سيولى إلى تفتيت السودان وجواره وخلق دوليات وصفة على غرار الجارة الصومالية وطرح البعض الفيدرالية بين الكيان السودان وهو حل تحت الاختيار وطرح آخرون الفيدرالية بينما طرح البعض الوحدة مع مصر وكل هذه الأوضاع تحتاج تأكيد بأن السودان يبحث عن حله وعن حل وتشخيص الأزمة نصف الحل راجو أن تكون هذه، مساهمة في هذا الاتجاه. ■



## تكتفت التدخلات الخارجية

### الطامعة في هضم السودان

### واحتواء مصر، وكما يقولون

### فإن مشكلة السودان الرئيسية

### أنه يسبب مصر وبالثنائى

### فإنه عمق مصر،

### ومن يريد الإحاطة بمصر

### فعليه بالسودان



## رؤية للمستقبل،

والصمم الحادث في هياكل السلطة والدولة، وفي إطار هذه الصورة يصعب التنبؤ بالتطورات السياسية والألات المستقبلية. تطف الأوضاع السياسية في السودان في ممتري طرق، كما تبدو هناك استحالة مادية في القضاء على حركات التمرد والثورى شرق وغرب وجنوب البلاد في وقت تزايدت فيه التدخلات الدولية، إن السودان تشكله على الأقل ثلاثة بلدان لكل بلد خصائصها السكانية والاقتصادية والتاريخية (السودان النيلى الأوسط، دارفور، وجنوب السودان) بل إن كل كيان من هذه الكيانات فيه من التعددية العرقية والثقافية ما يجعله يسبح وحده، وتأثرت هذه المنطقة بالتدخلات العربية والقبلية على طول الحدود مع جيران السودان التمسعة، وقد أغرى اتساع مساحة السودان بعض جيرانه بالقطع أجزاء كبيرة منه، فقد أخذت كينيا مثلث إلى وهي منطقة ضخمة، وفيه نالوا، ما وضع الزامزون الألبانيون أمامهم، كما سول الضفة الخصبة، لخلق أروافع، كما أن حدود السودان التي تزيد على ستة آلاف كم متر غير محططة ومتاخلة مع دول الجوار، كما أن هذه الحدود التي خطها المستعمر بصورة عشوائية قسمت القبائل السودانية مع دول الجوار، فالزاندى ما بين السودان والكنتو، وتابو والأشولى والتالى والكوكا ما بين السودان ونيوفا، والتبوسا ما بين السودان وكينيا، والأدوك والتوير والأدوك والقمر ويكيلي، بل ينشغل من بين السودان وأثيوبيا، والهاجا ما بين السودان وليبريا والفارينين والثوبه ما بين السودان ومصر - إلح -

وفي إطار هذه التعددية تكتشت التدخل الخارجية الطامعة في هضم السودان واحتواء مصر، كما يقولون فإن مشكلة السودان الرئيسية أنه جنوب مصر وبالثنائى فإنه عمق مصر، ومن يريد

بالكثرو والثير، ومن المعروف أن الولايات المتحدة طلبت تعتمد على البورانيوم الإفريقى، وحتى قنبلة نجازاكى وبورانيوم تم تطويرهما من البورانيوم المستخرج من الكنتو/ رابتر، وقد شهد العالم كيف حاولت الولايات المتحدة جعل بورانيوم النيجر أحد مسببات غزو العراق، ولكن على الشراء الكامن في هذه المناطق من السودان، فإن إفسان هذه المناطق ما يزال قفيرا، ومنها، وأصبح لا يعرف في السنين الأخيرة إلا صناعة الحرب، وادت مسعوط الحاجة والمصر والعوز إلى الاستجابة للإماتار الدول، لأن البطلون الحاملة لا تعرف للعانى العالمة. ونتيجة لذلك شاعت الفوضى، كما شاع التحديد القسرى لمصلحة مختلف المنظمات والقبائل والأحزاب وأمرأ الحرب، وتكتشف الخريطة العسكرية مثلا لجنوب السودان أن هناك ستة وعشرين مجموعة عسكرية منظمة بجانب جيش الحكومة وجيش الحركة الشعبية لتحرير السودان، وبعض هذه الميليشيات لها هياكل سياسية وعسكرية مثل قوات دفاع جنوب السودان، وبعضها يملك الهياكل العسكرية مثل مجموعة قوات الفزال وقوات دعاء جنوب السودان وقوات السلام فارين وقوات شردة المتحدة وقوات السلام الناصر، وقوات السلام واد وقوات السلام شمال أعالي النيل وقوات المان، وغيرها، ولا تقل قوة هذه الجماعات المسلحة عن الثلاثين ألف مقاتل، ولكن لا يمكن شيئا سوى الديمقراطية، وكذلك ينتشر السلاح في دارفور، حيث تقدر بعض الجهات، أن في دارفور ما لا يقل عن نصف مليون قطعة سلاح موزعة على القبائل والحركات العسكرية المسلحة، وكذلك ينتشر السلاح في ولاية كردفان وسط القبائل الرعوية، والتي كانت تطلق عليها الدوائر الغربية اسم المراحل، ولا تم تسميم مسعها وصومها بذو الطريقة التي حدثت للقبائل البدوية في دارفور والتي أطلق عليها مصطلح الجنود.

وهي الآن انتشار شائع العنف يبدو الأراء الحكومى في هذه المناطق ضعيفا ومتلاشيا، بينما يزيد التوظيف السياسى في مختلف القوى السياسية التي تحاول أن تتحالف مع الحركات الرافعة للسلاح، ومن آخر مشهد، لذلك يقبول التجمع الرسمى للمصطفى الحارضى لتحرير تحرير السودان في صوميتة، كما تسمى حركة العدل والمساواة لدات الوضعية.

وهي على تزايد التدخل الدولى ويكمن أن هناك ثلاثة جيوش أجنبية تملك تدخل الارامى السودانية، ومنها الجيش البوغندى الجرمي في المناطق الاثيوبية بحجة مقاومة الجيش العرب والجيش التشادى الذى يدخل في معارك ضد ما يسمى بالجنود، ويقدم أحيانا الدورية والسلاح والتدريب، والجيش الإرتري الذى خلق واقعاً على الأرض في منطقة همتكوب بشرق السودان، وفي ظل هذه

وهي على تزايد التدخل الدولى ويكمن أن هناك ثلاثة جيوش أجنبية تملك تدخل الارامى السودانية، ومنها الجيش البوغندى الجرمي في المناطق الاثيوبية بحجة مقاومة الجيش العرب والجيش التشادى الذى يدخل في معارك ضد ما يسمى بالجنود، ويقدم أحيانا الدورية والسلاح والتدريب، والجيش الإرتري الذى خلق واقعاً على الأرض في منطقة همتكوب بشرق السودان، وفي ظل هذه

# جنسية التاريخ والجغرافيا

## أليكس دي وال

بالضيق، واخذوا يعزفون المرتفعات الفلحة في محاولة لزراعة القليل من اكواز الدخن. وبذل الشيخ ما في وسعه للمحافظة على المظاهر، فهي السماء كان يقدم وجبة سخية من لحم المازم والأرز، ويعلمنا بالاتجاهات التي يمكن أن نجد فيها أبناءه وابله. وحين انتهينا، حيث اكنا أكثر مما يكفى، نادى ابنة اخيه قائلاً: «أحسرى الصنف التالى» ولم يكن هناك صنف تالى.

غزا البريطانين دارفور (أرض الفور) في عام ١٩١٦ حيث هزموا جيش السلطات على دينار سليل مؤسس سلطة الفور في القرن السابع عشر الذي تقع مقبرته التي أعلنت منذ زمن بعيد في الجبال التي تبعد مسيرة يوم بالسباحة جنوبى عامو. وكشأن الكثيرين من كبار الزعماء السياسيين في دارفور، كان سولونج من أصل مختلط، فهو ابن لآب عرس وأم من الفور. ورغم الحديث عن «العرب» وال«أفارقة»، فمن الشادر أن تصد على أساس من لون البشرة إلى أي من جماعة ينتمى إلى شخص دارفورى. فقد عاش الككل هناك منذ قرون وجميعهم مسلمون.

الكثير من خرافات دارفور بها أسماء قبلية مكتوبة على مناطق شاسعة، ما يوحي بأن بعض المناطق تسكنها بشكل حصري إحدى جماعات العرقية الأفريقية التي يزيد عددها على المئتين. وقد يكون هذا مضللاً فهناك ذلك التاريخ الطويل من الهجرة الداخلية والأختلاط والتزاوج، بحيث تكوّن الهجود العرقية على أغلب الأحيان مسألة لتفسير وليس إلا. فالأفراد، وحتى مجتمعات بأكملها، يمكن أن ينتموا إلى لاقايت ويكتسبوا غيرها وحين غزا البريطانين المنطقة وجدوا أنه من المرجح افتراض أن شيوخ المشايخ قسما السلطة بدلالة على الجماعات العرقية ومناطق النفوذ على الرقعة التي تخص كلاً منها. ويتفق أهل دارفور على هذه الرواية الخبيثة التي ساعدت البريطانين على إدارة دارفور بحمته فحسب من الصباط الاستعماريين، وكان مفتاح جعل نظام «الإدارة المحلية» ذلك يحقق أهدافه ولم منع منطقة ما، أو دار، لكل جماعة. ولم تكن تلك ملكية للأرض على وجه البقعة، بل كان يسمح لشيوخ المشايخ بتوزيع حقوق الأرض على القيمين، وحتى وقد جفاف الثمانيات كان هناك من الأراصف ما يكفى لإعطاء الوافدين الجدد، بغض النظر عن عرقيتهم، قطعة منها.

كان الشيخ هلال فخوراً كل الفخر بأسلوب حياته البدوي. وكان يصر على أن يمتلك الجميع في قبيلته الإبل. وقال وهو يشير إلى خفيده، «انظر إلى ذلك المصبي الصغير. حتى هو يمتلك الإبل». وكان ذلك يبدو حقيقياً؛ فحتى في تلك الاوقات القصية، كانت عائلة هلال مشهورة بأن لديها عدة آلاف من الإبل، وإن كان الشيخ قد طعن في السن بحيث لا يمكنه امتطاء أي منها وناذراً ما يراها. كانت قطعانه على بعد ثلاثمائة ميل على الشمال ترعى أعشاب الصحراء الحولة بعد المطر. وكان ابن أخيه قد باع مؤخرًا ١٢٠ جملًا لتوفير الطعام لأبناء جلدته الجوى، وأقرض هلال الكثير من ذلك القطيع، الذي كان يتناقص بشكل أسرع مما يعرف هو، لأقاربه الفقراء. وقد قال: «نحن نساعد بعضنا. ولن يضطر الجلول للعمل في الزراعة».



لكن على مسيرة ساعة من هناك وجدنا خيماً لجلول قدقوا إليهم ومازهم أشاء الجفاف واستقروا في محاولة لظفره. ولم يكن القرصيون المحليون من جماعة التجزور (وهم الأقارب الفور، التي هي أكبر جماعة عرقية في المنطقة) قد أعطوهم سوى الأراضي الرملية الجافة، بينما احتفظوا لأنفسهم بالأرض المشيئة المجاورة للوادي. ولأن وادى تيم مشهور بتمرة الحلو، فهو من بين أكثر الأراضي الزراعية قيمة في شمال دارفور، وكان التجزور حرسين على تسجيلا قبل وقت طويل من إدراك المزارعين الآخرين لأهمية سدة الملكية القانونية للأرض. وشعر فلاحو الجلول

كما قال لي إن آخر إنجليزي استمتع بصيداته كانت مساعد مأمور المركز ثيسجر، الذي خدم في كتم. وكان ثيسجر مشهوراً في دارفور في المقام الأول باعتباره راعياً ممتازاً. وفي تلك الأيام كان الضباط البريطانين هم وحدهم المسموح لهم بامتلاك بنادق تتميز بما يكفي من قوة ودقة للإيقاع بأسد. وفي وقت زيارتي في عام ١٩٨٥، كانت الأسلحة النارية المملوكة للأفراد نادرة. وقد اعطاني النافظر من فيل الزراف حين رحلت. ونتيجة للتفتيش البني أكثر منه بسبب فرق الصيد الاستعمارية، اختفت الأسود والزراف في الوقت الحالي من كل دارفور ما عدا أطرافها الجنوبية حيث تمتد الغابات إلى داخل جنوب السودان وجمهورية أفريقيا الوسطى. وفي هضاب شمال دارفور شبه الجبسة، حيث تقل المسافات إلى الصحراء، لم نر سوى الغزلان بشكل عرضي.

كان هلال شخصية قارئة، حتى وهو في الثمانين من عمره وجسمه نحيف وقد الحسنى ويكاد لا يرى. وتحدثت الصوفيين، ويكاد يكون كل أهل دارفور اتباع إحدى الطرق الصوفية التي يعود أصلها في القاب إلى غرب أفريقيا، من البركة. وقد هلال يعتقد أن «المشيئة» من عند الله. أما درجات المشيئة فمن صنع البشر. وبدلاً من لقب النافظر الذي يتسم بالرفعة من الناحية الرسمية، يتصمك هلال بلقب شيخ الأقل منه ولكن معناه أكبر: وهو معروف على امتداد دارفور باسم الشيخ هلال فحسب. واليوم نجد أن اسم ابنه موسى معروف على نطاق أوسع؛ فهو سلال هو زعيم الجناح، واسمه هو الأول على قائمة الحكومة الأمريكية الخاصة بالمشيئة في ارتكابهم جرائم حرب.

■ تتسم مناطق دارفور الطبيعية بجمال فاس، والقليل منها أشد قسوة من مخيم عامو لبدو الرجل. فهو يقع في أرض فاحلة تكثر فيها الحجارة على سهل تحيط به الجبال التي تشكلت من تلب بركاني قديم، ويوجد منحدر صيد من الرمل الوردي مسار النهر الموسمي، وادى كتم. وقد أقيمت هناك منذ سنوات في ضيافة ناظر (شيخ مشايخ) الرمال، وإبلاه البدو الرجل العرب المعروفة باسم الجلول. ومع وجود خيامهم السوداء العريضة المصنوعة على الرمال، وإبلاه التي ترعى الأشجار الشوكية، وبعض المشكلات الضخمة المتناشئة وإن كانت مصنوعة يدية، كان هؤلاء البدو مادة لكتب الإثنوغرافيا المصورة ذات القطع الكبير. وأيوب تقع عامو وسط العنق الذي يشوه شكل دارفور. حيث لشي عشرات الآلاف مصرعهم، وطرد مئات الآلاف من بيوتهم. وقد وقعت أول منحة في الصراع على بعد أميال قليلة من عامو، حين قتل ميليشيا جانجاويد العشرات من القرصيين الذين كانوا ينشدون الأمان في بلدة كتم.

التقيت بالناظر المس، الشيخ هلال، في عام ١٩٨٥. كانت خيمته معلق بها معدات الإضاءة من جزار ما وسروج ورماع وسيوف وحناقب جديدة ونسقية قديمة. وقد دعاني للجلوس كباتته فوق سجادة عجمي فخرة، واستدعى خادمه كي يقدم لي الشاي الحلو على صينية من الفضة، وأخبرني أن العالم في طريقه للنهاية. في ذلك الوقت كانت دارفور قد أطبق عليها الجفاف وكانت تميرت مزرعة على شكل الصدور. وكانت زراف الصحراء الكبرى تدفع بالزراف إلى سفوح التلال الخفية، وكانت حين تعمر يشق الماء الحاديد عميقة في التربة الطبيعية الصخرية على امتداد الوادى. والأشوا من ذلك أن القرصيين الذين كانوا يستضيفون لبدو الرجل باستمرار كانوا في تلك الآونة يحولون دون هجرتهم ويمنعونهم من استخدام المراعى والأبار. التقديش حلال بشدة لعدم تحدثي اللغة الأفريقية كالأفريقي: فقد كان كل الصباط الاستعماريين تدرس لهم اللغة العربية (الفصحى)، وليس اللهجة السودانية الخاصة بدارفور التي تعلمتها.

عن: London review of Books

ترجمة: أحمد محمود

العدد الثامن والسون - سبتمبر ٢٠٠٤ م

كان الفيوم الرحيل شديداً في هذا النظام، فيعطون الذين يوصفون عادة بأنهم رحل هم في الواقع الرعاة الذين يشقون مناطق محددة تحديداً جيداً، إلا أنه كان هناك عدد قليل من جماعات النبدو الرحل في دارفور، مثل جماعة جلور التريقات التي يراسها الشيخ هلال. وكانوا يعطون مساحات شاسعة بين مناطق الرعى في الموسم الجاف في وسط دارفور وجنوبها ومراعى الموسم الممطر على الجانبين، المصحرة في الشمال. وفي السبعينيات جعلت حكومة جعفر النميري الاشتراكية للجلول «مجلساً تعليمياً رياضياً، على هيئة قرية تسمى هاتو بولولو (حيث تركنا الطريق للبحث عن عمار). وكان ذلك كلاً من تمويل إداري، ومكان يمكن أن يسجلوه في من أجل الاقتراع وإدخال ابنائهم المدرسة، أما بالنسبة للرعى قطعانهم، فقد كان الجلول يقيمون على الترحال، فيجتازون طرق الهجرة بين مزارع المور وقرى التجنح، ويوصف ترعى إبلام على سفوح التلال. وحصل الشيخ هلال ما يمكن في أحسن الأحوال اعتبارها، جغرافياً، أخلاقية، خاصة بدارفور، أنها أشبه برخصة شطرنج، حيث تمثل المربعات الحمراء المزارع والمربعات البيضاء المراعى التي يمكن أن ترعى فيها قطعانهم، كما قال «حيثما يكون المطر والعشب يوجد الله ما هو بيتي». ويتذكر أحمد دريح محافظ دارفور السابق، وهو منذ الوقت معارض سياسي قديم، كيف كان والده إبراهيم، وهو شرتكي من دارفور (والشرتكي كلمة أخرى تعني شيخ مشايخ القبائل)، يستضيف عربة الشيخ هلال وإبله كل موسم في قريته كرافقه إلى سفوح جبل مرة. وكان شرتكي إبراهيم يبيع دواجن ذكوراً للترحيب بالجلول الذين كانوا يرمون إبلام في الحوض التي خضعت محاصيلها، وكانت بذلك تخصبها وتساعد القرويين على قتل غلالهم إلى السوق. وكان هلال يبيع قميصه جملين صفييرين عند رحيله. وكشأن الكثيرين من عرب دارفور، يستعمل الشيخ هلال من حين لآخر نوعاً غصيرية مثل الزنق (السود) إشارة إلى الملاحين من الفور والتجنح. وكان الفلاحون يدرهمهم يصفون الببدو بأنهم متوحشون ووثنيون. غير أن الجنتيين كانوا يعتمد كل منهم على الآخر، وكان هناك تزواج بين كبار العائلات من الحناك.

في حالة عدم وجود دار، كان الجلول وحفنة من جماعات الرحل الأخرى تعتمد على نظام اجتماعي جفرائي يعطيهم حقوقاً عرقية كى مهاجروا ويرعوا حيواناتهم في المناطق التي يسيطر عليها

المراعون. وظل ذلك هو الحال عشرات السنين، ولكن بحلول الثمانينيات كان الجفاف والتصحر وتوسع المزارع يهدد تلك الحقوق. فقد عيقت جغرافيا الشيخ هلال الأخلاقية، حيث ترك النظام الكونى مكانه للفوضى، إلا أنه بفضل الموت على أن يتغير.

كانت الإدارة المحلية، حكماً محلياً بلوى خمس، فقد كان يدفع للشيوخ أجراً زهيداً، بينما كانوا يتلقون مكافأته من خلال الاستشارة المحلية، وبعد أن حقق السودان الاستقلال في عام ١٩٥٦ حاولت الحكومات المتعاقبة بناء خدمات محلية مثل الشرطة والمدارس والمؤسسات. وقد أُنشئت مناصب الشيوخ والنظار رسمياً وأُنشئت المحاليل الشيعية، لتقوم بنسب الوفاة، ولكن الخرطوم لم تقدم قط الميزانيات، وبحلول أوائل الثمانينيات انقلب الحكم المحلي. وحين كان محافظ دارفور يرغب في القيام بعملية للشرطة ضد رجال العصابات، كان يستولى بالقوة على مركباتهم ووقود من مشروعات تنمية ريفية يمولها البنك الدولي، أو من إحدى وكالات الإغاثة. وإذا أراد عقد لقاء يجمع القبائل لحل نزاع ما، كان يضطر لطبل تقطيع النفقات من المواطنين الأثرياء.

اندلعت سلسلة من الصراعات المحلية في دارفور في أعقاب الجفاف والجماعة في ١٩٨٤ ١٩٨٥. بصورة عامة كانت الجماعات العرقية تؤلب على المزارعين فيما أصبح صراعاً مريراً على الموارد المتناقصة. لم تتدخل الحكومة التدخل الصالح، مما أدى إلى تسليح الناس لأنفسهم. وكان القطيع الذي يضم ألف جنبل مثل ما يرتد على الجمور دولاراً من الجماعات المحلية، وصاحب القطيع الأكثر سداجة هو من لا يشتري البنادق الأثيرة لرحلاته. وردا على ذلك سلح

الفريون أنفسهم. وكانت هناك محاولة لتفقد مؤتمر مصالحة في عام ١٩٨٩، إلا أن التوصيات لم تنفذ قط.

ولدى عام ١٩٨٩ كذلك خلع الإسلاميين حكومة صدادق المهدي في الخرطوم. (وكان صادق المهدي قد فاز في انتخابات ١٩٨٦، أي في العام التالي للإطاحة بالنميري). وكان رئيس الدولة حينذاك جندياً متديناً وقاسياً، وهو عمر البشير الذي حكم في تحالف غير مستقر مع حسن الترابي، ذلك الزعيم الكاريزمي للحزب الإسلامي في البلاد. ومع وجود الإسلاميين في السلطة حاول الحكوم المحلي في دارفور التعويض عن نذرة إقائنا القبض على المجرمين وموشية الإعدام التي كانت تورعها، وهي الإعدام عريض جثث المصلوبين المسلحين وقطع يد السارق. وفي عام ١٩٩٤ أعادت الحكومة مجلس الإدارة المحلية القديم وصصت مناطق للشيوخ. ومع عدم وجود ميزانيات لتوفير الخدمات، وفي ظل السلطة التي تجددت فجأة لتوزيع الأراضي (التي بالث نادرة). ووجود أعضاء لجان الأمن الأهلية ذاتية التسليح في كل مكان، كانت تلك الرخصة للتشريع العرقي على المستوى المحلي. وبعد ذلك الإصلاح الإداري مباشرة كانت هناك جولة أخرى من أعمال القتل في أقصى الغرب من السودان. وبذلك تجد أن جزءاً كبيراً من الصراع الحالي ترجع أصوله إلى حقوق ملكية الأراضي وغيوب الإدارة المحلية. إلا أن الحكومة المركزية متورطة كذلك في محنة دارفور، حيث كان للإهمال والتلاعب دوران متساوياً. وتعاقد الجغرافيا دارفور. فبيلدة الجنتية الكبيرة في أقصى الغرب من دارفور، والقريبة من الحدود مع تشاد، يمال إليها بعيدة من البحر أكثر من أية بلدة أخرى في القارة. وهذا الجزء من دارفور، الذي تشعبت سمته بدار مساليت، نسبة إلى الجماعة الإسلامية، لم يضمن إلى السودان إلا في عام ١٩٢٢ بموجب معاهدة بين السلطان والبريطانيين. ومنذ فترة

إن جزءاً كبيراً من الصراع الحالي ترجع أصوله إلى حقوق ملكية الأراضي وغيوب الإدارة المحلية. إلا أن الحكومة المركزية متورطة كذلك في محنة دارفور، حيث كان للإهمال والتلاعب دوران متساوياً

قريبة جداً كان حميد السلطان، الذي يجمع حاشيته في قصر أبي للسقوط، يقول مازحاً إنه مازال له الحق في الانفصال عن السودان، وكان لا يزال يعلق في مكان بارز على جداره خريطة دار مساليت وأفريقيا، وليس خريطة السودان.

يتوقف القطار القادم من الخرطوم في محطته الأخيرة في نبالا جنوب دارفور بعد رحلة تستمر ثلاثة أيام. وتستغرق الرحلة بالسيارة إلى الجنتية يوماً آخر على الأقل، إذا لم تقطع الأودية الضيقة حاملة مياه الأمطار من جبل مرة التي تجاهلت الخرطوم دارفور، فقد تلقى أهلها قدراً أقل من التعليم، وأقل من الرعايا الصحية، وأقل من مساعدات التنمية، وعدا أقل من المراكز الحكومية مقارنة بأي إقليم آخر، حتى الجنتيين الذي شهورها السلاح منذ ٢١ عاماً كي يحاربوا من أجل حقوقهم وحصلوا على مسقة أفضل. ودارفور على العرب والعرب على العرب في ضوء من التمييز، ومساواة دارفور في أنقادة تلك الجماعات لم يشكلوا قضية مشتركة في مواجهة لا مبالاة الخرطوم.

المصيبة الجغرافية الأخرى هي أن دارفور تقع على الحدود مع تشاد وليبيا. وفي الثمانينيات كان العقيد القذافي يحلم بدحزام عربي، صبر أفريقيا مساليت. وكانت ركيزة ذلك هي السيطرة على تشاد، حيث يبدأ قطاع أوزو شمالي البلاد. وقد رتب مسلك من المعامرات العسكرية في تشاد. ومنذ ١٩٨٧ حتى ١٩٨٩ كانت الجنتية النجد المدمومة من ليبيا تستخدم دارفور كقاعدة مؤخرة، حيث كانوا يحصلون جبالاً على مؤن من محاصيل القرويين المحليين وأشيئهم. ومرة واحدة على الأقل تشبوا في من شارة تشادية فرنسية مشتركة لتقنيهم. وجاءت معظم البنادق في دارفور من تلك الفصائل، كانت صبية الحرب الخاصة بالقبائلي العرقي، النكاليين، حيث كان يصعب الهارب السالحين والطوارق السالحين ويسلحهم وينظمهم في هيئة قبيل إسلامي يكون بمثابة رأس حربة في هجماتهم. ومن بين أفراد الفيلق عرب من غرب السودان، كان كثيرون منهم اتباع طائفة الأنصار الهمدانية الذين أجبرهم الرئيس نميري على العيش في النفى عام ١٩٧٠. وهزمت الليبيين قوة تشادية سرية من الحركة في عوازي دوم عام ١٩٨٨، وتحلى القذافي عن أحلامه الحزبية الوحشية وبدأ في حل الفيلق الإسلامي،

الوصف غير مفهوم قبل عشرين سنة، حين كانت المصاهيم الدارفورية الخاصة بالنازعة العرقية والمواطنة لا تزال تصب في قالب موروث من سلطنة دارفور وسلسلة من الدول السودانية المشابهة امتدت غربا حتى الأطلنطى، وتوضح الحياة السياسية القصيرة ولكنها دامية لأحد ساسة الضور، وهو داود بولاد، الطريقة التي أصبح بها للمصطلحين «أفريقى، وعربى، هذا النفوذ.

كان بولاد أحد الإسلاميين الضباب البازيين من قبله، إلا أنه هجر الإسلام السياسي بعد أن ترك جامعة الخرطوم وانضم إلى جيش التحرير الشعبي السودانى بقيادة جون جارانج وليس هناك ما هو أبعد من المبادئ الإسلامية التي دافع عنها بولاد في يوم من الأيام. وليس هناك ما هو أكثر عدا له. من أيديولوجيا جيش التحرير الشعبي السودانى، وزعم أن جارانج جنوبى ويحث كثيرون في حركته على قيام دولة منفصلة لجنوب السودان، فهو نفسه ليس انفصاليا. وهو يؤمن بأن غير العرب في السودان، وهو تحالف يضمن الجنوبيين والجماعات المهمشة في السودان، كالفور، يشكل أغلبية عديدة ويجب أن تكون له العلية في سودا علماني تمدنى وموحد. ولذلك كان مجندو جارانج من المجتمعات غير العربية المستقلة على أطراف جنوب السودان كالثوبية، وسلسلة من الشعوب على امتداد وادى النيل الأزرق على مقربة من إثيوبيا. وفي عام ١٩٩٢ شنت حكومة السودان أكبر هجوم يهدف إلى تضييق منطقة الثوبية تماما تحت راية الجهاد، وفشل الهجوم وحقت الثوبية استقلالاً ذاتياً متابعاصا داخل إطار أكبر من اتفاقية سلام وقعت في كينيا في شهر مايو.

كان بولاد وشبكة سرية من الناشطين المحليين مدخل جارانج إلى دارفور. وكما فعل في الثوبية والنيل الأزرق، أرسل حملة صغيرة إلى دارفور في عام ١٩٩١ بهدف بدء الثورة. وكانت الكارثة. فقد كان لابد لبولاد وقواته من عبور مسافة شاسعة في الموسم الجاف وكانت المياه الوحيدة المخوفة موجودة في أبار عميقة تقع في القرى وعليها حراسة مشددة. بل إن المنطقة كانت تحتلها جماعات عربية من رعاة الماشية على عداة شديد لجيش التحرير الشعبي السودانى. وسرعان ما تقهقبت الحكومة وحدة بولاد وأوقعتها مستخدمة في ذلك الجيش النظامى وميليشيا عرب بنى هلية، وهربت حفنة من المقاتلين وسارت شهوراً عبر جمهورية أفريقيا الوسطى في طريقه العودة إلى جنوب السودان. وأسر بولاد واستجوبه المحافظ العقيد الطيب إبراهيم، وهو طبيب عسكري وإسلامى بارز يعرف بـ «السيخ»، بسبب مهارته في استخدام أسياخ

أما أصبح كذلك أداة لأيديولوجيا عنصرية جديدة. وبدأت النفوذ العنصرية الخاصة بالأزمة القديمة، التي لا أهمية سياسية لها تتخذ شكلاً مفرغاً في دارفور. كما أخذ التحالف يتبنى كذلك أيديولوجيا الدولة السودانية المائلة، وهي عروبية وادى النيل المختلفة تماماً. وكانت الحرب في دارفور في أواخر الثمانينات أكثر من مجرد صراع على الأرض؛ لقد كانت الخطوة الأولى في بناء أيديولوجيا عربية جديدة في السودان.

من الصعب أن نجد رواية إخبارية للحرب الحالية في دارفور لا تصفها بأنها حرب «العرب، ضد الأفارقة». وكان هذا

الشيخ هلال، نهيت بحثاً من ابنه الذين كانوا يرون إلهام في الصحراء. وحين سافروا شمالاً رأينا آثار مركبات عسكرية تعبر الصحراء متجهة نحو الجنوب. وفي عام ١٩٨٧ تولى العائدون من ليبيا القيادة عند تشكيل الكتلة السياسية المعروفة باسم التحالف العربى. وكان التحالف على أحد المستويات، مجرد التحالف سياسى يهدف إلى حماية مصالح جماعة محرومة في غرب السودان، إلا

إلا أن أفراد المسلحين والمدرسين. والأهم من ذلك كله. الذين تسيطر عليهم نزعة تفوق العنصر العربى العدائى، لم يخفوا. فميراث الفيلق الإسلامى مارال موجوداً في دارفور، لذلك أن زعماء الجانجاويد من بين هؤلاء الذين يقال لهم تلقوا تدريبهم في ليبيا.

حدث في منتصف الثمانينات أن بدا الانتصار في العودة، بعد الإطاحة بالتميرى. وبعد بضعة أسابيع من مقابلة



حديد التسليح أثناء الهجمات الطارئة. حين كان حارساً خاصة لتزيم الإسلاميين بجامعة الخرطوم. داود بولاد. وليس هناك تسجيل للمقابلة بين الاثنين، ولم يرد أحد بولاد بعد ذلك. والأسوأ من ذلك أن مفكرته صودرت. وكان لها أسماء وتقاصيل عن كل شخص في شبكته السرية.

أخضرو كثيرون في السجون وديوت الأسياف، وفقد آخرون شجاعتهم بسبب ما كان المحققون معهم يعرفونه، مما جعلهم يتخلون عن قضيتهم وأطلق سراحهم، مع أنهم كانوا متأكدين من أن كل حركة من حركاتهم ما زالت مرصية. وهكذا قضى على جيل من زملاء المعارضة أو جرى تحييده. وبعد ذلك شك القيادات الدارفورية الإرادكية في شبكت التحرير الشعبي السوداني، حيث خشي أن يستلمهم تماماً، أو يسوء استخدامهم من أجل تحقيق أغراضه. غير أن التحريض الشعبي السوداني ظل يقاوم كل شيء يمكن أن يلقيه عليه الجيش السوداني، وكسب قدر كبيراً من التأييد الدولي، كما تعلم وصف محتته بأبسط لغة ثبتت فاعليتها في كسب التعاطف الخارجي مع الجنوب: فقد كانوا الصحايا، الأفراسة، لنظام عربي..



رما كان لافتة - الأفريقية، ذاتهاها بالنسبة لتجسيدات الميولوية في التسعينيات، إلا أنها لم تلق رواجاً كبيراً في السودان - كأحد أسباب ذلك انتشار الإسلام المتشدد وجذباته للكثير من أهل دارفور؛ وكانت نتيجة ذلك نجاح التجربة السياسية التي قام بها النظام في الخرطوم الذي كان حسن الترابي علقه الموجه. ومن الناحية التاريخية كان الإسلام السياسي في السودان يستلزم عليه التسليم المعركة التي هي أصلاً من وادي النيل وتربطها صلات قوية بمصر. وكانت حركته حركة محافظة تتسم بالتعريب الذي يقر به كل حكام السودان مدنيين كانوا أم عسكريين. إلا أن الترابي وسع أجندة الحركة الإسلامية ودائرة أنصارها. فقد أصر مثلاً على أن للمرأة حقوقاً في الإسلام، واليوم نجد أن أكثر من نصف طالبات جامعة الخرطوم من النساء. كما اعترف بأصالة السودانيين العرييين وإسلام غرب أفريقيا، وتقبل بذلك التقاليد التي مثلها جهاد المولاي في أوائل القرن التاسع عشر والعلماء الصوفييين العارضة المتجولين. ويصمان اعتماد المحافظة إلى كل المسلمين المؤمنين. أحدث الترابي ثورة في وضع السودانيين من أصول غرب الأفريقية ويعرفون باسم الفلانة. وتشمل

هذه الجماعة التي تصمم عدة ملايين الهوسا والقولاني الذين جاء أسلافهم من نيجيريا والتشجير واستقروا في السودان أثناء ذهابهم إلى مكة أو العودة منها ليكونوا عمالاً في مشروعات المعمل أثناء الحقبة الاستعمارية. ويشتهر الفلانة بتدينهم، ولم يكن معترفاً بهم كمواطنين سودانيين حتى الانفصال الإسلامي في عام ١٩٨٩. كما رافع الترابي مكانة الشيوخ الفلانة، ليصبح بذلك وضعاً شاملاً استمر طويلاً وخلق دائرة انتخابية. وفي دارفور كذلك مديده العون لقيادات الفور والمصاليات البينية وغيرها من الجماعات. وأثنى محافظ دارفور الطيب إبراهيم على العمل الذي تبنيه وتنفذ دروساً في لغة الفلانة وكان مفهوم المواطنة المشتركة من خلال العقيدة المشتركة لبعض الوقت السبيل إلى التحرير القومي الدارفوري.

لكل الوعد الإسلام كان مهماً، فمن الناحية السياسية لم يحدث تغير كبير. ذلك أن حصة فحسب من أهل دارفور جرت ترفيقهم إلى مناصب رفيعة في الحزب والإدارة. وكانت الحكومة القومية عادلة نسبياً في معاملة العرب في سباق الأعمال المستمر. وكان الحكم المحلي لا يزال مفلساً، وكانت أعمال السرق لا تزال منتشرة، وظل الجفاف والتصحّر يثير الصراعات المحلية التي لم يستطع المحافظ وقفها، أو لم يحاول ذلك. ولم يمتص وقت طويل حتى وجد غربيو، السودان أن صيغة الإسلام الخاصة بهم ليست مقبولة بأي حال من الأحوال حسب شروطها. أي فقد كان يعتبرون مسلمين حقيقيين إن هم تبنوا القيم والثقافة العربية.

بعد عقد من انقلاب ١٩٨٩ أصبحت الخلافات بين الرئيس البشير والترابي المتقلب أكثر وضوحاً. فقد كان الترابي يطعم من إحداث ثورة في أنحاء أفريقيا والشرق الأوسط، بينما كان البشير يتمسك بالرواية التقليدية الخاصة



بالسودان باعتبارها امتلاك نخبة معربة. وكان صراعاً مطوّلاً على الأيديولوجيا والصياغة الخارجية والتسوترو وأخيراً السلطة نفسها. وفاز البشير بذلك. عام ١٩٩٩ أقال الترابي من منصب رئيس المجلس الوطني، ثم أمر بعد ذلك باعتقاله. وانقسم الائتلاف الإسلامي، فقد بقي معظم من في الحكومة والكل النخبة الأمنية المسيطرة على الجيش والهيئات الأمنية التي تعمل خارج الميزانية مع البشير. أما الطلاب وخلايا الحزب الإسلامي الإقليمية فقد انتقلت في الأغلب إلى المعارضة مع الترابي لتشكّل المؤتمر الشعبي المنشق. وبالإضافة إلى أمور أخرى، وفرت إقالة الترابي للبشير الفطاة التي كان بحاجة إليه للتحرب في الولايات المتحدة، وللدخل في عملية سلام أكثر جدية مع جيش التحرير الشعبي السوداني؛ وهي العملية التي أدت إلى توقيع اتفاقية السلام في كينيا.

كانت للانفصال السلام في الترابي والبشير أصداءه في دارفور. فقد ترك الحكومة الكثيرون من أهل دارفور الذي دخلوا الحركة الإسلامية تحت قيادة الترابي، وقرر هؤلاء تنظيم حركة خاصة بهم. وفي مايو من عام ٢٠٠٠ أصدروا الكتاب الحزب الإسلامي الذي تضمن بالتحصيل انخفاض تمثيل المنطقة المنظم في الحكومة الشعبية منذ الاستقلال. كما أحدث اضطراباً في أنحاء البلاد وأوضح كيف يصعب السودان الشامي مستقبلاً على أسر عرقية وليس دينية.

كان وصف، الكتاب الأصود، لداود بولاد بأنه شهيد، بمثابة معادلة رمزية بين الإسلاميين ومثاقبة المشددين العلمانيين في دارفور. ومن ثم قام التحالف غير المحتمل بين هذه الجماعة الأخيرة، التي كانت متعولة بتجميع جبهة تحرير دارفور (أول العهد تسببت فيها في أوائل ٢٠٠٣ لتصبح جيش تحرير السودان) وحركة العدل والمساواة ذات الأتباع الإسلامي. وما كان ينبغي للتحرر أن يكون مفاجئاً لأحد. إلا أن مراقبي المشهد

السياسي السوداني. وأما فهم، قد تعودوا على هدوء دارفور لدرجة أننا ظننا أن المناضلين يعلقون إندثاراً كاذباً حين تنبأوا بوقوع تمرد كبير. ويبدو أن الحكومة السودانية فوجئت بالانفجار نفسه، فقد كانت عرض الترابي التي اغتلتها في أوائل أبريل بنفس شهور استعادتها العسكرية. وفي أبريل من العام الماضي، هاجم المتمردون مطار الفاشر ودمروا ست طائرات حربية واختطفوا ضابطاً برتبة لواء من القوات الجوية. ولم يكن جيش التحرير الشعبي السوداني قد نجح في شيء من هذا النوع خلال عشرين عاماً. فقد كان المتمردون في دارفور يتسلسون بالحركة والاستخبارات الجيدة والتأييد الشعبي.



الأمر المهم بالنسبة للبشير هو أن الركيزة الأساسية للدولة السودانية، وهي مجموعة من ضباط الأمن تدير الحروب في السودان منذ ١٩٨٣. كانت لا تزال موجودة. وحين كانت تلك المجموعة الصغيرة تواجه تهديداً يتحدى قدرة جيش الحكومة الذي تعرف به على وجه الدقة ما يجب عليه القيام به، في مرات عديدة أثناء الحرب في الجنوب كانت تنظم تمرداً مصادراً، يكلمها: أينما كانت الجبهة والأرض المحروقة هما سلاسلها المضلّلان. وفي كل مرة كان أفرادها يسيئون عن إحدى العمليات المضلّة ومطوّرة القتال العسكريين وعملون منظمة العمليات العسكرية خالية من القواعد الأخلاقية. وكان فرسان بني هبلة، الذين استبدوا ضد جيش التحرير الشعبي السوداني، أدوة واضحة يجب استخدامها في دارفور. وتوفّر كذلك باب الإبرم الشماليين، بين يمينهم من أفراد الخلق الإسلامي السابق. هناك من يقول إن اسمهم، جاناويدي، مشتق من البنديفة GT والجواد (الحصان)، إلا أنه يعني كذلك بلغة غرب السودان، «الوفاة» أو «الخارجين من القانون»، وإطلاق العنان للميليشيات ميزة مضاعفة بالنسبة للمجموعة الأمنية، ذلك أنها قد تجد من عملية السلام شبه الكاملة مع جيش التحرير الشعبي السوداني وتسمح لها باستعادة ممتلكاتها الأمنية التي لا تملك في الميزانية. كما أنها تحمتها ضد اتهامها في المستقبل بارتكاب أية جرائم حرب. تسدّد الفصائل التي ارتكبتها الجاناويدي هؤلاء الذين يتحدثون لغات الفور والتشجير والمصاليات والزغاوة. وهي منظمة ومستمرة. ولا يتناسب الأثر، إن



لم يكن الهدف، بشكل كبير مع التهديد العسكري للتمرد. فالاحتصاب بالجملة ووصم الضحايا يكشف عن تدمير متعمد للمجتمع. وفي دارفور، يعد قطع أشجار الفاكهة أو تدمير قنوات الري طريقة للقضاء على حق المزارعين في الأرض وتدمير لسبل العيش. ولكن هذه ليست هي حملة الإبادة الجماعية التي تقوم بها حكومة في قمة صحتها، كما كان جهاد ١٩٩٢ ضد النوبة، أو عارمة بإصرار على تأمين الموارد الطبيعية، كما كانت تسعى لتطهير حقول النفط في جنوب السودان من سكانها المشاكسين. وهذه هي الشدة المعتادة لأي جماعة أممية، حيث ثلاثت إنسانيتها بمرور السنين في السلطة؛ إنها الإبادة الجماعية بحكم القوة أو العادة. لقد اختفى عالم الشيخ هلال بنظامة المستقل والتباعدية السلسلة القائمة بين المزارع والبدو، وهو ما خشي حدوثه. وحول سوء الحكم والنزعات العنصرية المستوردة الفقر الشديد إلى عنف، فما هو العمل الآن في مواجهة مذابح الإبادة والجماعة الوشيكة؟ إن الإجراء القانوني، محاكمة موسى هلال ومن يروعونه باعتبارهم مجرمي حرب، أمر ضروري لنزع وقع مثل هذه الجرائم في المستقبل. ولكن الأمانة ليست هي الحل. فلا بد ألا تغطي حملات الجانجاويد الإجرامية على حقيقة أن بدو دارفور المحليين هم كذلك ضحايا تاريخيون. وكما حدث منذ ششرين عاماً، يواجه أهل دارفور الفقر والجوع والأمراض العديدة. وكانت هناك تذبذبات بحدوث فترات بالجملة بعد جفاف ١٩٨٤، حيث قاتل وكالات الإغاثة إن العدد سيصل إلى مليون حالة وفاة ما لم تكن تصل المساعدات الغذائية. ولم يصل الغذاء ومات الكثيرون. حوالي ١٠٠ ألف. ولكن مجتمع دارفور لم يشر بسبب مهارات شعبه الهائلة. فقد كان لديهم مخزون من الطعام، وسافروا مسافات طويلة بحثاً عن الطعام أو العمل أو الإحسان. ووقع هذا كله جميعاً الطعام البدي من على الشجيرات، والآن وقد سرق مخزون الطعام والحيوانات، ما فائدة جمع خمسة أنواع مختلفة من الأعشاب البرية، و١١ نوعاً من الثمار اللبية، بالإضافة إلى الجذور والأوراق، إذا كانت مفادرة المسكر معناها احتمال الاحتصاب أو قطع الأطراف أو الموت؟ ولابد من أخذ التوقعات التي تشير إلى احتمال حدوث ٣٠٠ ألف حالة وفاة بسبب المجاعة ما أخذ الجد.

تتحرك جهود إغاثة ضخمة بصومية. ولكن المسافات البعيدة تعني أن تكون المبادرات الغذائية باهظة التكاليف وربما لا تكفي. وهناك ما يغري بإرسال الجيش البريطاني

العدد الثامن والستون - سبتمبر ٢٠٠٤ م



لتوصيل الطعام، ولكن هذا سيكون رمزياً حسب، ويمكن نقل الإغاثة بالطائرات بشكل أقل تكلفة عن طريق المقاتلين المدنيين، على أن توزع بشكل أكثر فاعلية عن طريق هيئات الإغاثة وتضم المناطق الخاضعة لسيطرة جيش تحرير السودان وحركة العدالة والمساواة مئات الآلاف من المدنيين الذين لا يحصلون على أية مساعدة. وبمجرد عودة أي مصور شجاع بصور لهذه المجاعة الخفية سوف تتعالى صيحات الاحتجاج، وسوف يسلم الإلحاح في طلب المساعدات عبر خطوط الجبهة. وليس هناك من سبب لا تنتظر الصور قبل اتخاذ إجراء ما، مع أنه من الواضح أن قواهل الإغاثة العابرة للخطوط سوف تكون بحاجة إلى حراس مسلحين

قد يكون السلام هو أكبر إغاثة، فهناك وقف لإطلاق النار من الناحية النظرية، أما في الواقع فالحكومة والجانجاويد تتجاهلانه، ويرد التمردون بالمثل. وتتكبر الحكومة أنها هي التي شكلت الجانجاويد وسلحتها ووجهتها لقد فعلت ذلك، ولكن الوحش الذي ساعدت الخراطيم في خلقه قد لا يفعل باستمرار ما تأمر به؛ ذلك أن عدم الثقة في العاصمة أمر شديد العمق بين أهل دارفور. وتعرف قيادة الجانجاويد أنه لا يمكن نزع سلاحها بالقوة. وعين وعد الرئيس البشير كوفي عنان وكولين باول بأن سوف ينزع سلاح الميليشيا كان يقطع على نفسه عهداً لا يمكن الوفاء به. وأصبح وسائل نزع السلاح، وربما الوسيلة الوحيدة، هي تلك التي استخدمها البريطانيون منذ سبعين سنة، وهي إقامة حكومة محلية عاملة تنظم ملكية السلاح. وتعمل شيئاً فشيئاً الخارجيون عن القانون وقطاع الطريق الذين يرفضون الامتثال. لقد استغرق الأمر حينذاك عشر سنوات ولن يكون أسرع من ذلك في الوقت الراهن. فالأمر لا يقتصر على وجود أسلحة أكثر حداثة، بل إن التناقضات أشد حدة بكثير.

هناك مفارقة تصم ٦٠ مراقبي وقف إطلاق النار التامبيين للاتحاد الأفريقي في دارفور مع عدد يزيد قليلاً عنهم من القوات الأفريقية التي توفر الأمن لهم. وحتى الآن لا يوفر أحد الأمن لسكان دارفور المدنيين المرعوبين. وإذا كان لابد من إرسال قوات من خارج أفريقيا، فلا بد أن تكون هذه هي مهمتهم. وإذا كانت الاستخبارات المحلية جيدة، والعملية السياسية تأخذ مجراها، وسوف تكون المخاطر قليلة. ولكن إعادة بناء دارفور سوف تكون طويلاً، ومعقدة، وباهظة التكلفة. وقد يكون فهم ما صاع نقطة جيدة للبداية. ■



رامسفيلد

تشيني

■ خلال عهد ريجان، كان ديك تشيني و دونالد رامسفيلد لاعبين رئيسيين في برنامج سرى يوصو إلى إشغال التسلسل الشرعى لتتابع الحكم والعمل على التنصيب المباشر لرئيس جديد فى حالة مقتل قادة البلاد إثر هجوم نووى. ويساعدنا التعرف على هذا البرنامج فى توضيح سلوك إدارة بوش أثناء وبعد ١١ / ٩ مرة فى الصدام على الأقل. خلال الثمانينيات، كان ديك تشيني و دونالد رامسفيلد يختفیان. كان تشيني نائباً فى الكونجرس يكافح ليصعد سلم القيادة فى الحزب الجمهورى أما رامسفيلد الذى كان وزيراً للدفاع فى عهد جيرالد فورد، فقد كان فى ذلك الوقت رجل أعمال ناجحاً فى شيكاغو حيث يشغل منصب رئيس شركة ج. د. سيرل للادوية منكبساً وقتنه وجهده للترويج لمنتجات تجارية مثل تراسويت وايكوال وميتاموسيل. ومع ذلك، فبى فترة وأخرى، يخفى الاثنان لند قناروح بين ثلاثة أو أربعة أيام لا يدرى خلالها أحد فى الكونجرس اين ذهب تشيني، ولا أحد فى شركة سيرل يستطيع خلاها ان يعثر على رامسفيلد حتى روجتيهما لم تكونا اهضل حالاً من الآخرين. كل ما كان لديهما هو رقم هاتف غامض فى واشنطن وتعليمات للاتصال به فى حالة الطوارئ.

بعد مغادرة العمل البومى، كان تشيني ورامسفيلد يتجهان إلى قاعدة انذرو الجوية خارج واشنطن. ومن هناك وفى منتصف الليل، كان كل منهما، يرافقه فريق من اربعمى إلى ستين موقعاً فيدرالياً وعضو واحد من وزارة رونالد ريغان. يتسلل إلى موقع بعيد ما فى الولايات المتحدة، مثل قاعدة عسكرية مهجورة ومخبأ تحت الأرض، وفى نفس الوقت، تنجم إلى كل من هذه المواقع قافلة من شاحنات تحمل معدات الاتصالات متطورة.

كان رامسفيلد وتشيني لاعبين رئيسيين فى أحد أكثر البرامج سرية فى إدارة ريجان، كان المستنكولون الأمريكيون فى هذه الإدارة يفسدون بهمة وحماسة تدريبات دقيقه تصمان استمرار أداء الحكومة الفيدرالية أثناء

ترجمة بئنة الناصر

هذه المقالة مقتطعة من كتاب جيمس مان (صعود أثة النار والحديد. تاريخ وزارة الحرب فى إدارة بوش) الذى صدر قبل اسابيع

ويعد حرب نووية افتراضية مع الاتحاد السوفيتى.

كان البرنامج يهدف إلى هجر القواعد الشرعية لتتابع الرئاسة فى بعض الظروف والاستعاضة عنها بإجراء سرى لتنصيب رئيس، جديد ومعاونين له. كانت فكرة البرنامج تقوم على السرعة فى الحفاظ على استمرارية، الحكومة وتجنب الإجراءات البطيئة المعقدة. أثناء ذلك سوف يلعب المتحدث بلسان مجلس النواب وبقية أعضاء المجلس والكونجرس أدواراً هامشية للغاية.

كان منبع الوعى لايتكثار هذا البرنامج من داخل الإدارة ذاتها، ولا يد لرامسفيلد أو تشيني فى ذلك، فقيما عدا فترة قصيرة قام بها رامسفيلد بدور محوث للشرق الأوسط<sup>(١)</sup>، لم يتول أى من الرجلين مناصب فى إدارة ريجان، ومع ذلك فقد كانا اللاعين الرئيسيين فى البرنامج، الذى الكشفت بعض تفاصيله على مدى السنوات ولكن لم تكشف الطريقة التى يعمل بها أو الأدوات الرئيسية التى لعبها تشيني ورامسفيلد.

تزداد أهمية هذا البرنامج اليوم خاصة، لأنه يساعد فى تفسير التفكير والسلوك لإدارة بوش فى الساعات والأيام والأشهر التى أعقبت الهجمات الإرهابية فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

فى يوم الكارثة، حدث نائب الرئيس تشيني الرئيس بوش على البقاء خارج واشنطن لبقية ذلك اليوم. كما أمر وزير الدفاع رامسفيلد نائبه بول وولفويتزان يخرج من المدينة. وبدأ تشيني نفسه التحرك من واشنطن إلى سلسلة من (المواقع التى لم يفصح عنها). وتم فيما بعد إرسال مسئولين فيدراليين للعمل خارج العاصمة من أجل استمرارية أداء الحكومة فى حالة حدوث هجمات أخرى. كل هذه التحركات كانت صدى لتدريبات السرية أثناء إدارة ريجان. وكانت حكومة الولايات المتحدة آنذاك تأخذ مخاطر احتمال حدوث حرب نووية مع الاتحاد السوفيتى، مأخذ الجد أكثر من أى وقت مضى منذ أزمة الصواريخ الكوبية فى ١٩٦٢. وكان ريجان نفسه قد تحدث أثناء حملته الانتخابية فى ١٩٨٠ حول الحاجة إلى برامج دفاع مدنية للمساعدة فى إنقاذ الولايات المتحدة فى حالة انطلاق حرب نووية، وما أن تولى منصبه، لم يهادر بتشجيع خطط الدفاع المدنى فحسبه وإنما صادق أيضاً على وثيقة سياسة

# خطة هرمجدون ماذا لو انهارت القيادة الأمريكية؟!

جيمس مان

## كان رامسفيلد وتشيني لاعبين رئيسيين في أحد أكثر البرامج سرية في إدارة ريجان، كان المسئولون الأمريكيون في هذه الإدارة ينفذون بهمة وحماسة تدريبات دقيقة لضمان استمرار أداء الحكومة الفيدرالية أثناء ومع حرب نووية افتراضية مع الاتحاد السوفيتي



علامة واضحة على من يتحكم في القوات العسكرية الأمريكية<sup>(١)</sup>. وللعلم أن هذا الاختبار (التحكم في الجيش) هو أحد الاختيارات التي تستخدمها الحكومة الأمريكية فعلا في تحديد تعاملها مع أي قائد اجنبي قام بانقلاب في بلاده.

ويشرح أحد المشاركين في التخطيط للحرب التي قادلا: (أحدى المصطلحات الجرسية التي واجهناها هي ما إذا كان ينبغي الدعوة لانعقاد الكونجرس بعد هجوم نووي. وكان القرار الذي توصلنا إليه هو بالنفي، فإن العمل بدونهم سيكون أسهل. أولا بسبب الشعور بالمشاكل بأن الدعوة إلى انعقاد الكونجرس وإعادة انتخاب أعضاء جدد بدلا من الذين سبق سيستغرق وقتا طويلا. (ضافة إلى أنه إذا انعقد الكونجرس فربما سيحتاج إلى اختيار متحدث جديد باسمه، والذي سيكون استحقاقا للتراسة أكثر شريعة من وزير التجارة الذي يسمي رئيسين حسب خطة ريجان السرية، فالتخاطب متحدث جديد للكونجرس لن يستغرق وقتا طويلا فحسب وإنما سيجلب نوعا من الأرباك أيضا. كان هدف إدارة ريجان الأساسي هو هيكلية سلسلة من القيادات التي يمكن أن تستجيب للمتطلبات الأمنية للحرب النووية، حيث لن يكون هناك وقت لكي يخطب رئيس جديد الميمين الدستورية حسب إجراءات التنصيب العادية وكذلك فالرئيس الجديد لن يكون لديه وقت لتعيين معاونين جدد له. لكن هذه الأسباب اختارت الإدارة أن تقوم بهذا الإجراء بعيدا عن اللجوء (إلى الكونجرس الذي كان سيضفي عليه شرعية دستورية.



لقد أنشأ رونالد ريجان برنامج استمرارية الحكومة بأمر رئاسي سرى، وطبقا لروبرت ماكفرلين الذي كان مستشار الامن القومي في عهد ريجان، فإن الرئيس بنفسه أصدر اقرارا نهائيا حول اختيار رئيس كل فريق من الفرق الثلاثة، وداخل مجلس الامن القومي في إدارة ريجان، كان المسئول عن تنفيذ البرنامج السري هو أوليفر ثورث الذي برر فيما بعد، منصبه الشخصية المحورية في

أمن موظفي البيت الأبيض في إدارة فورد، ومن بين قادة الفرق الآخرين على مدى سنوات التدريب: جيمس وكلي الذي أصبح فيما بعد مدير وكالة المخابرات المركزية وكينيث ديرشتاين الذي كان فعلا أمين موظفي البيت الأبيض في عهد ريجان.

أما بالنسبة لأعضاء الوزارة في كل فريق فيرغمهم كان قليل الخبرة في الأمن القومي، ففي أوقات مختلفة مثلا كان من بين المشاركين في التدريب السري: جون بلك وزير الزراعة الأول في عهد ريجان والكونغرس بالدريج وزير التجارة، مايف هام لم يكن الخبرة في السياسة الخارجية ولكن توماس وزير ما في الوقت المطلوب. ولأبه من ذلك فإن الاستنتاج أن بعض هؤلاء (الرؤساء) كانوا سيعلمون ادوار رؤساء صوريين يوجههم أثناء موظفين أكثر خبرة مثل تشيني أو رامسفيلد. ومع ذلك فإن أعضاء الوزارة هم الذين ستناط بهم مهمة إصدار الأوامر أو الذين ستمسدر الأوامر باسمهم.

إحدى القضايا التي بحثتها هذه التدريبات هي: ماهية الخطوات الفعلية التي يمكن أن يتخذها الفريق الذي سيدبر البلاد لإثبات مصداقيته. ماذا يمكن فعله للتوضيح للشعب الأمريكي وحلفاء الولايات المتحدة ولقيادة السوفيتية أن (الرئيس) جون بلك أو (الرئيس) ما كولوم بالدريج هو الذي يقود البلاد الآن. ويجب أن يعامل باعتباره رئيسا شرعيا للولايات المتحدة؟

كان أحد الخيارات هو أن يأمر (الرئيس) الجديد غواصة أمريكية أن تطوف من الأعماق إلى سطح المحيط - طالما أن سلطة تسطيح غواصة هي

حرب شاملة مع الاتحاد السوفيتي حيث يتطلب الأمر التصرف في ثانية أو أجزاء الثانية. ماذا لو أن قنبلة نووية قتلت الرئيس ونائبه وربما المتحدث باسم مجلس النواب أيضا؟ من سوف يقود البلاد إذا تعذر الاتصال بالشخص الثاني في التسلسل حسب قانون التعاقب؟ من هو القائد المبنى الصالح لإعطاء الأوامر العسكريين الأمريكيين للأوامر للتصدى لهجوم، وكيف سيرجر هذا القائد اتصاله مع الجيش؟ وفي حالة حرب نووية مستمرة من سيمسك السلطة للوصول إلى اتفاق مع القيادة السوفيتية على إنهاء الحرب؟

كانت الخطوط العريضة للخطوة بسيطة، حالما تعرضت الولايات المتحدة (أو تعتقد أنها على وشك أن تتعرض) لهجوم نووي، ترسل ثلاث فرق من واشنطن إلى ثلاثة مواقع مختلفة في أرجاء الولايات المتحدة. كل فريق سيكون جاهزا لتولي قيادة البلاد ويضم عضوا من الوزارة على استعداد ليكون رئيسا. وإذا استطاع الاتحاد السوفيتي - بطريقة ما - أن يكتشف مكان فريق منها ويقصفه بالأسلحة النووية، يتولى الفريق الثاني أو الثالث إذا دعت الضرورة.

لم تكن هذه خطة نظرية على الورق. كل التدريب يتم عليها بشكل تفصيلي جاد ومعقد. وكان يطلق على كل فريق اسم لون، أحمر أو أزرق، مثلا - وكان في كل فريق مدير تنفيذي واسع الخبرة يمكن أن يقوم مقام أمين موظفي البيت الأبيض، والمرشون لهذا كانوا أفرادا من أعلى المستويات في مجال الإدارة التنفيذية وعلى الأخص من جهاز الأمن القومي، وكان كل من تشيني ورامسفيلد قد شغل منصب



## كان المنطق المقترض لهذه التدريبات السرية هو أنه في حالة هجوم نووي على واشنطن، فستكون الولايات المتحدة في حاجة إلى التصرف بسرعة لتفادي (قطع الرأس) أي انهيار القيادة المدنية



دفاعية جديدة تضمنت خططاً لشأن حرب نووية مستعدة ضد الاتحاد السوفيتي. وكانت التدريبات التي شارك فيها تشيني ورامسفيلد الجزء السري من الجهد المعلن للاستعداد للحرب النووية.

كان المنطق المقترض لهذه التدريبات السرية هو أنه في حالة هجوم نووي على واشنطن، فستكون الولايات المتحدة في حاجة إلى التصرف بسرعة لتفادي (قطع الرأس) أي انهيار القيادة المدنية.

وكان المنصر الجرمي في خطة إدارة ريجان لنشر حرب نووية هو قلع رأس القيادة السوفيتية وذلك باستهداف المسئولين الكبار السياسيين والمسكريين وخطوط اتصالاتهم. بتعبير آخر كانت الإدارة الأمريكية تريد أن تضمن ألا يفعل السوفيت في امريكا مكالمة مخططة السياسة النووية الأمريكية بنوون أن يفعلوه في الاتحاد السوفيتي.



في عهدي ترومان وإيزنهاور، قامت حكومة الولايات المتحدة ببناء مبان كبيرة تحت الأرض في جيبل ويندر بمنطقة جبال بلو ريدج في ولاية فرجينيا وقرب كامب ديفيد على حدود بنسلفانيا - ماريلاند، وكل منها يصلح كمحطة قيادة عسكرية للرئيس في زمن الحرب. ولكن بقيت ثمة مشكلة مهمة: ماذا يمكن أن يحدث إذا لم يستطع الرئيس أن يصل في الوقت المناسب إلى أحد هذه المباني؟

ينص الدستور على أن تولي نائب الرئيس إذا مات الرئيس أو فقد القدرة على القيادة، ولكن الدستور لا ينص على تتابع المسؤولية فيما وراء ذلك. ولكي القانون الفيدرالي، وأحدث نسخة منه هو قانون التعاقب الرئاسي لعام ١٩٦٧ نص على تفاصيل أخرى. إذا مات نائب الرئيس أو فقد القدرة، يتولى منصب الرئاسة المتحدث باسم مجلس النواب، ويعد يأتي الرئيس المؤقت للكونجرس (وهو عادة يكون الأطول خدمة في حزب الأغلبية) ثم أعضاء الوزارة حسب تسلسل مناصبهم ابتداء من وزير الخارجية ثم وزير الخزانة ثم وزير الدفاع وهكذا.

لكن إدارة ريجان ظلت قلقة من أن هذا الإجراء قد لا يكون مفيداً في حالة



أن الأشخاص المعنيين لم يكونوا أمنياً على درجة عالية من الثقة.

كانت التدريبات تجري وكأنها في ظروف أزمة ضاغطة حقيقية، فكان المشاركون يتجمعون بسرعة وينتقلون ويصلون في ساعات الفجر، ويهشون في قاعدة عسكرية ويتناولون غذاء مبكراً يشتمل على أنواع صامدة للشهية من أغذية الجيش الجافة سابقة التجهيز. ويستمر التدريب أسبوعين تقريباً، ولكن كل فريق يتدرب على جزء من البرنامج لمدة ثلاثة أو أربعة أيام فقط. وكان الروتين المعتاد هو أن يغادر فريق واشنطن مسرعاً عبر الاتفاق ثم ياتون بدمية واستغلال النفوذ في إرساء عقود على شركات خاصة لشراء معدات (ثالثة).

كانت التدريبات تتم عادة في فترات إجازات الكونجرس حتى لا يوت تشينى الكثير مما يجري هناك. ورغم أن تشينى ورافسيفيلد والاند شريك آخر كانوا يشاركون بشكل مستديم في كل التدريبات، إلا أن أعضاء الوزارة كانوا يتفرون حسب ظروف توافرهم في أوقات معينة (مرة شارك الدنى العام ايد ميس في تدريب جرى يوم ١٩٨١/٦/١٨ بعد يوم من استقالة كبير القضاة وزير برجر، ويتذكر أحد المشاركين في البرنامج أنه نظر إلى ميس في ذلك اليوم وهو يعكر: (أول استقالة قاضى المحكمة العليا وأن أمريكا في حرب نووية. بالتأكيد هذا يوم نحصل).

كأن كل فريق يظم، بالإضافة إلى أمين موظفى البيت الأبيض ورئيسه المعينين، ممثلين من وزارتي الخارجية والدفاع ووكالة المخابرات المركزية وكذلك من وكالات الشرطة المحلية المتقدمة.

كانت الفكرة هي التدريب على إدارة الحكومة الفيدرالية برمتها خلال حرب نووية بعدد رمزي من العاملين.

وفي إحدى مراحل التدريب، جرى حديث عن استدعاء حاكمى ولايتى فرجينيا ومرييلاند وعمدة إقليم كولومبيا ولكن سرعان ما نبذت الفكرة بعد أن تبين

كانت ذروة هذه التدريبات هي التواجد في طائرة خاصة: محطة قيادة الطوارئ القومية المحمولة جواً، وهي طائرة بوينج ٧٤٧ معدلة، رابضة في قاعدة الدروز الجوية، ومجهزة بشاعة اجتماعات ومعدات اتصالات متطورة وعلى متنها يستطيع الرئيس المقترض أن يبقى متحرراً في الجو، بدير البلاد خلال حرب نووية.

في أحد التدريبات ظل فريق في هذه الطائرة لمدة ثلاثة أيام متتالية وهي تحلق فوق السواحل ذهباً وإياباً على طول البلاد وعرضها وتتزوج أثناء ذلك بالوفد في الجو.

عندما انتخب جورج بوش الأب رئيساً في ١٩٨٨ ابتهج أعضاء برنامج ريجان

## كتاب الزاوية



### محمد يونس القاضي

يعد محمد يونس القاضي أحد رواد فن الزجل في مصر الذين تعلموا عليهم كبار المبدعين المصريين في فن الزجل مثل بديع خيرى ويبرم التونسي وغيرهما. وقد عاشت كلمات الأغاني التي وضعها محمد يونس القاضي ضمن الموروث الشعبي المصرى حتى أصبحت جزءاً من الثقافة العامة، وفي مقدمة تلك الأغاني «يا عزيز عيني» و«يمامة بيضاء» و«زوروني كل سنة مرة» وعشت حسنك وغيرها.

ولد الشاعر واسمه بالكامل محمد يونس أحمد القاضي في حارة درب الدليل بالدرب الأحمر بالقاهرة عام ١٨٨٨ وكان والده قاضياً ومن علماء الأزهر. ودرس الشاعر في الأزهر ثم عمل بالمصحافة من عام ١٩٠٥ حتى ١٩٤٢، لكنه قدم أعماله الفنية منذ ١٩١٢ وألف ٥٨ مسرحية غنائية، وكان أحد رموز الفكاهة في مصر مع عبد العزيز البشري وفكرى أباطة. كما أصدر مجلة «الفنان» عام ١٩٢٦. ومن المفارقات أن يونس القاضي الذي ألف عدداً من الأغاني الهابطة التي غناها كبار نجوم عصره أصبح رقيقاً على المصنفات والأغاني من ١٩٢٨ حتى ١٩٣٧ ثم من ١٩٤٢ حتى ١٩٥٤ حيث عمل على إنهاء هذه الموجة الهابطة وتوفى عام ١٩٦٩. وكشأن القصائد المغناة خضعت بعض أعمال الشاعر للتغيير مثل «يا عزيز عيني» عندما تحولت إلى أغنيات.

والملومات السابقة مستقاة من كتاب صدر حديثاً عن محمود يونس القاضي من تأليف الفنانة والنقاددة إيمان مهران.

# كتاب الزاوية



يا عزيز عيني

محمد يونس القاضي

انسا بدي اروح بلدى  
تعالى اكشف على ولدى  
يكشفوا على قلبى  
مالكش دوا عندى  
المعسوب بتسلىنى  
م الجسمال\* بتكفىنى  
يشيل الكاس ويدينسى  
بيجى حبى يقابلنى  
إن الجواز راحسى  
ع الفرش مرتاحة  
خوخة وقفاحة  
حماتى رواحة  
فى البيت نواحة  
ع القاضى سواحة  
على بيت ابويا رايحة  
تتجوزوا بالقمرة  
حيكون كده عسرة  
فى العيشة دى المسرة  
تتطردوا وتخرجوا بره  
بعضايقة الضسرة

يا عزيز عيسى  
يا حكيمباشى  
جيت الطبيب والحكيم  
قاللى الطبيب والحكيم  
عششر قزايز ورد  
ورا عين م القطيفة  
مملوك صفير  
من بعد عمر طويل  
ما تحسبوش يا بنات  
أول أسبوع يا بنات  
تانى أسبوع يا بنات  
تالت أسبوع يا بنات  
رابع أسبوع يا بنات  
خامس أسبوع يا بنات  
سادس أسبوع يا بنات  
مفيش لزوم يا بنات  
إن كان جوازكم يا بنات  
وتيقوا عايشين يا بنات  
ويكون آخرتها يا بنات  
ويمكن تختم يا بنات

• الجمل: اسم محلات كانت شهيرة تباع الأقمشة بالقاهرة

بعد سقوط جدار برلين

وانهيار الاتحاد السوفيتى، تغيرت مبررات  
التدريبات، فلم تعد ثمة خشية من احتمال هجوم  
نووى سوفيتى. ولكن ماذا يحدث إذا هاجم الولايات  
المتحدة إرهابيون يحملون أسلحة نووية  
وقاموا بقتل الرئيس ونائبه؟



وفى حوار مع منيع شبكة إن بى سى  
بعد عدة أيام، فسر تشيلى هذه التحركات  
بقوله: " لقد وضعنا الكثير من الخطط  
أثناء الحرب الباردة للتعامل مع إمكانية  
وقوع حادثة نووية، ولم يشر إلى برنامج  
إدارة ريجان أو المواقع السرية التى طالت  
تدريب فيها هو ورامسفيلد على إدارة  
البلاد.

إن اشتراك هذين الرجلين فى تنفيذ  
برنامج لضمان استمرار أداء الحكومة  
خارج نطاق الدستور، رغم أهميته بحد  
ذاته، يوضح حقيقة أدوارهما، فهما كانا  
دائما فى الصورة منذ ثلاثة عقود ابتداء  
من إدارة فورد وماي بعدها، وحتى عندما  
كانا خارج المناصب التنفيدية فى  
الحكومة، لم يتعدا كثيرا؛ بقيت سلطاتهما  
بمسئولى الدفاع والجيش والمخابرات،  
بعبارة أخرى، كانا جزءا من جهاز الأمن  
القوى السرى المستعبد للولايات  
المتحدة، سكان عالم يأتى فيه الرؤساء  
ويدهبون. ولكن أمريكا تستمر فى شن  
الحروب.

هواماس:

(١) المقصود بها زيارة رامسفيلد إلى العراق فى  
١٩٨٢ التى قاتل فيها الرئيس صدام حسين وكانت  
الحرب الإيرانية العراقية على أشدها وقد أعلن  
الرئاسة بقرض التلغراف مما انتشر آنذاك من  
استخدام العراق للأسلحة الكيميائية ضد  
الإيرانيين. ولكن الواقع أن غرض الزيارة الذى  
كشفت عنه وثائق سرية افترحت عنها مكتبة  
الكونغرس هذا العام، أن رامسفيلد - الذى كان  
حينها رئيسا لشركة سبيل - ذهب مندوبا عن  
جورج شولتز وزير الخارجية آنذاك ورئيس شركة  
نكل سائت، وكان المرص من الزيارة إقناع صدام  
حسين بالكمية مد أمرب يعط تقدمه شركة نكل  
فى المصرة إلى العقبة. وقد رفض الرئيس  
العراقى للماهدة على الأسبوع بعد مباحثات  
استمرت حتى عام ١٩٨٤ لتخوفا من إمكانية  
تفجير إسرائيل للأنبوب، وعدم تمكن الولايات  
المتحدة من الحصول على تأكيد إسرائيلى - كما  
طلب العراق - من عدم التمرس للأنبوب، ويقال  
إن العلاقات الأمريكية العراقية سادت منذ  
ذاك الوقت. ولكن هذه قصة أخرى. المهم أن  
هذه القصة تكشف استمرارية التعامل (وبالتالى  
الفساد) فى العلاقات المصممة والسليبية فى  
الإدارات الأمريكية - المترجمة  
(٢) أسس هذا الإجراء هو أن رئيس الولايات  
المتحدة هو نفس الوقت القائد العام للقوات  
المسلحة كما هو معروف المترجمة

السرى حيث إن بوش كان على دراية  
بالبرنامج وقد اشترك به منذ مدياته  
فليس هو إذن فى حاجة إلى التعرف عليه  
أو إعادة النظر فيه.

وفى الواقع أنه رغم التحسن الكبير  
فى العلاقات مع موسكو فقد أمر بوش  
باستمرار البرنامج ولكن مع تعديلات  
طفيفة، فقد عين تشيلى فى منصب وزير  
الدفاع ويهدا تخلص عن مركزه كقائد  
لإحدى الفرق.

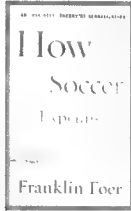
بعد سقوط جدار برلين وانتهاء  
الاتحاد السوفيتى، تغيرت مبررات  
التدريبات، فلم تعد ثمة خشية من  
احتمال هجوم نووى سوفيتى - ولكن ماذا  
يحدث إذا هاجم الولايات المتحدة  
إرهابيون يحملون أسلحة نووية وقاموا  
بقتل الرئيس ونائبه؟

أخيرا وخلال سنوات حكم كلينتون  
الأولى، تقرر أن مثل هذا السيناريو بعيد  
الاحتمال وقد عفى عليه الدهر، فقد كان  
من مبررات الحرب الباردة وأن لم يعد  
يلوح فى الأفق عبور يرغب فى (قطع رأس)  
الولايات المتحدة، وهكذا وضع البرنامج  
على الرف.



واستمر الحال على ما هو عليه حتى  
حدثت كارثة ١١ سبتمبر ٢٠٠١، عندها  
سارع تشيلى ورامسفيلد لتنفيذ أجزاء  
من الخطة التى تدرسا عليها لسنوات  
طويلة مضت، وشعرا بديوان العمليات  
من مخبا تحت أرض البيت الأبيض  
يسمى (مركز عمليات الطوارئ)  
الرئيسية). وقد طلب تشيلى من بوش  
الذى كان فى فلوريدا بأن يؤخر رحلة  
العودة إلى واشنطن كما كان مخططا لها.  
وفى البنتاجون أمر رامسفيلد ذاته  
المتردد وولفوتز أن يقادر العاصمة إلى  
أحد المخابىء المحصنة ضد الهجمات  
النووية. فى الوقت الذى أمر تشيلى  
المحدث باسم مجلس النواب ديفيس  
هاستيرت وزعماء آخرين فى الكونجرس  
والعديد من أعضاء الوراثة (بضمهم)  
وزيرة الزراعة آن فيتيمان ووزير الداخلية  
جيل نوتز، أن يتحركوا العاصمة إلى  
مخبا أمين.

العدد الثامن والسبعون، سبتمبر ٢٠٠٤ م



## فرانكلين فوير

٩٩ هذا فصل من كتاب صدر منذ أسابيع عن دار نشر كبيرة Harper Collins. قد يكون صادماً للقارئ العربي الذي سيراء مليئاً بمبالغات تصل إلى حد المبالطات. ربما بحثاً . ملهوفاً . عن إثارة مطلوبة، أو أسياًفاً . دون تدقيق . وراء صورة نمطية غابت تفاصيلها الحقيقية وراء ضباب تكاثف خيالاً وجهلاً أحياناً ، أو سوء نية أحياناً أخرى . هل نحن أمام «موضة» لدى الكاتب الغربي . أو بعضهم . تتمثل في إفحام الإسلام ، حقاً أو عسفاً ، في مناقشة أي موضوع؟ أم هو اهتمام بات مفهوماً ومتوقفاً في السنوات الأخيرة بالإسلام وثقافته؟ ولأنه من طبيعة الأمور أن في كل شأن «وجهات نظر» ، نميل هنا لأن نترك السؤال مفتوحاً ، عارفين من هو قارئنا ومتيقنين من أهمية أن نظل «وجهات نظر» / المجلة هاذمة «أمنية» لقارئها العربي يطل منها على اتجاهات في فكر الآخر (دون تدخل) ، وبض النظر عن الاتفاق أو الاختلاف.

### المحرر

# الكرة كروى

[ ١ ]

فإنهم يهيمون أن التلفزيون بديل ضعيف للتجربة الحقيقية التي من لحم ودم. ولو عدنا بالنظر إلى الوباء لكان من المحتم أن تطالب المرأة بالعودة إلى استاد البلاد. ومع ذلك فإن هذا الطلب الجسوري يقتضى قدراً كبيراً من الشجاعة ووجود ذريعة ما . وقد منحت البطولات التي حققها الفريق القوي في نوفمبر من عام ١٩٩٧ الأمريكي معاً للمرة الإيرانية.

كانت حملة إيران لتأهل لكأس العالم تركزت على مباراة نهائية ضد أستراليا تقام في مليون. وكان الإيرانيون في معظم المباريات يشتمون الكرة وكان حكومتهم أمرتهم بأن يخسروا المباراة متمسدين ، لمنع احتفالات النصر في طهران التي قد تلحق عن السيطرة (استنتاج غريب ، المترجم) . ولكن الإيرانيين في الخمس عشرة دقيقة الأخيرة من مباراة التأهل لكأس العالم. وكانت لحظات تتسم بالرعب واليأس. تخلصوا من كسليم وأحرزوا هدفين مذهلين أتقدا الفريق من الهزيمة.

العدد الثامن والسبعون . سبتمبر ٢٠٠٤ م

يقال إن هذه الفكرة المظلومة من النساء المتعطشات إلى كرة القدم تضم بنات رجال الدين المهيمن، وهن النساء الوحيدات اللائي لهن رأي في حكم البلاد. ومن الواضح أن شكواهن التي لا تنقطع قد مسّت وتراً أيدياً حماساً للتعلم على السابغة الشرعية. ففي عام ١٩٨٧ اصبر دكتاتور البلاد الديني والسياسي فتوى عدلت الحظر المطلق الذي فرضه النظام على تشجيع الإناث للرياضة. فبينما كان يتحدث من خلال ثيابه البيضاء الطويلة، أجاز مشاهدة النساء لجاربيات كرة القدم على شاشة التلفزيون الذي نقل الألعاب الرياضية لأول مرة في الحقبة الإسلامية، ولكنهن لا زلن متنوعات من الذهاب إلى الاستاد الحافل بهورمون التستسترون. وقد أرضى الحل الوسط الذي قدمه الخميني الجميع لبعض الوقت.

لكن اللمسة الحكيمه للملائي ثم يمكنها تهمة الرغبة المهيبة لدى الإيرانيات. وكشأن كل الشجعان الجيدين،

الأساسية في إيران هي أنها ليست الملكة العربية السعودية. فهي في العقود الأخيرة للمشاة لم تحبس النساء في البراقع السوداء. بل تولت النساء مناصب حكومية رفيعة، وكُن كاتبات ومحاميات ومشجعات للعبة الجميلة. مع تدفق أعداد كبيرة من الناس من خلال مداخل آزدي، من المستحيل ضمان الالتزام حرقياً بمبادئ الشريعة. ذلك أن المشجعين سوف يسيرون بأقنعة ويأبسون الألفاظ المحظورة. وسوف يلقون بكلمات التوبيخ التي لا يمكن تبريرها بأي تفسير معقول للقرآن. وبعض هؤلاء الرجال حليقو القلوب ويرتدون ملابس واسعة بشكل يثير الشك. ومع التفتيش الدقيق، قد يتضح أن هؤلاء الرجال ليسوا رجالاً في الواقع. فبنساء طهران يخامرون بانتعاش للعبوة القاسية لكونهن عاجزات عن ارتداء آزدي. وهن يضغطن صدورهن، ويلبسن شعرهن الطويل، ويرتدين الزي الرجالي، ويتسلطن إلى داخل الاستاد.

٩٩ أكبر استاد في إيران هو استاد آزدي الذي يسع ١٢٠ ألف متفرج. ومع أن المعنى المباشر للكلمة في القاموس هو «الحرية»، فإنه يمثل شيئاً قريباً من العكس. فبعد قيام الثورة الإسلامية في عام ١٩٧٩ والنساء محظور عليهن مشاهدة كرة القدم في آزدي. وهذا الحظر ليس مقصوداً على هذا الموضع أو حتى على إيران، بل ينطبق على مساحات كبيرة من العالم الإسلامي، ما زالت أشكال الحظر مستمرة دون جدل كبير. إلا أن الحقيقة

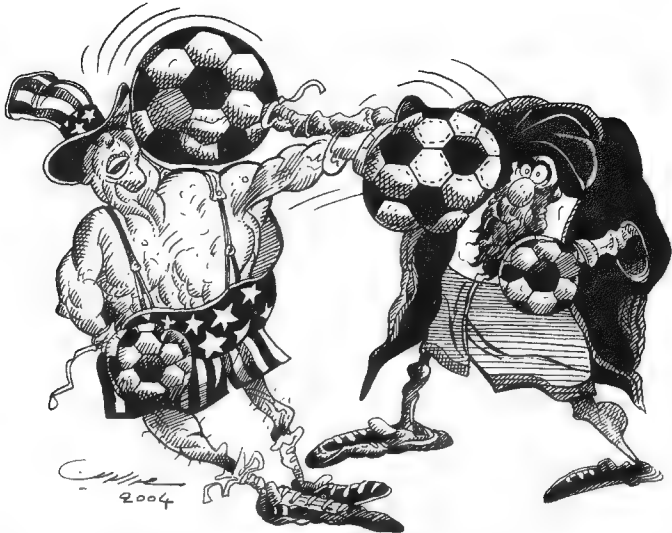
فصل من كتاب.

How Soccer Explains the World  
An Unlikely Theory of Globalization  
(كيف تفسر العالم من خلال كرة القدم..؟ نظرية في العولة)

Franklin Foer  
261 PP. 2004, Harper Collins. Pub.

ترجمة. أحمد محمود

وجاهات نظر ٣٠



## للظموحات الإسلامية!

بوابات أردى، هي درجة حرارة مقدارها ٢٧ درجة. وكما قال عالم الأنثروبولوجيا كريستيان بروميرجر، فإنه حين رفعت الشرطة دخول هؤلاء النساء الأستاذ، ببدن الصباح قائلات «السن جزءاً من هذا البلد؟ تريد أن نحفل كذلك»، وخوفاً من الزحام، سمحت الشرطة لثلاثة آلاف امرأة بدخول الأستاذ في مقاعد خاصة مفضولة عن بقية الأستاذ. ولكن ما عن حوالى الـ ١٠٠ امرأة أخرى على الجانب الآخر من المداخل لم يدخلن أردى؟ قد دخول اخواتهن لم يهلنهن. وفي تصميم منهن على الحصول على نصيبهن من الاحتفال، اقتضت البوابات التي أقامتها الشرطة وشفقن طريقهن إلى داخل الأستاذ. واعتزاماً على تجنب المشاغبات الكبيرة التي قد توجه الشاعر القبطية الخاصة بذلك اليوم في اتجاه خاطئ، لم يكن أمام الشرطة خيار سوى التفاضل عن دخولهن والإقرار بالهزيمة.

جرت نزع هتيل الأزمة إلى حد ما، وطلبت الحكومة من الفريق التلكن في العودة من استراليا، حيث يتوقف في دبي كسياً للوقت كي يبدأ الوضع في طهران. وحذرت الإذاعة المواطنين من الاحتفالات العلمانية التي تعصب الله، وخاطبت بعض الرسائل الأخرى نساء البلاد على وجه التحديد ودعتن «لخواتنا العزيزات» حيث حثن على البقاء في بيوتهن أثناء احتفالات عودة الفريق إلى الوطن.



حين عاد الفريق أخيراً، بعد ثلاثة أيام، أقامت الحكومة الاحتفال في استاد أردى. وصل الأبطال إلى الأستاذ بالطائرات المليكيش، وكان سيلميو بيرمسكوني هو الذي خطب الحدث، ولكن المشهد الحقيقي لم يكن داخل الأستاذ. فقد تحت آلاف النساء نداءات الدولة وتجمعن على الجانب الآخر من

المن باعتبارها أمراً مفروضاً من الغرب. وكان الكثير من لاصي هيبا قد صنعوا حياتهم الرياضية في الدوري الأوروبي والدوري الآسيوي، وكانوا نماذج مشجعة لتفاعل إيران مع الاقتصاد الكوني. كانت الحكومة محقة في شعورها بالقلق، فبعد الانتصار امتلأت شوارع طهران بالمحتفلين. وقد جعلهم الفرح يحلون أنفسهم من الأخلاق الرسمية، وأصبح الرقص والشرب وموسيقى البوب الفريية، وهي الأمور التي كانت تقتصر في العادة على البيوت أي على المجال الخاص، مادة للاحتفال العام. وإذا كان المحتفلون رجلاً، فقد كان ذلك شيئاً عادياً. ولكن في الأحياء الراقية، وخاصة بين الشباب، كان الاحتفال من بين الجنسين. وقد التقت بعض النساء بالحجاب واحتفن بدون أغطية الرأس المألوف بها. وحين كان اليابسجي، أي أعضاء الميليشيا شبه العسكرية الدينية، يصلون لفرض المظاهرات، كانوا يقنعون بالانضمام للمحتفلين أنفسهم.

وبذلك تقدمت إيران إلى كأس العالم لأول مرة منذ إعادة الطائفة من طراز ١٩٧٩ آية الله الخميني من المنفى قبل ذلك بثمانية عشر عاماً. وبما أن النظام الإيراني يملك أنفاً رومانياً فيما يتعلق بالحفاظ على النفس، فقد بدأ على الفور الاستعداد للاحتفال، وهو يعرف أن الجماهير المرححة قد أعطت أجازة لمقلانيتها، ويومن عقلانية ترشدهم لـ يكونون من الجنون بحيث يزيلون المتاريس، وكان مشهد كرة القدم قد أخذ يعكس الطموحات الخاصة بإيران الجديدة الأكثر تحسراً. وهي نفس الروح التي قذفت بالإصلاح محمد خاتمي إلى الرئاسة قبل ذلك ببضعة أشهر. ولأول مرة في تاريخ الجمهورية الإسلامية، قاد الفريق مدرباً أجنبياً، وكان برازيلياً اسمه فالدير فييرا. وحين كان يجلس على الخط، كان يرتدى ربطة عنق. وهي الموضة التي دفع بها الشاه لتككون رمزاً لإيران الحديثة، بينما رفضها رجال



## الحل الكروي للطموحات الإسلامية

[ ٢ ]

حين يكتب مؤرخون آخرون عن تحول الشرق الأوسط، فهم الجحشمل أن يتحمسوا لهذه اللحظة التي باتت بالفعل تعرف بثورة كرة القدم. وكما هو الحال بالنسبة لحمل شاي بوسطى - ١٠ مايو ١٩٧٢، حين ثار الأمريكيون على عدم إلغاء الرسوم المفروضة على الشاي وقاموا بإلقاء الشاي الموجود على ثلاث سفن في البحر - سوف تصبح اللحظة التي أدرك فيها الناس لأول مرة أن بإمكانهم تحدى حكاهم الطغاة. وبالنسبة للإيرانيين، كان الحدث بمثابة المفاجأة نموذجية، ذلك أن كل مباراة تأهيلية لاحقة جعلت الإيرانيين يشترطون الشوارع. ويسمى الوقت، أصبح المعنى السياسي الضمني لهذه التدهانات واضحاً بصورة كبيرة. وخلال حملة ٢٠٠٢، ومع كل فوز إيراني، على السعودية، وعلى العراق، وعلى الإمارات العربية المتحدة، كان المشجعوون المحتلمون يشتمون، "ندباد آزد" (فليحيا آزد) و "نحن نحب أمريكا، ولكن هذا قد يقلل من أهمية ثورة القدم. إنها أكثر من مجرد حدث، فشوة كرة القدم تسلك بصمتها المستقبل في الشرق الأوسط. وربما أمكن تصور هذا المستقبل في ظل خفافان الرأية القومية المتوالية للإسلام، والكتيبات الموجودة على الحدران التي تمتد، شعب إيران النبيل، وهتاف المحتفلين باسم رضا بهلوي ابن جدر الحارح القومية في الشفى. وهى جدور المتعاضة القديمة ضد الإسلام.

لكن

لكن كل ثورة كرة القدم هي الثورة التي تريدها الولايات المتحدة؟ من فترة ليست بعيدة كانت الشزمة القومية العلمانية تبدو العدو الكبير في الشرق الأوسط. فالحكام المستبدون مثل جمال عبد الناصر ومعمّر القذافي وحافظ الأسد كانوا أكبر شوكه في خاصرة أمريكا (بالعرف أن وفاة عبد الناصر كانت قبل بداية ظاهرة خطف الطائرات - الجور). وكادوا يبرعون في إخطاف الطائرات وضى الحرب ضد إسرائيل. إلا أن القوميين العرب مروا بإوقات عصيبة في الثمانينيات، فلم يجد بإمكانهم اللجوء إلى الاتحاد السوفيتي من أجل الرعاية، وكشفت حرب الخليج الأولى كيف أنه بإمكان الأمريكي أن يسحقوا مسهولة

حتى أقوى من في هذه الحزمة. بل إنه منذ أيام ناصر وهؤلاء العلمانيون يتناصرون مع الحركات الإسلامية التي كانت توليها المملكة العربية السعودية. والأل، وبينما كان هؤلاء القوميون لا حول لهم ولا قوة، حققت حماس والقاعدة والواعظون الوهابيون المتشددون الانتصار في معركتهم للهزيمة على العقل المسلم.

لا شك في أن الحكام المستبدين القدامى قد أهدلوا قدراً كبيراً من الصداع، ولكن أمريكا كانت تعرف أساساً كيف تتعامل معهم. فقد استطاعت أن تقضى عليهم الواحد تلو الآخر، وتهدم في النهاية بإعتبارهم حمقى لا صبر منهم نسبياً. ومن ناحية أخرى كان الإسلاميين مشكلة غير متبادلة لا يمكن العولة في المنطقة. ولكن ذلك لم يفلح حتى الآن. فهى أماكن مثل باكستان، زادت معانم كتنكى وأفلام بوليوود. مدينة السينما الهندية من تقاليم الشككة. فقد لصتا عن طريق عرض أسلوب الحياة العربية الأنثوية إلى انتشار العالم الإسلامي المهين إلى الحداد. والحلم الحل الآخر لمشكلة الشزمة الإسلامية، وهو الحل المحافظ الجديد، إلى أن الولايات المتحدة تدفع الشرق الأوسط، بكثافة وسرعة نحو الديمقراطية. إلا أن مجرد حقيقة أن الولايات المتحدة هي القوة الوحيدة للشزمة الشزماً جادا بوسائل التحول الديمقراطي تعنى أن الكراهية العمياء للروس قد تقضى على الرسالة. وتبين ثورة كرة القدم أن أفضل ترياق للشزمة الإسلامية قد لا يكون شيئاً جديداً، بل قديماً. ألا وهو العودة إلى الواقع أن ثورة كرة القدم لتسبها

الزمنة القومية العلمانية.

الواقع أن ثورة كرة القدم لتسبها

[ ٣ ]

يمكن رواية تاريخ إيران الحديثة كما يروي تاريخ كرة القدم الإيرانية. فهو يبدأ بعد الحرب العالمية الأولى بإنشاء رضا الكبير، ملك اللوك، طل الله، ممثل الله ومركز الكون، مؤسس الأسرة البهلوية. لم يولد رضا خان، الرجل الذي أصبح رضا شاه في سن الضوض حين كان في السادسة والأربعين، في الصدر. فقد كان جندياً فيه عسكري من الأقاليم صنع اسمه بقصادة فرقة من القازاق المبرزين تدريباً روسيا. ولكنه كان في نظر البريطانيين، الذين قفروا على بحيرة البترول الإيرانية وحاولوا إدارة البلاد بهوى، الشخص النافه المناسب. حيث كان رجلاً بلا طموحات سياسية، ومعتاداً على تلقى الأوامر. وفي عام ١٩٢١ اتخذ الجنرال السير إدموند إيرنسايد مقراً له في طهران. وقد اقترح متواضع أن رضا قد يرغب في تولي السلطة. وكانت الحكومة القديمة قد باتت ذات نزعته قومية قوية ولا يمكن الاعتماد عليها حسب منازق إيرانياد. ونجح انقلاب تلقى بمباركة بريطانية. وبعد أربع سنوات تلقى رضا المكافأة النهائية على قناعه. فقد

أرسل الحاكم المعزول إلى أوروبا، وحمل هو لقبه الطويل ومعه كل مظاهر الملكية. وكانت قفزة أكبر من أن يقوم بها حتى قروى بسيط. ولكن كما سيشهد البريطانيون، فقد أثبت أنه يختلف كثيراً عن ذلك الرعوى الساذج الطبع الذي تخيلوه في البداية. إذ سوف يستخدم الجيش كاداته التي لا ترحم لإعادة تشكيل المجتمع الفارسي على صورة المجتمع البروسي، ليكون أمة حديثة تنافس أوروبا. وكما هو شأن نموذجها الآخر المحدث التركي العظيم كمال أتاتورك، فقد شق الطرق ومد السكك الحديدية، وأخذ الممارسة التقليدية، وقلل من شأن اللائى، وحظر التشادون. وأصدر تشريعاً يقضى بتخلص الرجال من عباءاتهم، وإزادتهم، الحلل الغريبة. ولكى يخلق أمة حديثة، أراد خلق رجل إيراني حديث يفهم قيم الصحة والنفاش الدولية. والتعاون. أصبح رضا شاه مؤيداً متحمساً للتربية الرياضية، وكان ذلك ميلاً ناحية الرياضة البدنية العالمية التي أدخلها ضمن المناهج المدرسية. وسرعان ما أصبحت كرة القدم النشاط المميز لى النظام. ثم انضم رضا شاه إلى لعب القوات المسلحة المباريات، حتى في الأقاليم، حيث لم تكن الاحنية الأوروبية قد ظهرت بعد. وكما قال مؤرخه صاحب العقل الشاب هوتشاج شهابى فإنه بحلول منتصف العشرينيات كانت كرة القدم قد أصبحت رمزاً للتقدم، وسرعان ما جرى الترويج للعبة على أعلى مستويات الدولة. وكما هو حال رضا شاه نفسه، فإن كرة القدم الإيرانية تدين بقوتها في البداية للبريطانيين. فقد تعلمت النجبة الإيرانية كرة القدم في المدارس التبشيرية التي يديرها الأجانب. وتعلمت الجماهير الإيرانية اللعبة بالوقوف على خطوط التماس نشاهد موظفى شركة النفط الأجلو إيرانياد. وكانت فكرة التحديت بصورة عامة، وكرة القدم على وجه الخصوص، تمثل صدمة للنظام الإسلامى. ومع أن رضا شاه قمع رجال الدين، فقد كانوا لا يزالون يمارسون المقاومة الهادئة. فهى القرى أمر الملاى برجم لاعب كرة القدم الإيرانياد. فهدن اللعب في الذى البريطانى كان الإيرانيون يرتدون الشورتات، مما يخالف الشريعة التي تفرض على الرجال تقطيع الملابس ما بين العصرة والركبة.

لكن الأساليب القديمة لم تتح لها

## كان مشهد كرة القدم قد أخذ

يعكس الطموحات الخاصة بإيران

الجديدة الأكثر تحسراً. وهى نفاذ الروح التي

قذفت بالإصلاحى محمد خاتمى إلى

التراسة قبل ذلك بيضة أشهر







اللاعبين، في صحة أخوة... الجهاد في قربانا، حيث تنقص أبسط أسباب الراحة؟ هل حلت كل مشاكلنا السياسية والاقتصادية والثقافية حتى نتحول إلى الرياضة؟.

## ٤

حلال فترة قصيرة جداً، نجح النظام الإسلامي بالفعل في القضاء على الثقافة الشعبية الإيرانية، وتخلص من الخفريات والطريسين، وألفوا أي فيلم سينمائي يكشف عن فبر زائد عن الحد من اللحم، ولكن حين امتد ذلك الحظر إلى كرة القدم، أصبح من المستحيل الدفاع عن موقف النظام، فقد وضع الحكومة الجديدة في معارضة مباشرة مع هوية كبيرة للشعب الإيراني. وبسرعة كبيرة أدرك الملاي أن القضاء على كرة القدم لا يستحق ثمنه السياسي، وبما أن رجال الدين لم يتمكنوا من تدمير كرة القدم، فقد فعلوا ثانياً المثل شيء، ذلك أنهم حاولوا الاستغناء منها واستغلال اللعبة من أجل كل ما لها من قيمة، فقد اندس عملاء النظام بين جماهير المشجعين وحاولوا قيادة الهتافات التي تعمد الله، وجرب النظام كمد لمع وضع شعاراته على لوحات تحيط بالمعجب، فبدلاً من الإعلان عن توشيبا وكوكاكولا، كانت اللوحات تصرخ بأصوات عالية، فاستقطبت الولايات المتحدة، ولأبد من تدمير إسرائيل.

لكن ربما لم تخيل الحكومة بشكل جاد أن تلك الرسائل السياسية يمكن أن تتجسّد، ولو بطريقة لا شعورية، في شد انتباه المشجعين، فالواقع أن الجماهير فعلت شيئاً قريباً من عكس هز قبضاتها والصياح بالهتافات الإسلامية، فقد طردوا قادة الهتافات المشددين خارج استاد. وكانت تلك رسالة لا تيس فيها لإخراج المسجد من الرياضة سمعتها الحكومة في النهاية وتوقف النظام عن النزح بالمدايعة السياسية الموجهة في كرة القدم، وبدأ يرسم مساراً أكثر واقعية مع التركيز على تقليل خسائره واحداً من التأثيرات عبر الإسلامية التي تصاحب اللعبة، وكان في ذلك شديد الحيلة والدكاء بشكل غير عادي، فقد أصر في بعض المباريات على تأخير طفيف في البث، بحيث يكون لدى الرقباء الوقت الكافي لمحو لغة الجماهير السيئة أو الرسائل السياسية

بقولها الأطفال في آلاف من مباريات الكرة الشرايط التي تقام في الشوارع. ولا أن كان النظام استغل المباراة بذكاء ضد إسرائيل كي يقدم موقفه، فقد كان استغلاله أكثر وضوحاً في السنوات التالية، وانتعشت اللعبة في السبعينيات مع المنافسة المكثفة بين الأندية. وتعلق أفراد العائلة المالكة في الشعبية الجديدة وبددوا عائلانية تأييد لنادي التاج، وللتغطية على قواعد الملكية، تعاطفت زوجة الشاه مع فريق باريسبوليس منافس التاج الكبير. ومع ارتباطات الملكية الشديدة هذا بكرة القدم، فمن الممتن أن يستهدف معارضو النظام الإسلاميين ذلك، وغالباً ما كانوا يقاتلون المباريات لإعلان احتجاجاتهم.

وكان لنظام الشاه الكثير من الأخطاء، وخاصة التعامل مع معارضيه يوحسبه لا سيول إلى إنكارها، ولكن أكبر ميوهه، وهو العيب القاتل، هو برنامج الشاه الخاص بالتحديث، فقد كان يدفع إلى البلاد بشدة، وبسرعة، كي تصبح حضريّة وصناعية، فقد تم القضاء على قرون من الحياة الفارسية خلال جيل من التحول العموم. لا أنه حين طرد الثوريون الشاه في ١٩٧٩ حاولوا بشدة القضاء على الرمز الرياضي كبرنامج للتحديث، فقد استولوا على ملعب كرة القدم في جامعة طهران، واستخدموا الاستادات أماكن للصلاة في يوم الجمعة. كما أموا نوادي كرة القدم، وحولوا التاج إلى الاستقلال وباريسبوليس إلى بيروزي (النصر) وأوضح المترمّنون المتشكّسون في صفوفهم ومشهوراتهم أنهم يعتبرون كرة القدم دعوة مضحكة، ويقولون شجب كوري نعملي: «الم يكن من الأفضل بدلاً من التصرف كالمهرجيين مثل البريطانيين والأمريكيين، من أجل الدلمان، في الحلبات الدولية أن يلعب

وعلى عكس سائر العالم الإسلامي، كان للإيرانيين تحالف هائل مع الدولة اليهودية مع حلفاء لصخب آخر الستينيات. (كثيراً ما حقق إسرائيل نجاحاً كبيراً في تنمية التحالفات غير العربية على حواف العالم الإسلامي). وبسبب هذا التحالف لم ينضم الإيرانيون إلى الدول المسلمة الأخرى التي رفضت حتى دخول المجال الرياضي مع الإسرائيلييين.

وقد لعبت المباراة ضمن دور الأربعة في كأس الأمم الآسيوية، وبينما يحفظ النظام بعلاقات مع إسرائيل، لم يكن الشعب الإيراني يتبنى الولف نفسه على الإطلاق. وفي وقت سابق من الدورة، حين لعبت إسرائيل مع هونغ كونج، رعى الإيرانيون المشجعين اليهود بالزجاجات، وكما قال هوتشاج شهابي، فقد كانت المباراة مع إسرائيل دراسة حالة في القبح، فقد أطلق المشجعون البائونات المغطاة بالصليب المقوف، كما هتفوا «الهدف الثاني في الشبكة، مؤرخة موسى ديان المسكية مشقوفة وملتهبة».



هناك نظريات كثيرة تقصر المنطق الذي وراء قرار الشاه السماح بإجراء هذه المباراة، ويقول إيرانيون كثيرون بافتتاح إن الشاه نظم المباراة لتفتيس الشعور المعادي لإسرائيل بطريقه غير ضارة، ويؤكد آخرون أن الإيرانيين جعلوا نتيجة المباراة ١-٢ مساندة لصديقهم الشاه، وبمهما كان الأساس المنطقي لقرار الشاه، فقد اكتسب التصامر إيران أهمية استثنائية، وقد سجله الفنون التشخيص في أغنيته. وأصبح اللاعبون شخصيات قومية

فرصة الصمود أمام جيروت المحدثين الذين لتصمهم الدولة القوية، فقد استولى نظام رضا شاه على الأراضي من المساجد وحولها إلى ملاعب لكرة القدم، ويمرور الوقت أصبح حماس الدولة أشد، وبينما احتضن رضا شاه اللعبة لأسباب نظرية إلى حد كبير، فقد عشقتها ابنته بحب كهواية، ولعبها ولي العهد محمد رضا بهلوي في مدرسة روزي بسويسرا، وحين عاد إلى الوطن في عام ١٩٣٦ لعب كهاجم في مدرسة الضباط التي التحق بها. وحين أجبر البريطانيون رضا شاه على التنازل عن عرش الطاووس لابنته في عام ١٩٤١، يعد أن أقدم بغياء على إقامة علاقات حميمة مع النازيين، وضعا على العرش أكبر متعصب لكرة القدم في البلاد.

رغم بعد إيران عن كل من الجبهتين الآسيوية والأوروبية، عاشى الاندفاع البهلوي تجاه الهداثة من نكسة كبيرة بسبب الاختلالات الاقتصادية الناجمة عن الحرب العالمية الثانية، وفي ظروف البلاد السيئة، أصبح النفوذ الأجنبي، وكان لا يزال هو النفوذ البريطاني مع تزايد النفوذ الأمريكي، بارزاً كما كان من قبل، وبلغ ذروته بالانقلاب الذي قادته الولايات المتحدة للإطاحة برئيس الوزراء المنتخب محمد مصدقي في عام ١٩٥٣. وفي المدن، بدأت طبقة المثقفين الاشتراكيين ورجال الدين التقليديين تأكيد وجودهم، وكانت أمور مهمة خاصة بالمدولة تشغل دهن الشاه الجديد، ورغم ذلك، وباعتباره مشجعاً مخلصاً، لم يمكنه التناقص عن الضائرات التي لحقت باليسرى القومى الإيراني في الخمسينيات، ولذلك بدأ في تخصيص الموارد لخلق فريق عظيم.

في العقد الثاني من حكمه، أثمر العمل الشاق، وكجزء من برنامج النظام المتواصل للنمو المحموم والتحديث، امتلات المدن التي تحولت حديثاً إلى الصناعة بملايين المهاجرين من الأقاليم، وقد بدأ هؤلاء الوافدون، الذين يتمتعون لأول مرة بالراحة من العمل الشاق في الزراعة، في ملء أوقات فراغهم بكرة القدم. وكان المشجرون حديثاً الذين لا يمكنهم الحصول على تذاكر لدخول الاستاد يشاهدون كرة القدم على شاشة التلفزيون، وهي الوسيلة التي ازدادت جماهيرية في أواخر الستينيات، ولكن شعبية هذه الرياضة تركزت على مباراة واحدة لعبت ضد إسرائيل في أعقاب حرب ١٩٦٧.

## إنها أكثر من مجرد حدث.

فتورة كرة القدم تسك بمفتاح المستقبل في الشرق الأوسط، وربما أمكن تصور هذا المستقبل في ظل خفقان الرية القومية الموالية لإسلام



## كتاب الزاوية



حب الوطن فرض عليه

محمد يونس القاضي

حب الوطن فرض عليه  
ليه بس ناح الجبل ليه  
قضيت أعز شبابي فيه  
وان شاف هوان وإلا أسية  
يا مصر أنا رضعت هواك  
أحب نيلك وسماك  
أرواحنا وشبابنا هناك  
ما ليش يا مصر حبيب غيرك  
ونا اللي متركبي في خيرك  
ونيلك الحلو الصافي  
حب الوطن فرض عليه  
ده وردة أحلى في عنيه  
يا أعيش كريم يا أموت كريم  
حب الوطن فرض عليه  
أفديه بروحى وعينييه  
فكرنى بالوطن الفالى  
وفيه حبابيى وعزالى  
أفديه بروحى وعينييه  
بيجسرى فى دمى  
أنت أبويا أنت أمى  
وفداكى روحى وعينييه  
أميل إليه فى الدنيا دى  
وإزاي راح أنسى هوا بلادى  
أفديه بروحى وعينييه  
ومن يولمنى فى حبه ده مين  
من كل ورد تشوفه العين  
وأفديه بروحى وعينييه  
أفديه بروحى وعينييه

لا شك في أن الأحكام المستبدية  
القسامية قد أحدثوا قدراً كبيراً  
من الصدام، ولكن أمريكا كانت تصرف أساساً  
كيف تتعامل معهم. فقد استطاعت أن  
تقضى عليهم الواحد تلو الآخر

تتوقع تسريحاته بين «بظ» و«موهوك»،  
وبديل الحصان، تمثل فكرة الحرية.  
وهي الفكرة التي وعاما اللاصبون  
الإيرانيون، ولا استثناء تقريباً، يلعب  
أفراد الفريق القومي بلا لحي ويشعر  
جرحي تسريحه بعمانية. وهم يحظون  
بهر كبير، واحتراف كثير منهم اللعب  
في الملايا والجلترا وسنغافورة، وغيرها  
من مواقع الاقتصاد الكونى المتقدمة.  
ولم يمكنهم أن يكونوا أكثر اختلافاً من  
نموذج الرجلوة الإيرانية القديمة الذي  
يود رجال الدين في مدينة قم المقدسة  
نقله.

[ ٥ ]

أبرزت الانتخابات الرئاسية في عام ١٩٩٧  
الأمل الأبيض الكبير، وهو رجل الدين  
والفكر محمد خاتمي، وكان خاتمي قد  
أيد في كتاباته تطابق الإسلام  
والليبرالية. وكان مؤيدوه يحملون بصوت  
عال بأن يؤدي انتخابه إلى حقبة جديدة  
من الديمقراطية والجمعة المدي وحرية  
التمهيد وحقوق أكبر للمرأة. وبينما كانت  
آمال الكثير من الإيرانيين تتركز على  
خاتمي، فلم يسمح معظمهم بقدر أكثر  
من اللازم من التفاضل. إذ كان خاتمي  
الجواد المتوقع خسارته في السباق. ذلك  
أن منافسه على أكبر ناطق ثوري، وهو  
رجل دين كذلك، جاء بمباركة المرشد  
الأعلى آية الله خامنه إي، وكان يمثل قوى  
النزعة المحافظة في المؤسسة الحاكمة.  
وفي إيران يمكن لرجال الدين، متى  
شأوا تقريباً، مد ذراعهم الطويلة  
باستخدام الميليشيات لشق طريقهم  
بالقوة.

أبرز خاتمي أجزاء من أجنحة أكثر  
ليبرالية. ولكن الخطاب السياسي  
الإيراني ليس سوقاً نموذجية للأفكار.  
فهناك بعض الأفكار التي لا يمكن  
الجهر بها. فلا بد من نقلها بطريقة  
ضمنية وباستخدام الرموز، مثل  
الأبطال الرياضيين المحليين  
بالمزج.

من بين ألعاب وأنشطة وقت الفراغ  
الإيرانية نجد أن أقدمها وأكثرها احتراماً  
هو «زورخانه»، أو دار القوة، ويشكل أكثر  
تحديداً ليست «زورخانه» رياضة وإنما

التي يمكن سماعها من خلال التلويزيون،  
وبالنسبة لمباريات أخرى، كان يخفف  
صياح الجماهير بطريقة إلكترونية  
ليصبح مجرد ضجيج مسموع وغير  
مفهوم. وإثناء كأس العالم لعام ١٩٩٨  
كانت الحكومة الإيرانية تعيش في حالة  
خوف من معارضيتها في الفتي، وخاصة  
جماعة من شبه الماركسيين تسمى  
«مجاهدى خلق»، كانت تملأ الأستاذ في  
فرنسا، وكانت تأتي معها بالرايات وتعد  
التهافتات بعمانية. وتحتاض نقل رسائلها  
المدمرة بشكل يثير الارتباك، لم يكن  
التلفزيون الإيراني يذيع أية لقطات  
للمجموع الحقيقى. بل كان يقوم بعمل  
مونتاج يضع من خلاله صورة من  
مباريات سابقة، ولم تكن الصور مقنعة  
بصورة كبيرة. إذ كانت الجماهير التي  
يغرضها التلفزيون ترتدي المعاطف  
الشوية الثقيلة، وهي الملايا التي لا  
تتناسب بحال من الأحوال مع فرنسا في  
شهر يونيو.

فما الذي يشهده النظام إذن من كرة  
القدم؟ في مشهد كوميدي مؤلر في  
فيلم للمخرج عباس كيائوستامى  
«الحياة تضحى»، الذي تدور أحداثه في  
اعتقاب وقوع زلزال، يكافح الرجال  
لصيط الهوائى لاستقبال مباراة بين  
النمسا واسكتلندا. ولابد من ملاحظة  
أن هاتين ليستا من بين عمالقة كرة  
القدم المعاصرة. وهذا هو المثير في  
الأمر. فالإيرانيون يرغبون بشدة في  
مشاهدة كرة القدم الدولية لأنها  
تربطهم بالغرب المتقدم الرأسمالى غير  
المسلم. وحين تناف مباريات من كأس  
العالم، لا يمكنهم تحاضى الملافات  
الموضوعة على جانب الملعب تملن عن  
«بلاى ستشين» و«دوريتوس» و«نايكى»  
وهذا أسلوب حياة محظور على  
الإيرانيين الانضمام إليه. وهذه الصلة  
بذركها المحافظون. وفي صحفهم  
يطعن من يقومون بعمل مونتاج  
للصور الفوتوغرافية للإعلانات التي  
تجسد الملايين القويوة.

مرة أخرى، ليس هناك سوى ذلك  
القدر الكبير من الحد من الأضرار الذي  
يمكن للمحافظين القيام به. ذلك أن  
بإمكانهم طمس الإعلانات وليس  
اللامعين أنفسهم. فاية صورة لديفيد  
بيكام، على سبيل المثال، يشهده الذي

# كتاب الزاوية



زوروني كل سنة مرة

محمد يونس القاضي

زوروني كل سنة مرة      حرام تتسوّنى بالمرة  
أنا عملت إيه فيكم      تشاكوني وأشاكيكم  
أنا طول عمري أدايكم      حرام تتسوّنى بالمرة  
يا كبدى ع اللي مالوش حد      بطول عمره يقاسى الوجد  
وتنزل دمعته ع الخد      حرام تتسوّنى بالمرة

أنا هويت وانتھيت

أنا هويت وانتھيت      ولية بقى لوم العزول  
يجب إنى أقول يا ريت      الحب ده عنى يزول  
مادمت أنا بهجرة ارتضيت      خلى بقى اللى يلوم يلوم  
أنا وحبيبي فى الغرام      ما فيش كده ولا فى المنام  
أحبه حتى فى الخصام      ويُعدّ على يا ناس حرام  
مادمت أنا بهجرة ارتضيت      منى على الدنيا السلام



الحل الكروي للطموحات الإسلامية

من حين لآخر، وقد أعقب الكثير من مناسبات المسخط تلك كأس العالم، أى الجارات المتصلة به، وكما يحدث دائماً، حاول النظام استباق تلك الانجازات بإشارات نموذجية. فبعد مباراة مهمة تؤهل لكأس العالم لعام ٢٠٠٢، صنعت الحكومة كعكة باستخدام ١٢ ألف بيضة وزعتها فى أنحاء طهران فى ساحات مبردة، ولكن الحلوى لم تكن كافية لاستعادة ولاء الشباب، فقد بدأوا البحث عن بديل لكل من الحلاى المحافظين والملاسى الإصلاحيين مثل خاتنى، وحتى الآن لم يتخذ البديل شكلاً واضحاً، إلا أن هناك أسراراً تدل على الاتجاه، فهناك حنين قوى بين الشباب إلى أيام الشاه، حتى وإن لم يعيشوا هم أنفسهم تلك الأيام، وتوزع الأشرطة المهرية للنجوم الشعبيين من الماضى على نطاق واسع، وهما ريشة العنق تيمت من جديد، إنه نفس الدافع الذى وراء ثورات كرة القدم التى تهافت باسم ابن الشاه.

فما الذى ينبئ أن يحققه الغرب من ثورة كرة القدم؟ المقبول ظاهرياً أنها تمثل التحدى الحتمى الذى تشكله العولمة للإسلام، ولكن هذه ليست القصة كاملة. فكرة القدم تحقق نجاحاً كبيراً فى العالم الإسلامى دون أن تلقى التشدد، وهماو حزب الله يرضى فريق كرة قدم فى لبنان، وكان فيما مضى قد اشترى حقوق بث كأس الأمم الأفريقية لشبكة الإذاعة الخاصة به. كما استوردت دول الخليج العربى ذات التوجه الوهابى نجوم الغرب المعواجين للعب فى بطولات الدورى الخاصة بها، وقد شملت الملاعب الضخمة بالرخام وورق الذهب، مثل استاد الملك فهد المولى المهيى بالرياض ذى التأثير البلى.

إن ما يجعل ثورة كرة القدم مختلفة هو أنها دخلت بهنوء فى العاصفة القومية وحولتها ضد الدولة، ذلك أن الإخلاص الإيرانى للإسلام فى عظم الإخلاص الإيرانى لإيران، فضلاً لم يكن الاثنان الشئ نفسه، وهناك تاريخ قريب من العلمانية القومية، العلمانية التى تقوم مقام البديل، قد لا تكون البديل الأمثل، ولكنها سوف يجب أن تكون كذلك فى الوقت الراهن. ■

صالة ألعاب تمارس فيها الرياضة. وهى ألعاب محلية تشمل حمل الأشياء الثقيلة وعروض القوة الوحشية الأخرى التى تشبه المصارعة ورتع الأشتال، وطقوس زورخانه، محمّدة بصلابة. فالحرركات تبدأ بمدح آل البيت، ويصحب هذه الأصول الإسلامية، فلسفى المحافظين الإيرانيين الجذاب لا يدعو للبهشة نحو زورخانه، وتخصص صفهم أكواماً من التقطية للرياضة. وتجاهل كرة القدم بشكل أساسى، والتقى ناطق دورى فى حملته الانتخابية بالمصارعين وأشاع حبه للرياضة على نطاق واسع.

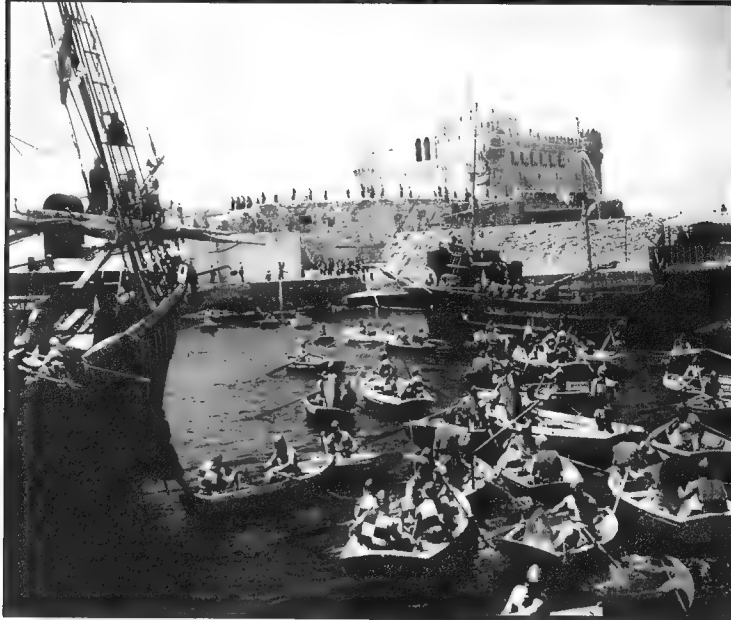


كان ناطق دورى قد حول نفسه دون أن يدري إلى سيف ماضى فى يد خاتنى، فبين أن يضطر خاتنى إلى تلحق الكثير من الكلمات من الديمقراطية أو الغرب استطاع أن يثبت نفسه للإيرانيين المتعطشين للإصلاح عن طريق الانحياز إلى استاد كرة القدم. فقد أحاط خاتنى نفسه باللاعبين المشهورين الذين أيدوه، وما من سبيل لقياس الأثر المطلق لهذه الإستراتيجية، ولكن المنطق واضح ووضوحاً كافياً، فقد كان أهل البلاد من الشباب الناشئ فى إيران ينظرون إلى الغرب وإلى كرة القدم كمصدر للإلهام، فقد كانوا ينظرون إلى التحالف مع كرة القدم على أنه يشير إلى المكان الذى تركّز عليه مشاعر خاتنى، وفى النهاية فاجأ خاتنى الجمهور وحصل على الرئاسة.

ولكن الحصول على الرئاسة وتحقيق آمال مؤيديك العليا أمران مختلفان. ومن سوء الحظ أن خاتنى لم يمكنه قط تحقيق أحلام الشباب الإيرانيين ذى الميول العلمانية، لأنه لم يكن قط ذلك المخلوق الذى تخيلوه، فقد كان مفكراً ليست لديه الضجاعة أو القوة كى يتحدى رجال الدين الحاكمين تمهيداً تاماً، والأهم من ذلك أنه نفسه كان رجلاً دين قسلياً.

خلال السنوات الثلاث الماضية، كان المسخط على خاتنى يخرج من مكانه





أفكار غائبة  
أو مفتومة  
أو سطحية  
سينما بلا هوية!





■ هل يمكن أن تكون للسينما  
قومية وهوية؟

وهل مطلوب منها ذلك؟

هذا مقال يقدم «وجهة نظر» في  
الموضوع من خلال قراءة لتاريخ  
السينما ولعدد من الأفلام المصرية  
والعربية.

بعد مرور نحو مائة عام على بدايات  
الرواية العربية، حصل نجيب محفوظ  
على ارفع جائزة عالمية في الأدب، (جائزة  
نوبل عام ١٩٥٨)، ولكن السينما العربية  
لم تسترق هذا الوقت، كي تعبر الضمة  
الأخرى من العالم، بمشاركات مشرفة في  
مهرجانات دولية، حصل بعضها على  
جوائز، وقيل مشاركة هذه الأفلام، مثلة  
العالم العربي، إلى جانب أعمال من دول  
راسخة في الإنتاج السينمائي، كان  
الجمهور الحلي قد اجاب مع الفن  
الجديد، الذي جمع أفضل ما في القرن  
السنة السابقة؛ فإلا مرة يجد الناس،  
على اختلاف مستوياتهم الثقافية  
والاجتماعية ولغشيتهم، فنا يصطحب  
لحاطة الجميع، ولا يهلك أحد إلا حق  
ادعاء فهم من موجه للبخس، أو التماي  
باحتكار ملكية عمل ليدعى، في صالات  
البو.

ولدت السينما بعافية مستمدة من  
خبرة مبدعي الفنون الأخرى، لتستلحق  
مباشرة من الاستوديوهات إلى الشارع.  
فإلى أي مدى ساعدت الأفلام أسباب  
جمهورها، التي كان من بين أهم أسباب  
نجاحها التجاري، في رفع وعيه، وتنبيهه  
حقوقه السياسية والثقافية  
والاجتماعية؟

فإن بالإمكان أن يحدث ذلك، لو توفر  
كائن وعي وطني وقفاي، لدى رواد هذا  
«الصناعة»، ولكن كثيرين منهم لم  
يفعلوا، إما لأنهم يريدون الربح السريع  
وحده، أو لأنهم قسوة وهما، كما في  
حالات بعض الدعاة والسينما المصرية،  
وتقصير المعرفة الثقافية السابقة على  
السينما، فضلاً عن عدم الإيمان  
بالجمهور، أو الخرفة به.

والآن وبعد هذه السنين، ورغم  
الاعتراف بجدد كل وضع لثيرة، في  
صرح المصير العربية بين الفول إنها،  
رغم المحاولات المهمة شكلاً ومضموناً،  
اخطأت في حق الجمهور، ولم تلتزم  
قضاياها الحقيقية، واضاعت سنوات من  
صمر الوطن، في الأفلام يقضي بعضها عن  
الأخر، ولا تصفيح كثيراً إلى رصيد

جماليات السينما، أو تنبيه الشارع إلى  
حقوقه.

كانت البدايات لأجانب، محققيهم أو  
عابرين أو مستشرقين، إلى أن انتبه  
اقتصاديون وطنيون ومتقنون، إلى خطورة  
هذا الفن، وأهميته في تشكيل الوعي  
العالم، فانشأوا الاستوديوهات في  
مقدمتها ستوديو مصر، على يد  
الاقتصادي المصري طلعت حرب.

وتنهض السينما العربية في هذه  
المهمة القومية، على وعى صانعها  
وشقاقتهم، فلم يحدوا هواء بل  
مخصصين، يحملون في أكرتهم تاريخاً  
يمتد آلاف السنين، وروصداً سينمائياً  
بعضه يتصدى للمقاربة بما تقدمه النول  
الكبرى سينمالياً.

ويصى المحققون من السينمائيين  
العرب، أن العالم لم يعد يريد منا أفلاماً،  
ليظهر بها كيف تفكر، على غرار روايات  
عربية تستهدف إشارة دهشة الخرائ  
الغربي، وتكرس صورتها الذهنية السيئة،  
وغير الحقيقية في إدراكه الجمعي  
التاريخي، حيث تجد هذه الأعمال رجاله،  
لأنها كتبت على مساق خيالنا  
«الاستشراقى»، وبالطريقة التي تثنى هو  
أن يكتب بها عنا.

السينما القومية التي نطمح إلى أن  
تكون تياراً، وليس مجرد تجارب لمبدعين  
أفراد، لا يبرهنها عدم أن تكون بالطبع  
نسخة سبق أن صدرها إلينا، بل صيغة  
جديدة، لا تشبه إلا نفسها. وتحمل راحة  
تاريخنا، ومومونا الخاصة، باعتبارها من  
بين القضايا التي تؤكد اشواق الإنسان،  
إلى الحب والخير والعدل والجمال،  
وتجمع الخاص والعالم، المحلي والخارجي،  
في لغة لا تتجاهل المدارس والتيارات  
السينمائية والثقافية العالمية، وتبوع  
لنفسها نهجاً خاصاً، ولد عليها مثل  
بصمات الأصابع.

### عن الهوية القومية والسينما

قبل البحث من هوية قومية للسينما  
العربية، ينبغي التسليم بأن هذه السينما  
ليست كتلة متجانسة، بل يصعب النظر  
إليها كمصنعة كأي منتج، بل كتيارات  
وتوجهات، تتأثر بالعمليات الحظية بكل  
بلد، وتغيراتها في البلد نفسه، بل في  
أفلام المخرج الواحد.

والهوية القومية للسينما لا تعنى أن  
ينتمي المخرج، وهو المسئول الأول من  
الفيلم، شعرات وطنية راقعة، أو الإقبال

بالدعوة إلى الوطنية العالية بدلاً  
للضمان الديني والرابطة القومية، وقد  
قاده موقفه في مساندة وجهة نظر  
الاحتلال الإنجليزي بشأن دعم امتياز قناة  
السويس عند مناقشته في مجلس  
التشريع في سنة ١٩٠٩.

ولعل مصطلح (الأمة العربية) يعود  
إلى المفكر الكاثوليكي السوري نجيب  
عازق (١٨٧٠ / ١٩١٦ م) الذي نشر في  
باريس عام ١٩٠٥ كتاب (قصة الأمة  
العربية) والذي فيه بأن تكون بلاد العرب  
للرب، مؤكداً أن المصريين غير جنديين  
بعد بأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم وعليهم  
أن يكونوا شاكرون على تسعهم بإدارة  
بريطانية صالحة.

وشأن معظم الذين يدعون امتلاك  
الحقيقة المطلقة، ويفرضون الوصاية على  
التوجه المستقبلي، لحصر وغيرهما، كان  
المثقفون العرب في ذلك الوقت، ولا أدري  
هل كان أحمد لطفي السيد (١٨٧١ /  
١٩٦٣) في دعوته المصرية، ينطلق من رة  
فعل لحاولت فرض الوصاية، أم أنه كان  
مقتنعاً بفكرة عدم اعتبار المصريين جزءاً  
من الأمة العربية.

ويست الفلاح من دعاة التشريفات  
المصرية، والوطنية العالية، كان صاحب  
صحيفة (المود) الشيخ علي يوسف (١٨٦٣ /  
١٩١٣ م) يريد ألا يقضي أحداً بتأكيده  
على أن، «الخطر المصري قبله الشعوب  
العربية وروح نهضتها المقتدرة، فهي تراهي  
فعل كرايل للاح إبرة البوصلة التي أمامه  
ليهدى بها ويتعطف إلى الجهة التي نذل  
عليها».

ولم يقتنع الذين دعوا إلى عزل مصر  
عن محيطها العربي، بكفالة اللغة بدلاً  
على عرويتها، فالتسان الفرنسي في  
الجزائر لا يعني فرنسا البلد، والغة  
الإنجليزية في الولايات المتحدة لا تؤكد  
أن الثقافة الأمريكية، وإن وجدت، إنجليزية  
الهي أو الهوية، فالحفلات، ولم تصنع  
التاريخ القومي، بل التاريخ القومى، هو  
الذي صنع هذه اللغات، المجتمعات التي  
تتمتع بهوية واحدة كانت في الواقع تخلق  
لغة خاصة بها أن لم تجد لغة مشتركة  
لها،(د. تديم البيطار. حدود الهوية  
القومية).

كانت المرحلة التاريخية شديدة  
الاضطراب، وفي ضباب معاركها غير  
المتكافئة، يستل الحل، بحسن نية أو  
بصوة، فقد كانت معظم النول العربية  
تحت الاحتلال، أو مرشحة له، أو للحماية  
تصديداً لإعلان حرب أوروبية، أطلق عليها  
ظلماً (الحرب العالية الأولى). ولم يكن

الدند الثامن والسون. سبتمبر ٢٠٠٤ م



## • يعنى ايه كلمة وطن ؟

يعنى أرض ؟ حـ مدود ؟ مكان ؟

## ولا حاله ما للشجن ؟

(أمريكا شيكا بيكا)



سلطة قائمة، فنى (الناصر صلاح الدين)، الذى أخرجه يوسف شاهين وعرض عام ١٩٦٣، كانت معظم جمل الحوار مكتوبة على مقاس جمال عبد الناصر شخصياً، ومنها

• يا سلطان العربى (وكان الإسلام آنذاك هو كلمة السر والسحر).

• يا منقذ العروبة (أية عروبة فى زمن صلاح الدين الأيوبي / الكردي؟) حتى تستطيع أن تقرأ اسم الفيلم هكذا، جمال عبد الناصر صلاح الدين.

وإذا كان مصطلح «العروبة» شاذاً ومتعمداً، وليوِّض الحق الحقيقة التاريخية،

بحسن فيه، ففى فيلم (الناصر صلاح الدين)، فإن فيلم (ناصر ٥٦) أخرجه محمد فاضل وعرض عام ١٩٩١، يلهم فى

نهایت، إلى وجود «الشارع العربى» بكثير من الصدق الفنى، فى حوار بين عبد

الحكيم صابر وجمال عبد الناصر بعد

إعلانه تأميم شركة قناة السويس، وكانت

أصداً، القرار بتمتعه أكثر صعوبة مما قدر

التزاور، وأوضح ناصر طيبة الحركة التى

بداته، فيما بعد، بين العدوان الثلاثى

(الإسرائيلي / البريطاني / الفرنسي)،

والأسلحة التى هى أيدئنا ألقاها،

والأسلحة التى هى أيدئهم أكثر وأساو،

وسوف يظل عبد الناصر لمخسبين

عاماً تالية، موضوع اختلاف واتفاق

السينمائيين، موزعاً نرجة أن يستهين

مواطن سوري، فى فيلم (رقى حائلة)

للمسرحية السورية وأحة الحارص،

بمظاهرات الغضب الشعبية، فى الشارع

الذي رفض تتخى عبد الناصر، بعد هزيمة

يونيو حزيران عام ١٩٦٧، ويقول لبطل

الفيلم، وهو ناصر الهوى،

«فلحريتنا نحن (عبد الناصر) أولاً،

ويعدنا نقاتل معه،

بإثارة قضايا فساد الحكم، وهذا يثبت

إدراك الناسة لخطورة السينما فى تشكيل

الرعى العام، وقدرتها على التأثير، كما

حدث حين سوبر فيلم (الآشين)، الذى

أخرجه فريتز كرامب، عام ١٩٦٨، وجاء

ترتيب الفيلم رقم ٢٢ فى قائمة أحسن

فيلم مصري، التى اختارها السينمائيون

مصريون عام ١٩٩١، بمناسبة الاحتفال

بمئوية السينما)، وصور الفيلم بحجة أن

يه مسأياً بالذات الملكية وإظلام الحكم،

حيث يتناول فساد أحد الحكام، ورفضه

على شاب مخلص بتدبير اتهام، ينتهى

به إلى السجن، فيشور الشعب، ويخرج

الشباب الوطنى من سجنه، وهم من العدالة.

وكان مقصراً عرض الفيلم فى الأشهر

الأولى من عام ١٩٦٨، ولكن منتج الفيلم،

ستوديو مصر أجبر على تغيير النهاية

التي انتصر فيها السلطان العادل (بدلاً

من قتله) وحظى بحب الشعب بعد سحق

المطامير والثأمين، وأبعد عرض الفيلم

مرة أخرى فى ١١ / ١١ / ١٩٦٨.

ولكن رغم (الآشين) أول فيلم مصري

يؤكد مصر مؤسسة الحكم من السن،

وترصها به، فقد سبقه، عام ١٩٦٣، فيلم

(ليلى بنت الصحراء) الذى قام

ببطولته وأخرجه بهيجة حافظ (١٩٥٨

/ ١٩٥٣)، وتدور أحداثه حول محاولات

كبرى أن شراوا الحجاب فتاة عربية،

القاهرة. والشعب المصري هو الذى سينطق

المن.

فى تلك الأجواء، هل كنا نستظر من

السينما، فى ذلك الوقت المبكر، أن تفتنى

قضايا ذات توجهات عروبية؟

وليس فى مراجعة السينما العربية

الآن، أى قصصه بمطالعتها مثلاً

بخصوصية قومية، كما كنا أن الطموح،

إن وجد، لا يسمى للسينما أو السينمائيين

العرب، الذين صنعوا فى سنوات لاحقة،

أفلاماً ذات توجهات وطنية أو قومية أو

تحريرية، ذات إبعاد إنسانية، من دون التنازل

عن شروط الفن. ولاتزال بعض هذه

الأفلام تصدرى لإختيار الزمن، خاصة ما

كان منها يخرجون يمثلون الرعى بأنهم

لا يخطئون جمهور أمة، ولا يرمضون

حداً مؤلفاً، يفقد الفيلم بعده الفنية،

التي يفترض أنها صالحة لجلب

لم بود بهد.

ويما أمكن تفسير شباب الرؤية

الوطنية عن كثير من الأفلام العربية، فى

التصنيف الأول من القرن العشرين، بعدم

وجود تأصيل طويل لخطية المتوسطة، التى

كان بإمكانها أن تختصر سنوات من عمر

السنما، ورغم وجود ممثلين لها،

هذه، فقد ظلوا مجرد ممثلين لها،

وغير مؤثرين على المستوى العام. كما أن

السينما عندما لم تبدأ، هنا وإنما بدأت

الاتصال بين الشعوب العربية معسراً،

ولعل هذا ما دفع مفكرى كل بلد، للتفكير

فى تاريخه الخاص، وتراكم خبراته

وشغافاته، وصولاً إلى حد أدنى من

الاتقنان، إلى وجود هوية قطرية.

وبينما كانت معارك الصراعات بين

المشتقين العرب دائرة، فى المواسم

العربية والأوروبية، كان الشارع المصري

غالباً عنها أو مغيباً، إذ «تجنبت كل

الحركات القومية، أو التطورية ذات

الطابع السياسى فى الشرق العربى منذ

البداية الدخول إلى ساحة مصر الملكية،

وربما إلى ساحة مصر الجمهورية أيضاً

بعد ثورة ١٩٥٢.. ولعل ذلك يفسر فى

مجملة غيبة هذه الحركات عن الشعب

المصري الذى كان مشغولاً بمقاومة

الاحتلال البريطاني فى إطار الوطنية

المصرية، حتى حرب الؤفة، وهو أول

حرب شفى مصرى يحظى بالأغلبية،

فى الحياة السياسية المصرية، فى النصف

الأول من القرن العشرين، ولم يكن

بشبعته، خصوصاً فى سنواته الأولى

متعمداً للاتجاهات العربية،

ويفرق المذكور عبد العظيم اليوس بين

تحقيق قيادات ثورة ١٩١٩ فى مصر إزاء

الفكر العلمى الشرقى، وبمعاذ

المصريين الشديدين مع نخال الشعوب

العربية، فى الشرق ضد الاستعمار، بعد



بين أبناء الأسرة. في فيلم يوسف شاهين (عودة الابن الضال)، الذي عرض عام ١٩٧٩، ويتقدم الحد الأدنى للغة حوار تصلح للثقافة، تنتهي الأحداث بمنحة تأتي على الجيل القديم، الذي أوصلهم إلى هذه المؤسسة، لا يستطيع أن يجد حلاً. ويبقى هذا الأمل رهناً بقدرته الناجين من المذبحة، حتى وقتاً يتأهبان لدخول الجامعة.

هذا الوطن، الذي تنفضه ولترديه تحت جلودنا، من المستحيل نزعها أو التبرؤ منها. وفي فيلم محمد فاضل (حب في الزلزلة)، الذي عرض عام ١٩٨٢، يضيئ الحبيبان محطرات الشرطة، وتسلم لصوص الاغتصاب. ويصبح الوطن طياراً، لا يسمع الشين يشدان الأمان. ويقتصر هذا الأمان في الهجرة، ويدير لهما شخص جزائري سمر. يمكنهما من المغادرة بسلام، ويسألها عن البلد الذي يحبها، وتفضل أن تعيش به، فتقول بعفوية وسرعة: «ما هي بلدك الذي تحبني».

ولكن هل فشلت التيارات القومية والحركات السينمائية في العودة لمناخ سينما عربية؟ يصعب التعميم لأن السينما في جماهيرية يحقق مواءمة لواقعها، المأهولة، بقدر ما يؤكد خصوصية كل مخبر، في صياغة فيلمه بأدوات جالية وفكرية، لا تتحالف الظروف بالذات، كما تتفاعل مع العصر، في صيغة تلد على المخبر وعلى امتلاكه القومي معاً.

## فلسطين.. تحولت القضية

عبر نحو أربعة آلاف فيلم، منذ بدأ إنتاج الأفلام السينمائية، لم تفرح السينما قضية فلسطين، بصورة تناسب مأساة، ستصبح جرحاً مزمناً، يستهلك أجيالاً من المشاهدين، والسينمائيين، والدبلوماسيين، والعسكريين، والحقامين، والخوفا. بعد انتهاء زمن الثوار جابت البدايات بفيلم (فتاة من فلسطين) وبفيلم (حب في الزلزلة) في ١٩٧٧ وفي ترتيب إنتاج السينما العربية، وعرض في الأول من نوفمبر عام ١٩٨٨، وأخرجته وقام ببطولته محمود أبو العمار (ليصري) (١٩٧٠ / ١٩٧٢)، أمام المطربة السورية سعاد محمد. ويحكي قصة حب بين جنين طيار مصري وملكة حالته التي قبلت الإسرائيليون أباه. وخلال مشاركة البطل في حرب ١٩٤٨، تسقط طائرته، في قرية

فلسطينية، ويصالح في بيت فتاة فلسطينية، كان مركزاً لأجداد الفلسطينيين بالسلح، ولكنه يصاب بعاهة منهجية، ويقع في صراع نفسي، ينظمه للإعراض عن التفكير في الارتباط بمن عجز عن الانتماء لها في الحرب، من قتلته أمها، إلا أنها لا تزال تعتبره بطلاً، أدى واجبه الوطني، وأمامه رسالة أخرى في الحياة. تتلخص في تحقيق المصادقة لنفسه ولها، بتكوين أسرة، تكون ذخيرة لتضال قادم، وتؤكد له أن «عاهات الحروب زينة الأبطال».

أنتج فيلم (فتاة من فلسطين) بجمهورية مصر سينما وطنيين، أدركوا أنهم يقومون بدور في إيقاف الضغوط العربية، التي لابد أنها أدركت أيضاً أن اسم الفيلم يكاد يصبح (فتاة في فلسطين). في السنوات التالية، تحولت فلسطين إلى (أرض الأبطال) و(أرض السلام)، ما بين الأواسي فيلمان أخرجهما، على التوالي، نبأ مصطفى وكما لا شيوخ، ويتناول قضية المقاومة المسلحة الشروعة، وأبطالها فدايون يتسللون إلى داخل فلسطين. وأثار الفيلمان غضبا آخرى، من بينها مأساة اللاجئين الذين طردهم الصهاينة ومنهم بعض أهالي قرية دير ياسين، تعرضت لمذبحة شهيرة، ارتكبتها الصهاينة. فضلاً عن تناول قضية الأسلحة المأهولة التي قضت على مقاتلين مصريين في حرب ١٩٤٨، وإلقاء جانب من المسؤولية عنها، على خوثة لا يتحدون في الإثراء، ولو بالتجارة بدما الشهداء من أنثاهم. وتصبح قضية فلسطين، إلا فيما ندر، عبئاً فنياً على كثير من الأفلام العربية، تماماً مثلما تحولت القضية، إلى محور لاستمرار كثير من الأنظمة الدكتاتورية، بحجة الانتظار لمواجهة مع العدو الصهيوني، المدعوم بمساندة معلنة من القوى العالمية.

ولا تقتسب الأفلام عن القضية الفلسطينية أهميتها الفنية، من حسن ذية صانعها، بل أكثر الأزمات التي تسمى، بحسن ذية أيضاً، إلى القضايا الكبرى، ومن بين مأساة السينما العربية لقضية فلسطين، أن الإشارة إليها تكون عابرة، من باب إبراء الذمة أحياناً، والندبات التي يجب نقسه لخلق عنها، من فتوح من الانتاح لا الخرافع مع، مدفوعاً بتجربة شخصية مريرة، يريد الخلاص منها، بإيهام نفسه بأنه أهل للقضايا الكبرى. كما فعل فيلم (أرض الأبطال) حيث تلوح في حرب فلسطين، بعد اكتشافه زواج ابنته كان

يريدها لنفسه. ولو أن بطل فيلم (نهر الحب)، الذي أخرجته عن الدين ذو المقار عام ١٩٦٠، فاز بحبيته، لأصبح الفيلم نهاية أخرى، أكثر صقلًا، من مغازلة الحماض الوطني للجمهور. بتلوع البطل في حرب ١٩٤٨، يذهب شهيد القضية، لا السيدة!

كان على السينمائيين العرب الانتظار، عشرات السنين، إلى أن تنهض من الفاضل، وبمكائن متواضعة، أشبه بجارة الأطفال المقاومين في مواجهة الدبابات والجرافات، صناعة سينمائية حقيقية، في فلسطين.

ولذا اختلصنا إلى القيمة الفنية لبعض هذه الأفلام، فإنها لا تملك أخرى شديدة الأهمية، وهي أنها تصنع صهاينة الخافطة، عن الفلسطيني في الداخل، الذي أصبح في الصورة الفنية العربية، عبئاً على الحرية نفسها، ويتأسأ منها ومن نفسه، كأنه مشروع للالتحار وأولت لا للحياء

ومن بين الأفلام الفلسطينية، التي تعد سلاخاً مهماً لتأسيس فلسطينيين يقدمون أفلاماً ذات أبعاد إنسانية، «أناج رانا، وبيد إلهية، وهي أفلام تثنى فكرة أن تكون (القضية) ضيفاً على أفلام عربية أخرى، بعضها كما يحمل المسؤولية عن جزءاً من المسؤولية عن المأساة، وبعضها يحثو عليها حقاً قاسياً، أشبه بعاهة الأوصياء، وكبار أفراد الأسرة، لطفل يتيم، تعويضاً له عن فقد أبيه. والأغرب من هذين النوعين هو عدم وضوح الرؤية، وغياب الوعي أو تسميحه: ففي فيلم (إسكندرية ليه) الذي أخرجته يوسف شاهين، وعرض عام ١٩٧٤، ومن بين كثير من القصص، والتفاصيل، والعلاقات التي لا يتسع لها فيلم واحد، توجد قصة حب بين الفتاة الهولندية سارة سوريل وطالب مسلم فقير، وتزعم هذه العلاقة طفلًا أشتد بعد هجرة الأم من مصر، بما يشير إلى أنهم يهود ديموقراطيون كل مستعمرين للاختلاط والمزيج مع كل الأجانب والآريين ولو بملافة غير شرعية، حيث يكتشف شاهين في اليهود «مزاجاً لم يكتشفوها مع أنفسهم في أنفسهم»، وحمل الفيلم، بتعاطف مع اليهود بلا مناسية وشرحا سرياً نقصة إسرائيل.

(والإشارة لسماي السلمانوي). ويرجع أحمد رافت بيجت أن علاقة محبا بين الصهيونية والمسلم «كانت محصلتها في اعتقادي في الفيلم بآثاره مهرجان برلين عام ١٩٧٩ مناصفة مع الفيلم الألماني (ديفيد)،

وسعود شاهين لإشارة هذا الموضوع حقاً، في فيلم (الأخر) الذي عرض عام ١٩٩٩، ويعاني قسراً هلالاً من الخلط والارتباك؛ فالخروج يريد أن يحزننا من مخاطر العولة، ولأنه يفكر ويكتب أعماله ويخرجها بالطبع، فلا وقت لديه ليذكر أن العولة ليست هي «الأخر، وأن الآخر، المرغى، ليس أكثر رحمة من «الأخر الأمريكي، إلا في الدرجة لا النوع. ولا نجد خطياً متصاعداً لهم ما، يشغل المخبر، ويريد الفيلم أن يعالجه، من ظهور الفكر الفلسطيني الراحل إدوارد سعيد، في المشاهد الأولى، في مكتبته بجامسة كولومبيا، مع البطل الشاب العائد من الولايات المتحدة، إلى الحقل الغربي الذي أعلن فيه إقامة مجمع للأديان الثلاثة، بجمام منتج يملكه والدة البطل الشاب (أمر أمريكي زمر لوالده!). في هذا الحقل، وبلا مناسية، تسمع حواراً مهابراً وجافاً وتقريرياً مثل:

«لا خوف لا للعولة».

«مش هي في العولة».

ثم فجأة يعلن أحدهم، وسط التفاف المتولين وحماهم:

«كأس للعولة».

ويلاحظ أنه يقولها بحماسة المدافع، المقتنع بالخط، لا أن سيهاية وطريقة تعطفها، يشير إلى السخرية من العولة والمتولين معاً.

خطورة التحول بالقضية، أنه يأتي على لسان إدوارد سعيد الذي يظهر في الفيلم، باسمه وخصيسته الحقيقية، حيث يدعو إلى الفيلم، إلى التخلي عما ظنه «المقترين، الشباب جزءاً من «الثواب» حين ينصح سعيد الشباب المصري بالتخلي عن بقية الآخر، «الأخر، والأخر، ولا تستبدل بكلمتي، أنا، وأنت كلمة واحدة، هي «نحن»، ولم يقل لنا (العولة) التي يقبلها الآخر بالشرط نفسها، التي تخلى بها عن هذه «الأنا»، وكيف ومتى يتخلى عن «أنا»؟

ولذا كانت القضايا الدينية ترى أن تشكيلات الحياة حلاً سريعاً في النص المقدس، الذي ربما لم يحل، أو يختبر عبر أكثر من ألف عام، قائلين: «كل شيء موجود في النص، فإن القتل يجب أن يتجاوز هذه الأحكام، بزدل من الجرة. وقد تلتأ شاهين عن طريقه بالإنذار إلى الحلم المجاني، لا يرى على لسان البطل، أن مشكلة التطرف، والإرهاب، في الجزائر تحدياً، يمكن أن يحلها الحب: «كان أحسن نتعلم نحب بعض بدل ما نتعلم بعض حقت».





## من بين الأفلام الفلسطينية، التي تعد سلاحاً مهماً لفنانين فلسطينيين يقدمون أفلاماً ذات أبعاداً إنسانية «زواج رانا» و«يد إلى يدي» - وهي أفلام تنسج فكرة أن تكون «القضية» ضيفاً على امرأة عربية أخرى



يعيش إيامه، كما يلقب بيلوس بيهيمى، ولأن الصبية كما لن فقد روحه، ففي تغامر بإفقاد روحها في نهاية الفيلم، كما غارمت بدون وعي في بدايته، لإنقاذ الطيارة الورقية غير العائنة بالحدود.

في العاصفة الأولى حذرنا الحارس، وفي الأخيرة كانت قد نضجت، فالقصر الذي يدفعنا إلى الجرة، على أن نواجه ما ترفه. حيث يتحول التمر إلى ثورة، والفكرة المجردة إلى خطوة على أرض لا تعرفها جيداً، حتى لو انتهى ذلك بانحسار لهم، في كل العلاقات والتقاليد ودوائر القيود التي كيدا بالأسرة، ولا تنتهي بالاحتلال.

نكاد العيلم يتجلى في حياض الصدر، وهو حياض طاهر، خادم، يغمس تحت السطح ببركاناً قابلاً للانفجار بحسبه المقتية، وكأن المخرجة تريد أن تصنع في مواجهة الأمرات الحشائرية والعائيلة والمسيحية والعنصرية، وأبعثوا في حل. هذا بعض ما تصب فيه الاحتلال، أمام مجتمع عاجز سياسياً وثقافياً. تحت سطح هذا الحياض، العيلم الاعتبار إلى العر، الإنسان، الذي تحول في نظر كثير من قدماء العرب، إلى ندى الثوب، إلى مجرد رافق في قائمة الرعايا لا المواطنين، وبالتالي يفرض الوصاية على أحلامه الصغيرة، ويتم تاجيلها إيجابياً، كما ينشئ الأوصياء من جسم «القضية».

### هــامـش

(١) تولى إيواد سعيد في نهاية سبتمبر عام ٢٠٠٣، وفي الثاني من نوفمبر عام ٢٠٠٣، تقيمت ندوة الجامعة الأمريكية بالقاهرة تكريماً للدهور المكري، وإثارت جدلاً بين بعض المثقفين العرب (في بعض الأفكار التي طرحها، في حوار معيد، يعود لتاريخه إلى وقت قصير مثند غير الفيلم، وأجراه معه في مكتبته، أخرج خالد يوسف، الذي كان مساعداً لشاهين في فيلم (الامر).

وقال سعيد إنه يمثل أن يزور العرب أشقائهم الفلسطينيين بعد أن فقدوا الاتصال معهم، والتمتع الفلسطيني بالذات، وجزء من المقاومة بدلاً من مجرد المراقبة من الخارج، كما استنكر ما وصفه بمنطقة المثقفين العرب، على التمييز مع إسرائيل، كما لا التمييز، فكرة نظرية، واضع أن كل القضية تتصهم في فهم دولة واحد، ويتعاضد على أرضها شعبان، مطالباً بوضع أسس جديدة للعالم، حيث لاتزال إسرائيل تفتقد الوحدة في التلاحم، التي تعدت وقتاً للهوية في أمكن، بالمحافظة للتعريف العادي للثورة الوطنية.

الأرض المحتلة عبر مكبرات الصوت، بين مهام الحارس المصغرة، أن يسجل كل هذه الأحداث، كما يراقب أصحابها بالخطار.

كاميرا المخرجة تبدو محايدة، في سرد التفاصيل الإنسانية الصغيرة، من دون رفع أي شعارات في مشاهد مشحونة، تؤكد خضوع الأهل لتقاليد تسرق براءة صبية لاتزال طفلة، لا تعرف عن الزواج شيئاً، ومن شقيقتها الصغير عليها، حيث يمشي لها شقيقها، كما يمشي ذلك بانحسار منطقة محتلة لن يلفها يوماً، يظل مستعظاً بفراشة شهدت أكر ذكري بيها. تحتل التقاليد العنصرية على البيت أن تزوج أحد الأقارب، من داخل الطائفة، وهكذا تم التزاع الصبية (يدا) وفي الساحة عشرة، من زيجاتها، وانطراحتها الورقية، ليدفع بها إلى الجانب الآخر، زوجة يتقدها قريب، أصبح زوجاً، ويرفها لها تلميذ، أما الفتى الذي تريد، فيتمسك إلى الطائفة نفسها، ولكنه مجند في الجيش الإسرائيلي.

وحدها تذهب الصبية، التي أصبحت عروساً إلى زوجها، في الأرض المحتلة، بعد أن شغيت الحدود بين الأسترلين هداً وجنبا، بفصلها، ثم تزيجات الحرس، وهي القضايا والتفاصيل المسرية، بين أفراد العائلة، في الأحوال الطبيعية، بينما تعرض قسوة الاحتلال انتهاك هذه الأسرار وإشاعتها في مكبرات الصوت، وتذهب البيت إلى بيت الاحتلال، وتشعر أنه أحد قسوة من سجون الاحتلال ذاته، وهي في هذه الحزن، لا تشمر بوطاة الاحتلال أصلاً، حيث لا تظنر إلى لهوها السعما، بفصلها، الحرب، في لهوها بطايراتها الورقية. ويؤكد قسوة السجنين معاً (البيت والاحتلال) أن من تسجبه موجوداً، لها، ويربط، خطوات الزواج.

ولتضع الصبية على المأساة، فلم تد صغيراً، كما لا تصبغ يوماً، ترفض إياها زوجاً، وتصرح له، بعد أن الميولجوا المحتلة، بأنها لا تحبه، ولا تريد الاستمرار معه، بينما يزاد تعلقها بالحارس، ويفرق بينهما تحت نظر الحارس، معجباً بمحبتهما، وفتحها على التمسك بحبها له، حيث تعرض بالنظر إليه، عوضاً عن أهلها، بل لم تعد تريد العودة إليهم. ويتوازى مع الشجارات الزوجية، وروح النور بين الزوجين الفلسطينيين، بعد الحارس بعض العزرا، لا يلهمه بعد مجند درزي أكبر سنًا (قام بالورز زياد رحمانى)، لا يزال قلبه يحرق هو الآخر بدم بارد، ملوكة الآخر على الناحية الأخرى من الحدود، ولكنه

كامب دافيد، في مدرسته الثرية بالمواقف المرامية.

### طيارة من لغم!

إذا كان فيلم (أيام السادات) يسهم في تسطيح الوعي وتزويره، فإن فيلماً أُنشأ (إنتاج مشترك مع الجانب الفرنسي) قد أثار جدلاً، ووجهت إليه أصابع اتهام، باعتباره يروج للتطبيع مع إسرائيل. ويحصل فيلم المخرجة اللبنانية رندة الشهاب صياغ اسم (طيارة من ورق)، وقبول بحفاوة كبيرة، مستمدة من حصوله على جائزة الأسد الفضي، من مهرجان البندقية السينمائي عام ٢٠٠٣. وتتعلق مخرجة من الدعوة إلى التسامح الإنساني، والانتصار لحق الفتاة العربية، في عمل بيوسيبيجا، ولكنه يناقش قضايا مهمة وجادة، وتتخلل هذه الجيدة مشاهد تدعو للضحك، في سرد كوميدى.

وأول من تعالج السينما العربية قضية الاحتلال الذي يصاحبه النزوح العرب، الواقعيون تحت الاحتلال الإسرائيلي: لا يقتصر أنهم عربيون الاحتلال، ولكنهم يمشرون إلى أداء الخدمة، العسكرية، تحت جيش الاحتلال. موضوع شائك، اختارت المخرجة ليطولته وجهاً ميمراً (فلافيلا بشارة)، حيث أدت دور فتاة درزية، تعيش مع أسرته في قرية على الحدود مع إسرائيل، وترتبط علاقة حب بجندي درزي عربي، يؤدي الخدمة في جيش الاحتلال الإسرائيلي.

تبدا الأحداث بلمع أرضى لا ينشرح، ويتنهي العيلم بانفجار لغم آخر، تختص في فخاته الحدود، والانتفاخ الشائكة، والعتاة نفسها، بما يوحي بعدم وضوح الرؤية، وانفتاح النهاية على تولدات متعددة.

في بداية الفيلم للعب (لدا)، مع شقيقة الصغير، بطائرة ورقية تطيحها الريح، فتذهب لا استعادتها، حيث استقرت فوق الأسلاك الشائكة، وهي مستعظمة محظورة وخطرة، ويحجزها مجند شابه داعياً إياها إلى العودة، خوفاً عليها من الأفعاء، ومن رصاص الإسرائيليين الجاهز للانطلاق، مثل من يتجاوز الحدود. هذا الجند يفض في يد المراقبة الحدودي، ويصل كل شيء، يحكم الواجب المؤقوت إليه، وهو يعرف الجند من أسرار أهل المنطقة، التي لم تعد أسراراً، فهم يتبادلون الأحاديث مع أهالي القرى الواقعة داخل

قائل هذا الكلام، المسطح شاب مزنوج الجنسية والثقافة، يجهل الواقع المركب، الذي أدى إلى إرباب تختلف صورة من بلد إلى آخر، وفقاً للسياق الاجتماعي والسياسي والثقافي، فضلاً عن المحيط الإقليمي.

وفي عام ٢٠٠١، عرض فيلم (أيام السادات) للمخرج محمد خان. ومن بين أكثر من مائة وخمسين دقيقة، هي زمن الفيلم، تحظى القضية الفلسطينية بأقل من دقيقة، في حوار بين السادات ومخلوف. قال السادات للحلاق إنه ليس من الحكمة أن يتنازل، الحلاق، عن جزء من حقه المقتبس، لتظاًراً لاستعادته كاملاً، كما يقول المراقبون لانقاصات كامب ديميد، وسأل الحلاق عن عدد الكراسي، في محل الحلاقة الخاص به، فأجاب: ثمانية. فقال له السادات:

«الحل ده، هفاجع اتسرق، اتنهب، لقيت نفسك في الشارع، جيت لك كرسى جوه المحل بتاعك، تقوم تقول، يا المحل كرسى يا دلاش؟»

«جيت لك كرسى، وإنك وشطارتك، (في استرداد بقية الكراسي). وعن عرب القاد السادات للحلاق، مش عايزين يتجهدوا، ومش عايزين يفهموا،

وقال له الحلاق، «الناس (المصريون) زعلاني عشان العرب والفلسطينيين ما حضروش مؤثر مينهاورس، رد السادات،

«ما جوش شتاش مش فاهمين». تحتل القضية الفلسطينية في «أيام السادات» من دون أن يقصد إلى ذلك كاتب الفيلم، زمناً يتناسب مع ما كانت تسفله، في رأس السادات من هموم ومشكلات، حيث لم يبع أنه يواجه ظاهرة صهيونية شديدة الترتيب، وظل يفسد الأمور كما أراد أن يفهمها الحلاق في الفيلم. المثلثة أن مثل هذا الفيلم أحادي النظرة والمبني على بائناطالمت التاريخية، يصيبح «وثيقة فنية» تعتمد عليها الأجيال القادمة، حين تريد أن تفهم ماذا حدث.

أحادية هذا الفيلم كانت ببساطة لأن كاتبه السينمائي ومستوحاه من مؤلفين لا ثالث لهما، هما: البحث عن النصر وصاحبه السادات، وسيدة من العزراء وصاحبة أرملته، جيهان، متجاهلاً مثلاً ما حكاه محمد إبراهيم كامل وزير الخارجية (الذي استقال احتجاجاً على

# ما لع متواجد في مراا





# ماك

www.maccarpet.com ماك على الإنترنت

سجاد ماك لكل الأغراض.. لكل الأجيال

مشايات

قطع موكيت

مطبوع

دواسات حمام

شرقي

سجاد أطفال

يع بواقى التصدير المنتشرة في كل أرجاء مصر.





وتعتبر هذه (المدارس) التي كان من روادها النادى البولوندى (أجاكس) ثم تبعه (اف سى كوينهاجن) وهينورد وباريس سانت جيرمان وموناكو، بمثابة النظائر الحديثة للمخاطر الكولونيالية، إنها موجودة من أجل العمل على ازدهار السلطة والثروة الاقتصادية لرياضة العالم الفنى. يقول بيل (من ٣١١ لاعباً يشكلون الفرق الوطنية الستة عشر فى كأس الأمم الأفريقية لعام ٢٠٠٢ كان ١٩٣ أو ما يعادل ٦٢٪ يملكون بالأجر كامل الوقت فى الفرق الأوروبية).

إن المركز العالمى لصناعة كرة القدم يحقق الثروة على حساب أمم فى الأطراف وتفرغ الاتحادات الأفريقية من مهاراتها. ويحدث ذلك فى كل الألعاب تقريباً فى جمهورية الدومينيكان هناك أكاديميات تابعة لشواى كرة القدم الأمريكية الشمالية، وفى نيوزلندا يشتري اتحاد الرجبي باستمرار لاعبين من الجزر البولونيزية، ساموا وفيجى وتونجا، وفى كأس العالم ٢٠٠٣ كان ٩ من ٣١ لاعباً نيوزلندياً، من أصول بولونيزية. ويقول ستيفن جونز مراسل الصنادى تايمز للعبة الرجبي أن فرق الجزيرة تتعرض للتدمير.



إن ازدهار عملية تغيير الهويات الرياضية يعنى أن الموقع العالمى فى عالم الرياضة مهم مثل إحساس أمم ما بنفسها كعضو على مائدة الصداقة السياسية مثلاً فى مجلس الأمن. وهكذا توصل الرياضة رسالة: إنه لا مكان فى النظام العالمى إلا للأفراد الموهوبين. وتضاق أجيال من الرياضيين إلى خارج بلدانهم ويختبر أبطال المحليون نموذجاً وقوة للشباب فى تحقيق الهجرة والوصول (إلى من يدفع من السادة الأغنياء

إنها القصة القديمة ذاتها: الفقراء يقتسمون العضلات فى حين يسيطر الأغنياء على قواعد اللعبة ويتقبضون الفوائد. إذا كنت رياضياً موهوباً فإن الباب إلى الرياضة العالمية مفتوح أمامك. والفضل لشفاقة «القمود والمجاهدة» (٣) التى تنتشر فى البلاد الفتنة حيث يتضامن دور الشباب الفنى المتحمم والمترهل والبدنين فى ميدان الألعاب، فى حين تمتلك دورات الألعاب الرياضية وسباقات كرة القدم وركوب الدراجات بالأفارقة والأوروبيين الشرقيين والأمريكيين الجنوبيين

■ فيما مضى كان العالم الفنى يسلب أفريقيا ثرواتها المعدنية أما الآن فإنه يسرق - كما نرى فى الألعاب الأولمبية - مواهبها الرياضية بثمن بخس.

فى أغسطس من العام الماضى ذهب الفضل عداً حواجز فى كينيا إلى سريره ليلاً وهو يحمل اسمه: ستين تشيرونو لآخر مرة ليستيقظ فى صباح اليوم التالى أكبر سناً بأربعة شهور ويأسمه أحر هو: سيف سعيد شاهين من قطر حسبما هو مدون فى جواز سفره الجديد. ولكن عندما نودى على اسمه لتسلم الجائزة الكبرى فى سباق الحواجز فى زيورخ يوم ١٥ أغسطس ٢٠٠٣ لم يستطع تذكر اسمه الجديد!

منذ عام ٢٠٠٠ حصلت قطر على عدة عدائين للمسافات الطويلة من كينيا وطريق كامل من رافعى الأثقال البلغار أما منافستها فى المنطقة البحرين التى استضافت سباق السيارات (فورميولا وان) (تاريخ البحرين فى سباق السيارات، صم) كانت تشوق أيضاً فى أفريقيا. فى عام ٢٠٠٢ أصبح ثلاثة لاعبين من كينيا وهم أجيل تشيروليت وليونارد موتشيرو وجريجورى كوتشيلوا مواطنتين بحرينيين. ولا يتوقف تدفق الرياضيين من البلدان الفقيرة إلى الغنية. يذهب الرياضيون من الجولا والكامبيون والخابون والسغال والمغرب وكينيا إلى فرنسا، ومن جامايكا وغويانا إلى كندا ومن نيجيريا إلى إسبانيا والبرتغال والمانيا، ومن الصومال وإريتريا إلى الولايات المتحدة. وفى الألعاب الأولمبية القادمة، سوف يمثل العشرات من الرياضيين بلداناً لم يولدوا بها ولا علاقة لهم بها.

كان المرحب إلى أفريقيا فيما مضى من أجل ثرواتها المعدنية.. الآن من أجل مادتها الرياضية الخام!

وصف جون بيل من جامعة كيرل ذلك بأنه (هجرة العضلات) (١). وقد حدث دائماً انتقال الثروات بكل أنواعها من عالم الأغلبية الفقيرة إلى عالم الأقلية العنية ولكن الثروات الآن تشمل العضلات أيضاً.

لقد اغتنت بلجيكا من مطاط أفريقيا الوسطى والآن يعمل نادى كرة القدم (روبال التويرب) مع (مانشستر يونايتد) على حصد اللاعبين الأفارقة من (نوادى الخرزعة) (٢) وتقديمهم إلى الأطراف الأوروبية.

عن مجلة.

The New Statesman

ترجمة ثنية الناصري

## تجارة العضلات!



أندرو سيمز ومات رينديل

ولكنهم يلعبون لحساب صاحب المال  
الغريب تحت توجيه مدربين وخبراء  
فنيين غريبين.

هل لهذا أهمية؟ بالتأكيد: إن  
الرياضة هي أقصى تمييز ثقافي  
اقتصادي في أزماننا وتكن المساحة  
والمساحة الإذاعية التي تحتلها بعض  
(الألعاب العالمية الرسمية) تضمن التهام  
الألعاب الرياضية الشعبية المحلية.  
لقد تضاعف وتهمش تنوع التعبيرات  
الرياضية (مثل تنوع اللغات) فلم  
تعد ثمة أهمية للمسابقات المحلية  
والدورات الإقليمية أو ما كان معروفها  
عالميا من المسابقات القومية (مثل (جولة  
كولومبيا) لمسباق الدراجات. إن الرياضة  
العالمية الحديثة تنمط المكان وتثبت  
وترافق القواعد التي وتوزيع أسطح  
الملعب الخ.



في كتابه الأخير الذي يؤرخ للألعاب  
الأولمبية أشار فيديف ميلر إلى أن عدد  
الناس حول العالم (٧٨ ٪) الذين  
يتعرفون على الحركات التي ترمز  
للألعاب الأولمبية أكبر من عدد الناس  
الذين يتعرفون على الرموز الأخرى مثل:  
رمز شركة شل (٧٧ ٪) وقواس ماكنولد  
(٦٦ ٪) ورمز سيارتي مرسيدس (٦١ ٪).  
وتقدر قيمة سوق الألعاب في أنحاء  
العالم بمبلغ ٥٠٠ بليون دولار سنوياً، أكثر  
من ضعف الدين الخارجي الكلي  
لأفريقيا وتقدر رعاية الألعاب العالمية  
وحددا بمبلغ ٢٦ بليون دولار. وفي ٢٠٠٣  
انفتحت بريطانيا أكثر من ٤ بلايين جنيه  
إسترليني على معدات وأجهزة رياضية.  
ويبلغ ميلر عن ذلك بالون رئيس لجنة  
الألعاب الأولمبية قوله: «داعد الرماية  
والتجارة عن الرياضة اليوم، فهذا يعني؟  
مكانة ضخمة معقدة وجديدة التشغيل  
جري تطويرها على مدى ١٠٠ سنة.  
ولكن بدون ولود».

لنتهم برامج الألعاب الرياضية  
الحديثة الميزانيات بما يجاوز إمكانية  
أكثر البلدان الفقيرة. رغم ذلك فإن  
عدائي كينيا، وزاكي دراجات كولومبيا،  
وملاكمي المكسيك، ورياضيين من كل  
الأنواع من الاتحاد السوفياتي السابق  
ولاعبي كرة القدم من كل جزء من أجزاء  
العالم الفقير يلعبون مشاهدين  
غريبين، ويجذبون جمهور الملاعب  
ومشاهدي التلفزيون. ويستثمر العالم  
الغني قليلا في إنتاجهم ولا يقدم  
للبلدان المنتجة شيئا من أرباح

صادقاتهم. ويواجه مدراء دوري كرة القدم  
إنجلترا طلبات اللاعبين الأفريقيين عن  
إجازات لتمثيل اسمهم في المسابقات غير  
الأوروبية بالاحتراف الذي لا يستطيعون  
الخفاهم. وللمعارقة، ظهر أرمين فينكر،  
مدير أرسنال على شاشة التلفزيون  
مؤخرا أثناء حفلة جمع تبرعات لإغاثة  
الرياضة برعاية البني بي سي لتقديم  
صك بمبلغ ١٠٠٠٠٠ إسترليني نيابة عن  
كامل الدوري للمشايخ التي تعنى  
بفقره العالم. وذلك المبلغ يساوي أجر  
أسبوع واحد للاعب كبير في إنجلترا.  
يمكنك القول إن ما يهم في الحياة،  
هو توفير مياه نظيفة إلى العالم  
المعزول ليس مستسلا لتلوثها ورياحا  
للرياضة العالمية. ولكن الواقع غير ذلك  
تماما: فجدول أوسمة الألعاب الأولمبية  
وكل بطولة عالمية رئيسية، وريان قتال  
نهائيات كأس عالم لاتحاد كرة القدم  
العالي والتصنيف العام لجولة  
فرنسا(تور دي فرانس) كل ذلك يعطي  
صورة للمجتمع العالمي الحديث، فالذين  
يتصفحوها في الانترنت أكثر من  
اولئك الذين يتصفحون جداول البنك  
الدولي أو الأمم المتحدة لتسوية الأمية  
أو وفيات الأطفال في العالم. وربما كان  
الممكن أن تكون التجارة العالمية في  
العضلات قضية شخصية تماما لا تعنى  
سوى الرياضيين المحبين لولا أن



## كيف يمكن إنقاذ

### الرياضة من تجارة العضلات؟

#### ينبغي ألا أتترك إلى هيئات الألعاب القومية الهشة

#### كما لا يجب أن تقتصر مسألة استضافة البطولات

#### الدولية وما تجلبه من مكانة وزدهار

#### اقتصادي، على الدول الغنية



الرياضة المعاصرة أصبحت نظاما رمزيا  
يعكس، أو يبدو أنه يعكس، المعرفة  
بالعالم، وبذلك يؤثر على القرارات  
السياسية.  
نشرت التاتيس مؤخرا جدول نقاط  
«نهائية» للألعاب الأولمبية منذ عام ١٨٩٦.  
وضع الولايات المتحدة على القمة، مع  
بريطانيا العظمى في المركز الثالث،  
والسودان جاءت في آخر القائمة، مع  
رواندا وبولتين الحريين. ولم يذكر المسح  
بأنه لسنوات طويلة لم تتنافس العديد  
من البلدان في العالم. وأن أي جدول  
أوسمة يأخذ في الاعتبار الأصول  
الإثنية - بالعودة إلى أصول الرياضيين  
- سيأتي نتيجة نهائية مختلفة جدا.  
حيث سوف تتوزع الولايات المتحدة وكندا  
فرنسا بسرعة إلى القاع. وعلى أكثر  
احتمال لن تجني قطر والبحرين شيئا.  
ويمكن أن يكون لدينا جدول آخر  
للمجتمعات التي تنتج معظم ملابس  
وأجهزة الألعاب الرياضية.  
كيف يمكن إنقاذ الرياضة من تجارة  
العضلات؟ بالتأكيد يجب أن يكون هناك  
هيئة واحدة تتخذ القرارات في مسألة  
تخيير الانتماءات. ينبغي ألا تتترك  
المسألة كما هي الآن إلى هيئات الألعاب  
الرياضية القومية الهشة، مثل تلك التي  
في كينيا، لإعطاء الموافقة على تخيير  
جنسية الرياضيين. كما لا يجب أن

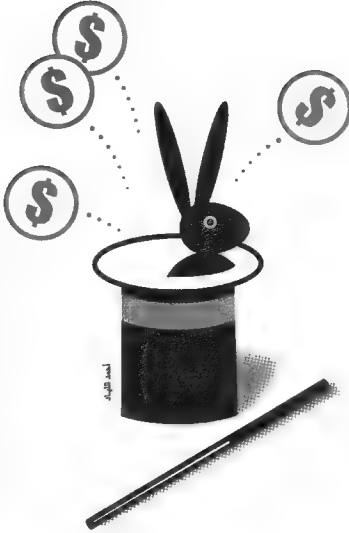
تقتصر مسألة استضافة البطولات  
الدولية وما تجلبه من مكانة وزدهار  
اقتصادي، على الدول الغنية.  
على سبيل المثال، حصول الولايات  
المتحدة على كأس العالم في كرة القدم  
عام ١٩٩٤ بالرغم من أن لعبة كرة القدم  
لرجال ليست من الألعاب التي لها  
أهمية تذكر في الولايات المتحدة، ومن  
الدولتين (كينيا وأثيوبيا) لم تحصل على  
بطولات ألعاب رياضية عالمية.

ويقترح راجب الرياضي الأسترالي  
برادلي ماك جي الفائز في السباق  
التهديدي لجولة فرنسا (تور دي فرانس)  
للسنة الماضية استراتيجيات أكثر شمولا.  
فقد اشتمل عقده للمسابقات الماضية  
الثلاث مادة لتزعم فريق ركوب الدراجات  
الفرنسي (إف دي جي دوت كوم) الذي  
ينتمي إليه ماك جي، لتمويل برنامجا  
تتمية للركابيين الناشئين في مسقط  
رأسه سيو ساوت ويلز بأستراليا. وينبغي  
أن تتضمن عقود الرياضيين القادمين  
من دول فاعية - بصرف النظر عن نوع  
اللعبة التي يمارسونها - مواد شبيهة  
بتلك، فمثلا كل نجم يحمته النظام  
العالمي، يجب أن تنشأ بدائل من خلال  
ضمان التمويل للمناطق التي لها سجل  
ثابت في إنتاج الرياضيين.

أما في الوضع الراهن فإن صناعة  
الألعاب الرياضية غير مدعومة،  
والتجارة العالمية في العضلات فقط  
صناعة استخلاص أخرى تأخذ أكثر مما  
تعطي. عندما ننتقد العولمة، وندعو إلى  
إصلاح القواعد التجارية العالمية لكي  
يتاح للبلدان الفقيرة فرصة عادلة لبيع  
المنتجات الأولية مثل القطع في الغريب،  
يجب أن نصف مطلبنا جديدا: التجارة  
العادلة للرياضيين. ■

## هوامش:

- (١) كان المصطلح الذي استخدمه الكاتب ويمنى  
(هجرة العضلات) brown drain وربما يبدو  
مقبولا لمصطلح شائع آخر هو (هجرة العقول)  
Brain drain
- (٢) (تولاي الموضة) يقصد به (طرق الحارات) أو  
النادي المحلية - الترجمة
- (٣) (العقد والشفاعة) يقصد بها ثقافة  
الكومبيوتر والانترنت حيث يتشمل بها أكثر  
الشباب في البلاد التي يتوفر فيها أكثر  
ما يجعلهم يفهمون معظم واقعهم جاسين أمام  
الآجرة لا يعملون شيئا سوى التهام الطعام  
والتحديق في الشاشة - الترجمة



أحمد خليل

# إذا كان العالم كله مدينًا فمن الدائن؟!؟

■ يتحدث هذا الكتاب عن الاقتصاد بلغة جديدة ويتناول الأفكار والمسلّمات الاقتصادية التقليدية بالتحليل والنقد، ويثير حولها شكوكاً منطقية ويكشف عما فيها من تناقض، وفي كل هذا تنكشف للقارئ حقائق مذهلة لم تكن لتخطر له على بال.

فهل تصدق مثلاً أن دول العالم كله مدينة، ليس فقط الدول الفقيرة أو دول العالم الثالث، بل إن أكثر الدول ديوناً هي الدول الأغنى والأكثر إنتاجاً وتقدماً، وديون هذه الدول هائلة.. لا تتناقض أبداً بل في صمود مستمر، وقد وصفها المؤلف بحق بأنها: «اللامعقول واللامنتقى.. الذي يصعب على العقول فهمه».

من أمثلة هذا «اللامعقول»، أن بريطانيا مدينة بمبلغ ٤٠٠ بليون جنيه إسترليني، وتبلغ ديون كندا ٦٥٠ بليون دولار، وألمانيا مدينة بأكثر من خمسين بليون مارك، أما اليابان فقد بلغ دينها العام ٢ تريليون دولار، وأصبح ديس الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من ٥ تريليونات دولار.

يقول المؤلف: هذا الدين المتصاعد أبداً يتناقض تناقضاً صارخاً مع وجود ثروة حقيقية واضحة في هذه الدول التي توصف بأنها دول غنية ومتقدمة. علماً بأن هذه الأرقام تمثل الديون العامة فقط أي الديون الحكومية، فإذا أضفت إليها الديون الخاصة (المتعلقة بالأفراد والشركات) تجد نفسك أمام أرقام فلكية.. فمثلاً مجموع الديون العامة والخاصة هي الولايات المتحدة يبلغ ٢٦ تريليون دولار، ولست أزعجك أكثر أعرف كم صفراً ينبغي وضعها على يمين هذا الرقم ليصير حقيقة، ولكنني على يقين أنه رقم مفرز، كما أنني أعرف أنه من الناحية العملية يستحيل تسديد هذا الدين الهائل لأسباب اقتصادية كثيرة لعل أبسطها أن مجموع ما في بنوك أمريكا والعالم وما في خزائن الشركات وجيوب الأفراد من دولارات لا يبلغ خمس هذا الرقم، وهذا واحد من عدد كبير من الأنماط الخفية في عالم الاقتصاد.

The Grip of Debt: A Study of modern money, Debt Slavery and Destructive Economics  
(قبضة الموت: دراسة في النقود الحديثة وعبودية الدين والاقتصاد التدميري)  
Michael Rowbotham  
Jon Carpenter Pub, 1998, pp. 336, \$29.95

محمد يوسف علس

إذا كانت كل دول العالم.. بلا استثناء مدينة، فإن هذا يجعلنا نعتقد أن العالم بأسره في حالة اقتصادية مزريّة.. وهذا شيء يبدو غير منطقي وغير مفهوم.. ويسلمنا هذا الاعتقاد إلى أن نتساءل: إذا كان العالم كله مدينًا فمن هو الدائن؟ وكيف حدثت كل هذه الديون؟ ومن أين جاءت؟

وماذا نقول عن دول العالم الثالث التي تترجح تحت أعباء ديون ثقيلة وقد أسلمت زمام قيادتها للدول المتقدمة وأخذت تقلد وتبني مؤسساتها المالية والاقتصادية على غرار مؤسسات هذه الدول، ويقال لشعوبها اكدهوا في العمل والإنتاج والتصدير، وسوف تتخلصون من الديون وتحررون من الفقر وتصبحون مثل أمريكا، ولكن أحداً لا يذكر لنا أبداً حقيقة أن أمريكا هذه هي أكبر دولة مدينة في العالم؟

فهل هذه حالة صهيبة أم أننا لا نحسن فهم ما نراه؟

وهل نستطيع أن نفهم حقيقة أن يكون الشعب الأمريكي وهو أغنى من دُب على هذه الأرض من البشر هو أكثر شعوب العالم مديونية؟

كأن من المستعزى وفقاً للمبادئ الاقتصادية المتداولة أن النقود هي وسيط طبيعي ومقياس دقيق وأنها لا تعمل أكثر من أن تعكس حقائق الواقع الاقتصادي، ولكنها في الحالة التي مرضناها لا تفعل ذلك، فهناك لدرة مزمّنة في النقود حتى أن الدول المتقدمة تقلص ميزانيات المشروعات والخدمات الصحية والتعليمية بحجة عدم توفر المال الكافي.. إن لا بد أن يكون هناك خلل جوهري في المنظومات الاقتصادية، خلل يجعلنا لا نثق في كثير من الافتراضات والمسلّمات الاقتصادية، بل في كل المعطيات المالية الأخرى التي تضع الاقتصاد وخصوصاً الاقتصاد النقدي والديون غير الواقعية في نطاق اللامعقول.

## محاولة لفهم:

يأتى هذا الكتاب ليتحدى هذه المسلّمات ويكشف لنا: أن الثقة العامة في النقود والأحكام النقدية ليست في موضعها، وأن الحيايد الظاهري للمنظومات المالية الحالية زيف كامل.



## إن بريطانيا مدينة بمبلغ ٤٠٠ بليون جنيه إسترليني، وتبلغ ديون كندا ٦٥٠ بليون دولار، وألمانيا مدينة بأكثر من خمسين بليون مارك، أما اليابان فقد بلغ دينها العام ٢ تريليون دولار، وأصبح دين الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من ٥ تريليونات دولار



### المسؤولية

لم اشر بريغبة ملحة في لقاء مؤلف كتاب قرأته كما شعرت بالنسبة لمؤلف طبخة الموت فقد كنت في كتابته حرارة الداعية للخلف جنباً إلى جنب مع رسوخ فكره الأكاديمي في مجال تخصصه.. اقترحت على جاسم جريشتم دعوة مايكل رويثام، مؤلف الكتاب في محاضرة يعرض فيها أفكاره وتكون فرصاً للطلاب والأساتذة مناقشته.. وقد تولى ابني، وهو محاضر بالجامعة، دعوة رويثام، فاستجاب على الفور.. استمعت بمحاضرة ذات محتاج خاص لست فيها قوة منطق المؤلف وقدرته على التحليل والافتقار.. ثم دعاه ابني بعد المحاضرة لآتانه صاحب الإطفاء وكان شهر رمضان قد انقصف ووجدنا «رويثام» متأسية مثيرة لا تلاحظ على تقايد الأسر المسلمة في رمضان فقبل الدعوة مبهياً شكره وامتنانه.

أما بالنسبة لي فكانت فرصة مباحة لزيد من الحوار حول أفكاره هذا الرجل العجيب وحياته، استغرق الحوار شطراً من الليل دون ملل، فملت كثيراً من منطلقاته الإنسانية وآتانه صاحب إيمان إسلامية يشركه فيها كثيرون مثله من أحرار الفكر في بريطانيا وكندا وأستراليا وفي دول أخرى.. إلا أنه يدعو إلى بناء الحضارة من الفالة وإلى نظام نقدي غير مؤسرس على البنوك، فلما نهي عنه أهدمنا هذه الأفكار الجديدة قال: بل فكر مصمم اهتمامك هذا.. إن لم تكن مخطئاً في تقديره.. إنه تفكيرك الإسلامي.. أليس كذلك؟ فاجابته: بلى.. قد أصبت الحقيقة.. وما يشيرني حقاً هو ذلك يهودك العقلي وتوجهك الأخلاقي متجرباً من أي أيدولوجية متروكة إسلامية مسيحية قد توصلت إلى نفس النتيجة.. كان حواراً مثمراً وممتعاً ولا فناء.. ثم انقضى حوارنا وحوار أديان، وأن حواراً إنسانياً خلاصاً لوجه الله والحقيقة فيه شيء من كل هذا.. بلا قصد ولا ترتيب مسبق ولا مؤثرات دولية.

### نقد تشبأ من أفكاره

نعود إلى كتاب «قبضة الموت» الذي لا مفر منه، وقد انتهينا إلى نقطة وأما فيها كيف تخلف البنوك أرمستها من خلال القروض، ولما أن مستنتج أن حجم الديون في اقتصاد ما هو مقياس لكمية

وإن النقود (الحديثة) ليست وسطاً طبيعياً محايداً، وأنها.. كما يتم خلقها الآن.. نتجها طبيعة خاصة وحيثاً خطيراً، وهي تعمل في إطار مآلها الحسابي الخاص بها، وتكسر حقائقها الخاصة وتصورها الاقتصادي الخاص، ويحيطها سنتها بمعارف غامضة زائفة ومضللة.

إذاً انتهى الكتاب من تقرير هذه الحقائق مفصلة ينتقل بعد ذلك إلى تفسير هذه الأنفاق، وأول هذه الأنفاق هو الندرة النقدية في مجتمعات متقدمة تتمتع بالثراء وفرة الإنتاج، وأول ما يصدنا من حقائق أن يعرف السبب وهو ما يشهره المؤلف راجع إلى أن النظام المالي النقدي قائم على أساس من الدين، وبعبارة مباشرة وأكثر تفصيلاً، إن النقود تنشأ في توازن مع الدين، ذلك لأن خلق النقود وتداولها متروك للبنوك إلى جانب عدم من مؤسسات القروض الأخرى.. ويظن أكثر الناس أنهم عندما يقتربون من البنك فإنهم يقتربون من أموال الناس آخرين سبق أن قاموا بإعفاء قروضهم في ذلك وهذا وإن كان يمثل بعض الحقيقة إلا أنه لا يمثل الحقيقة كلها، فالصحيح أن نقود القرض لا تكون بالضرورة موجودة في البنك لحظة طلبها وإنما هي تنشأ ابتداء عندما تتم عملية الاقتراض.. وهذه حقيقة أخرى بالغة الأثر، أن البنك بعملية القرض نفسه يضيف إلى رصيده نقوداً جديدة لم يكن يملكها (قبل القرض) وأن البنك بهذه القروض يرفع رصيده ولا ينقصه.

أفهم أو أستطيع هذه الحقيقة لأول وهلة.. ولقد لنفسى لأبد أن مؤلف هذا الكتاب يهزأ بمفهوم.. كما أعترف أيضاً أن هذا اللغز الذي صممت وحيرني كثيراً بما ينال خلوة خلوة كما تقدمت في قراءته الكتاب، ولكنني أن أمام مؤلف عبقري استطاع أن يحزر قبله من أسر الأفكار التلقائية السائدة في عالم الاقتصاد وأن يتخلص من جيورون، بل استطاع أن يحطم الهالة الخفية التي تحيط بها وأن يدمجها إلى عارية من كل زيف وأدعاء.. وتأتينا الآن مثل هذا الرجل لأبد أن يهتم بالجنون وقد حدث بالفعل.. ولكنه لم يثنه عن عزمه أو يحرفه عن مواصلة رسالته في الكشف عن التعريف والادعاء الذي تمارسه مراكز القوى الاقتصادية الكبرى في العالم على الشعوب بعبوى التنمية والتقدم وإشاعة الرخاء.

معروفاً منذ القرون الوسطى ولكنه كان محرماً بحكم القانون المسيحي.. لأن الإنسان لا يضمن بقاءه على قيد الحياة حتى يتم تسديد القساط ثمث الأرض، فإذا مات تنتزع ملكيتها منه بمقتضى العقد الجرم.. وقد أبدى الصورة في أيامنا هذه أقل كآبة، حيث يتمكن قلة من الناس من تسديد قروضهم بفوائدها في مجرى حياتهم بينما تظل الأغلبية من المستثمرين ديونهم معلقة في رقابهم حتى الموت.

من هذا البند وحده تضخمتم أرصدة البنوك بأرقام فلكية، ففي أستراليا مثلاً بدأ بنك الكومنويلث، سنة ١٩١٢ برصيد بلغ مقداره عشرين ألف دولار، فإذا به سنة ١٩٨٨ يقفز إلى ما يقرب من ثلاثين ونصف بليون دولار، وكان تعليق «المعهد الأسترالي للمقايضة الاقتصادية» سنة ١٩٨٨ في تقرير له بعنوان «لعبة النقود، كالآتي.. هي تجميع الشروء الأسترالية لتأخذ شكل البنوك بإصدار نقود على شكل ديون.. ومن ثم حصلت على أرصدة تساوي ما يقرب من ثلث إجمالي الأسترالية في أستراليا.. قبل ثلثين إلى الخمسة» إلى حد صمد هذا المؤسف ككثير من مخالب كمال منقول: «إن مبالغ هذا لا تتنحى شيئاً أكثر من إرقام في سجلات يمكن أن تستولى على ملكية موجبات أعظم بكثير مما تملكه صناعتنا الكبرى التي يعمل فيها مئات الألوف من الناس، والذين يتمتع على إنتاجهم المادي كل اقتصاد أستراليا.

وجاء التحذير الأقوى والأكثر وضوحاً على لسان لورد جوشوا ستامب وكان مديراً سابقاً لبنك إنجلترا.. قال في خطابته أمام البرلمان سنة ١٩٣٧: «يخلق النظام البنكي الحديث النقود من لا شيء فاعلمية ليست أكثر من خدعة يد، بارعة هي أكثر الأشياء التي اخترعها عقل الإنسان إشارة للدهول.. ذلك لأن هذه البنوك ولدت في سفاح وعاشت في خيلطة متواصلة الجلبط.. البنوك تكاد تملك الكرة الأرضية.. إذاً شئت أن تكون عبداً للبنوك وفي نفس الوقت تدفع ثمن صوبيدتك فندع البنوك صدم النقود.. ولا يتوقف خطر النظام البنكي القائم على الديون والفوائد المركبة التي لا يسلب الأرباح ملكيتهم للزمان على يشترتها لسكتهم، أو أن يخرج الشركات والأوسام من ملكياتها ويضعها إلى الإفلاس، بل يصددها على الخطر إلى الحكومات والدول التي تضطر إلى الاقتراض لإطعام شعوبها الجائعة فإذا هي تؤول في

الأموال التي يجري عليها التداول، وفي هذا أسئلة شاذرة يطرحها المؤلف بالتفصيل منها: أنه قد جاء في تقرير للبنك المركزي بنك إنجلترا، سنة ١٩٩٧ تقرير لجملة النقد الوطني بمبلغ ٧٨٠ بليون جنيه إسترليني، من هذا المبلغ أصدرت أستراليا الاقتصاد البريطانية ٢٥ بليون جنيه فقط، وهنا نساء، من أين جاءت بقية المبلغ وهو ٦٥٥ بليون جنيه وهو يمثل ٩٧٪ من جملة النقود المتداولة في الاقتصاد البريطاني؟ والأجابه ببساطة: أن الذي خلق هذه النقود هي البنوك التجارية، وأن هذه الكمية الهائلة من النقود نشأت من لا شيء.. وسوف يصاب الناس بالدهول لأنهم يعلمون أنه إذا فعل هذا واحد منهم اعتبر مريضاً للنقد، وليس تركه هذه الجريمة مسموح إلا السجن يقضى فيه بقية عمره.. والفرق الوحيد بين جريمة التزوير وما تفعله البنوك التجارية أن النقود التي تخلقها البنوك ليست هي الأوراق النقدية والعملة المعدنية وإنما هي نقد غير حقيقية وغير طبيعية تمثل قيمة الدين والمعارف والمنازل، المروية، وممنى هذا أن النقود تعتمد على إنشاء النقود اللازمة لتسيير الاقتصاد على أروق الماع في الديون، ومضامناً أيضاً أن كل جنيه مودع سواء في البنوك أو في مودع في حساب بنكي هو دين مودع في رقبته شخص ما أو مؤسسة أو شركة..

هذا يتوقف الناس عن الأسئلة ويتنظرون إلى بنك بريية ولسان حالهم يقول: هذا رجل قد خرج من عقله.. وقد يتعرض أحدهم فيقول إذا كان خلق النقود بهذه الطريقة متروكة للبنوك فلا بد أن يكون سبب وجيه لذلك.. ويقول الناس: على العكس تماماً فليس هناك أي سبب وجيه لذلك.. بل أكثر من هذا: توجد أدلة لا حصر لها على الآثار المدمرة لهذه الطريقة في خلق النقود العميقة على استخدام القروض وما يترتب عليها من فواید، ليس في حياة الأفراد فقط بل في حياة الشعوب أيضاً.

### الشراء بالرهن

ويسمى اصطلاحاً Mortgage وهي عبارة فريضة الأصل ومعناها رهن الموت، أو طبخة الموت، التي ترجمتها الحرفية باللغة الإنجليزية التي اخترها المؤلف عنواناً لكتابه.

وكان واحد الأراضي بهذه الطريقة



مستفيع من الديون لا تستطيع تسديدها ولا حتى تسديد فوائد لها فتضطر للاقتراض من جديد لتتمكن من تسديد الفوائد المستحقة على الديون، وتدخل بذلك في حلقة جهنمية مفرغة لا سبيل إلى المكاف منها، كما هو حدث بالنسبة للدول الأفريقية خاصة ودول العالم الثالث بصفة عامة.

## الديون شرط أساسي لتوفير النمو

في المنظومات المالية الغربية، كما رأينا، لا بد من وجود الديون لأنها هي الشرط الأساسي لتوفير المال اللازم لحركة الاقتصاد، وليست هذه حالة بالغة عند مستوى معين تثبت عنده وإنما هي حالة دائمة التضام والتعاقد، فقد كان مجموع الديون الصناعية سنة ١٩٩٣م (في بريطانيا) ٣.٢ بليون جنيه إسترليني بنسبة ١١ تقريباً من الدخل القومي الذي بلغ آنذاك ثلاثين بليون جنيه، وارتفع هذا الدين سنة ١٩٩٦م (أي بعد ثلاث ولايات سنة إلى ١٤٠ بليون جنيه بنسبة ٢٠ من الدخل القومي البالغ قيمته ٧٢٠ بليون جنيه.

أما ديون الأفراد سنة ١٩٩٣ فقد كانت ٤ بلايين جنيه بنسبة ١٤ من الدخل القومي فإذا ما ترقعت سنة ١٩٩٦ إلى ٤٩٠ بليون جنيه بنسبة ٢٠ من الدخل القومي.

هذا الطراز من النمو الاقتصادي القائم على تصاعد الديون له انعكاسه المباشر على الأسعار والدول، فالمتحججون يرفعون أسعار السلع لتعويض الديون والفوائد البنكية، وبذلك تزداد تكاليف الحياة المعيشية على المستهلكين، ويضطرون لمزيد من القروض وتسديد أقساطها وفوائد لها، وبهذا تزداد القوة بين الدول المتقدمة والأسعار المساعدة مما يؤدي إلى تضائل القوة الشرائية عند المستهلكين.

## الكوابح والضوابط

لكي تعمل البنوك في المنظومة الاقتصادية الغربية بأعلى تسخير لتضع لها الحكومات، عادة، ضوابط أو كوابح حتى لا تسرف في خلق قروض على هيئة ديون إلى ما لا نهاية، حيث يفترض أن يمثل النظام النقدي هراً من الرصيد أن Credit

والشطط والجشع، مما يؤدي بالضرورة إلى فواجع إنسانية وكوارث اقتصادية متكررة.

وفي هذا يصف لنا المؤلف السيناريو المتكرر لدورة الازدهار والأزمات الاقتصادية.

يبدأ الاقتصاد في الانتعاش والحركة وتظهر الاستثمارات وتنشأ وظائف جديدة وتوسع حجم المعاملة ويزيد الإنتاج ويعم الرخاء، حتى إذا بلغت الحركة الاقتصادية قمة سخونتها وازدهارها يهبط غول التضخم المالي، ويهرع أصحاب النظريات الاقتصادية يهدون وينذرون، أو فاقوا التضخم المالي

فالاقتصاد يتدفع نحو الركود، في هذه الأثناء تكون كثير من الشركات والأعمال قد أعلنت إفلاسها، واستولت البنوك على منازل وعقارات وأماكن الألف من البشر، ولقد ملايين الموظفين والعمال وظائفهم بسبب إفلاس الأعمال وإغلاق الشركات والصانع، ولكي يخفف الأطباء الاقتصاد المجهوم حرارته المفرطة، ولكي يهبط التضخم المالي، يرفعون سعر الفائدة ويضربون مزيداً من القروض القروض ويخفصون سقف الإنفاق الحكومي إلى أدنى مستوى، فيهاجم الاقتصاد في مكانه ويمر الاقتصاد والكساد ويغرق الناس في بحر من الجوع

الإنساني، ويقبض الناس أيديهم عن الإنفاق والشراء حتى لا يتجرس ما بقي من مدخراتهم، فلا يجدون ما ينفقون عندما يزعج بهم إلى طابور العاطلين.

ثم تبدأ دورة اقتصادية جديدة بتخفيض سعر الفائدة... وتبر فترة انتظار حتى تعود الثقة من جديد عند المستثمرين والمستهلكين، ويهبط المناخ الاقتصادي المناسب لإطلاق دورة جديدة من الانتعاش... حتى إذا بلغت ذروتها تبدأ في فترة ركود اقتصادي أخرى ويتكرر السيناريو ( )

فما معنى هذا؟... معناه أن هذه الدورات الاقتصادية المضطربة صعوداً وهبوطاً، وما يترتب عليها من آس لا تأتي محض صدفة وتحدث أحداثاً طارئة أو عارضة، إنما هي جزء لا يتجزأ من طبيعة النظام المالي نفسه، هي حريق لابد أن يشتعل بفعل آليات جوارية، تتناسى مع حركة النمو الاقتصادي وسخونته، حتى إذا بلغت نقطة معينة يشتعل الحريق وتتفكك صفارات الإنذار ويأتي رجال الإطفاء للإنقاذ.

ومعنى هذا أيضاً أن الضوابط والكوابح التقليدية في أي نظام مالي لا تعمل عملياً، كما تظن، بطريقة تلقائية

للاضطرابات الاقتصادية وأصبحت بقروضها وفوائدها الباهظة صيداً على المواطنين وعلى الاقتصاد الوطني. والخلاصة هنا أن الاقتصاديين يصورون لنا أن النظام البنكي يعمل في إطار ضوابط وكوابح صارمة في حين أن هذا لم يحدث في الماضي ولا هو يحدث الآن!

من أهم وأخطر الضوابط الحكومية هو تدخل الحكومة في تحديد سعر الفائدة على القروض، فمن خلال رفع سعر الفائدة أو خفضه تتحكم الدولة في النشاط الاقتصادي العام، لأن سعر الفائدة هو الذي يشجع أو يثبط الاقتراض، ومن ثم يتم التحكم في حجم النمو الاقتصادي، فإذا رفعت الحكومة سعر الفائدة ينجأ الناس وأصحاب الأعمال بأعياء إضافية على الديون والفوائد المستحقة عليهم، ومعنى هذا أن الحكومة هي سعيها لتقليل الأموال المقرضة

تقرض أو توهماتها، على الناس الآخرين أعباء جديدة تؤدي بهم إلى الإفلاس، أو الخروج من ممتلكاتهم نهائياً، مثلاً يجد أصحاب المنازل المشترع على طريق الرهن العقاري أنفسهم عاجزين عن دفع أقساط الديون والفوائد الصاعدة فيتدخل البنك ويستولي على ممتلكاتهم ويطردهم منها... ويقول المؤلف: «لا جد في هذا ذرة من عدل على الإطلاق... وأحد أمر مناهج لتأديب وللأخلاق الإنسانية، جوهر المشكلة كامن في قلب النظام البنكي القائم على القروض والفوائد الربحية وهو نظام، بطبيعته محكوم بالفشل

لغت المؤلف نظراً أيضاً إلى حقيقة أخرى من استغلال البنوك للشائيل للملاء، تتمثل في المرقع الهائل بين الفوائد التي تمنحها للمستهلكين وللوعام، والفوائد الباهظة التي تقرضها على المقترضين، وهكذا نرى أن المنظومات البنكية تقوم على الربا الفاحش منذ عصور، حتى أصبحت مصدراً

تقول البنوك إن القروض جعلت لخدمة العملاء، ولكن الحقيقة التي لا يتحدث عنها أحد هي أن البنوك تقرض النقود لتعود إليها أضعافاً مضاعفة، فكانها تخلق النقود لخدمة نفسها لا لخدمة العملاء

العدد الثامن والسبعين، سبتمبر ٢٠٠٤ م



## الثراء الزائف

الراسمالية الصناعية المتقدمة هي عبارة عن المديونية الحكومية في تلك البلدان، للأجانب المحازرين للسندات التي أصدرتها وباعتها لهم، وهي أيضا عبارة عن قيمة الأسهم وسندات الشركات والدوالع المصرفية والمعارف وحتى السلع العمرة المملوكة للأجانب داخل الدولة والتي يحق لهم بيعها أو سحبها بشكل فوري أو في أجل محدد والحصول مقابل ذلك على ثمنها السوقي، وإخراجه من اقتصاد هذه الدولة أو تلك من الدول الراسمالية الصناعية المتقدمة. لكن مثل هذه المديونية تتسم بأنها بلا أعباء سياسية، كما أن الدولة المدينة تتحول إلى الطرف الأولي لأنها ببساطة في وضع مهين وتستطيع من خلال قوانينها المحلية أن تتحكم في حركة الاستثمارات الأجنبية المباشرة واستثمارات الحافظة والدوالع المصرفية وكل الاستثمارات التي دخلت قطعا إلى اقتصاد هذه الدولة. بل إن الدول الراسمالية المتقدمة التي تعد في مجموعها المدن الأكبر في العالم، تميد بجزء ضخم مهم من الأموال الأجنبية التي تتدفق إليها من بلدان العالم الثامن والعشرين إلى هذه البلدان نفسها بشروطها السياسية والاقتصادية التي قد لا تتوافق مع مصالح الشعوب وحتى الحكومات في غالبية الدول النامية والعقيرة.

أولاً: الأثرياء المديونون،

للوهلة الأولى، يبدو وصف بعض الدول الراسمالية الصناعية المتقدمة بأنها أكبر الدول المدنية في العالم، وكأنه نوع من الدعاية الأيديولوجية المضادة للنموذج الاقتصادي السياسي الذي تبثه هذه الدول، لكن قراءة البيانات الصادرة عن صندوق النقد والبنك الدوليين، وهما مؤسسات اقتصاديتين حكوميتين دوليتين، تملك الدول الراسمالية الصناعية الكبرى هيمنة على صناعة القرار فيها، توضح أن وصف هذه الدول بأنها أكبر دول المدنية في العالم وبأنها تنمو وتزدهر بأموال العالم، هو أمر دقيق للغاية وفقا للبيانات التي تقدمها هذه الدول لصندوق النقد والبنك الدوليين، وبقرار الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا ومنطقة اليورو كدول مدينة كبيرة، كما هو واضح من الجدول ١،

٤٩ وجهات نظر

### أحمد السيد النجار

٥٠% من الإجمالي العالمي، وتقوم الدولتان بإصدار أوراق قديمة اعتمادا على النمو في التجارة الدولية التي تقوم الدول المختلفة بتسوية التزاماتها الناجمة عنها بالعملة الحرة الرئيسية وعلى رأسها الدولار الأمريكي، بما يمكن الولايات المتحدة والدول المتقدمة والعملة والحصول مقابلها على السلع والخدمات التي تنتجها مختلف دول العالم.

ويمينا عن نهب الدول صاحبة العملة الحرة الرئيسية لباقي دول العالم بالاستناد لوضع عملاتها كمعاملات احتياط دولية، تتم من خلالها تسوية الالتزامات الدولية الناجمة عن التجارة في السلع والخدمات، بما يسمح لهذه الدول بالتوسع في إصدارها بناء على ذلك بشكل يتجاوز أي ضوابط أو قيود اقتصادية، فإن مديونية الدول



### المديونية الخارجية الصافية للولايات المتحدة

تبلغ نحو ١,٧ مرة قدر مديونية الدول العشر

المدنية الكبرى في العالم وهي البرازيل والصين وروسيا والمكسيك والأرجنتين

وإندونيسيا وتركيا والهند

ويونان والفلبين

٥٠% من الإجمالي العالمي، وتقوم الدولتان بإصدار أوراق قديمة اعتمادا على النمو في التجارة الدولية التي تقوم الدول المختلفة بتسوية التزاماتها الناجمة عنها بالعملة الحرة الرئيسية وعلى رأسها الدولار الأمريكي، بما يمكن الولايات المتحدة والدول المتقدمة والعملة والحصول مقابلها على السلع والخدمات التي تنتجها مختلف دول العالم.

ويمينا عن نهب الدول صاحبة العملة الحرة الرئيسية لباقي دول العالم بالاستناد لوضع عملاتها كمعاملات احتياط دولية، تتم من خلالها تسوية الالتزامات الدولية الناجمة عن التجارة في السلع والخدمات، بما يسمح لهذه الدول بالتوسع في إصدارها بناء على ذلك بشكل يتجاوز أي ضوابط أو قيود اقتصادية، فإن مديونية الدول

تظهر الاقتصاد العظمى المتمثل في أسواق العملات ومجالات المضاربة الساخنة، كآلية لنزع الأموال من الدول النامية إلى الشركات والمضاربين من الدول المتقدمة، في ظل تحرير جارة الخدمات ضمن الاتفاقيات والاتفاقات اللاحقة لها التي عقدت في إطار منظمة التجارة العالمية، وتظهر الدول الراسمالية الصناعية المتقدمة في النهاية كدول غنية ومناخه للقروض ودائنة للدول النامية، وتظهر أيضا كدول تتدفق منها الاستثمارات المباشرة وغير المباشرة لكل دول العالم التي تسعى دائما لجذب الاستثمارات من هذه الدول الغنية.

لكن الصورة النهائية للدول الغنية كدول مفرضة وتختلف بتدقيق منها الاستثمارات إلى مختلف بلدان العالم، هي صورة زائفة بدرجة كبيرة، لأن الدول الراسمالية الصناعية المتقدمة هي أكبر الدول المدنية في العالم. بل إن البحث عنها وبالتحديد الولايات المتحدة وبريطانيا تشرعان بالأساس من خلال ربح الوضع الخاص لعمليتهما كعمليتي احتياط لكل بلدان العالم، حيث يهيمن الدولار على قرابة ثلثي سلة الاحتياطيات الدولية بينما تدور حصة الأستراليين من هذه السلة حول نسبة

تبدو الدول الراسمالية الصناعية المتقدمة كمسورة مبهرة للثراء والرفاهية والقوة الاقتصادية التي تشكل أساسا متينا للقوة الشاملة في تلك الدول، وتبدو هذه الدول المتقدمة كحلم وصورة للمستقبل الاقتصادي الذي تأمل الدول النامية في الوصول إليه عبر مسيرة تطورها المأمولة إلى دول صناعية متقدمة. وعند تأمل تجربة التطور الاقتصادي في تلك البلدان، فإنه يتم التركيز عادة على العوامل الاقتصادية- الاجتماعية- السياسية الداخلية كعوامل تقف وراء هذا التطور الاقتصادي والثراء الشديد الذي تمتع به تلك البلدان، ويضاف إلى ذلك العوامل في الكثير من الحالات، من نهضة الدول الاستثمارية من ثروات وخبرات وعمل البلدان التي خضعت للاستثمار في العهد الاستعماري، كما يضاف إليها أيضا اختلاف معدل التبادل الدولي بين السلع التي تنتجها الدول النامية وبين السلع التي تنتجها الدول المتقدمة لصالح الأخيرة، كعامل مساعد لاستمرار ثراء الدول المتقدمة. كما يظهر الاقتصاد العظمى المتمثل في أسواق العملات ومجالات المضاربة الساخنة، كآلية لنزع الأموال من الدول النامية إلى الشركات والمضاربين من الدول المتقدمة، في ظل تحرير جارة الخدمات ضمن الاتفاقيات والاتفاقات اللاحقة لها التي عقدت في إطار منظمة التجارة العالمية، وتظهر الدول الراسمالية الصناعية المتقدمة في النهاية كدول غنية ومناخه للقروض ودائنة للدول النامية، وتظهر أيضا كدول تتدفق منها الاستثمارات المباشرة وغير المباشرة لكل دول العالم التي تسعى دائما لجذب الاستثمارات من هذه الدول الغنية.

لكن الصورة النهائية للدول الغنية كدول مفرضة وتختلف بتدقيق منها الاستثمارات إلى مختلف بلدان العالم، هي صورة زائفة بدرجة كبيرة، لأن الدول الراسمالية الصناعية المتقدمة هي أكبر الدول المدنية في العالم. بل إن البحث عنها وبالتحديد الولايات المتحدة وبريطانيا تشرعان بالأساس من خلال ربح الوضع الخاص لعمليتهما كعمليتي احتياط لكل بلدان العالم، حيث يهيمن الدولار على قرابة ثلثي سلة الاحتياطيات الدولية بينما تدور حصة الأستراليين من هذه السلة حول نسبة

تؤدي النتائج المتوقعة منها، ولكن تضطر الحكومات للتدخل من وقت لآخر لكبح جماح التقلبات الاقتصادية قبل حلول الكارثة.

وهناك مشكلات أخرى كسورية في النظريات الاقتصادية الشائعة تؤكد تناقضها واضطرابها، وهناك أسئلة قد لا تحضر على بال أحد منها مثلاً: إذا كان أغلب الناس والشركات والحكومات كلها غارقة في الديون.. فمن يملك النقود؟ نقول البتة إن الفرض جعلت لخدمة العملاء، ولكن الحقيقة التي لا يتحدث عنها أحد هي أن البنوك تقترض النقود لتمويل أعضائها مضاعفة، فتأتي لتخلق النقود نفسها لخدمة العملاء.. ويجرد دليل على ذلك هو أن البنوك عندما يحدث الركود الاقتصادي ويكبح الناس عن طلب القروض تتوفر لدى البنوك فواض مالية تستثمرها في سوق المال العالمي في شراء الأسهم والسندات، وتستمد على مزيد من المقارنات والأراضي بأسعار رخيصة غير تناسبية مع السوق المحلية، فالبنوك تقترض أن لها حصة مقدسا في امتلاك شروء الأمة بما يساوي الديون التي تقترضها للعملاء.

وهذه المنازل في بريطانيا مثلاً (نظام الرهن) يعطي هذه الحقيقة شعها ولحمها، ذلك لأنه إذا كان ٣٦% من المنازل المسكونة مستقرا على هذا الطريق فمعناه أن البنوك تشكل بالتفعل ٣٦% من مجموع المنازل في بريطانيا. والخلاصة من الانبساطات الاقتصادية في العالم تطوى على خفايا وكوكنات كاتبة تفرص بالناس من حيث لا يشعرون، وهي النظريات الاقتصادية السائدة فروض ومسلما ما أثير الله بها من سلطان، لا يمكن أن تثبت أمام التحليل القاطم على منطق العدل ولا أمام مبادئ الأخلاق والدين، ويستغل أوضاع المحتاجين والمستضعفين في تعمير مستعمر ما يقى النظام المالي والبنكي مؤسسا على الديون والقروض.

وإذا كان مايكل مويتام قد أعلننا في كتابه «هزيمة الموت» على أطراف مأساوية من تطبيقات هذا النظام في الدول المتقدمة مثل بريطانيا وأمريكا وأستراليا فإن المأساة الحقيقية الكبرى تتمثل في ديون العالم الثالث التي عالجها بتدخلاته الجزئية ونظراته الشاقية، ويقترح لها حلا عيصرية في كتاب آخر بل بعنوان: «وداعا أمريكا» العولة والديون وإمبراطورية الدولار. ■

العدد الثامن والستون . سبتمبر ٢٠٠٤ م

## الدائن والدين



### ١. الولايات المتحدة:

إذا نظرنا إلى جدول ١، مسجد أن الالتزامات المستحقة لاختلاف دول العالم لدى الولايات المتحدة قد بلغت نحو ٩١٧.٧ مليار دولار في عام ٢٠٠١، أي ما يوازي الناتج المحلي الإجمالي الأمريكي في العام المذكور. ونظرا لأن الولايات المتحدة لها مستحقات في مختلف دول المنطقة المستحقة لاختلاف دول العالم في المدينة الأمريكية لدول العالم قد بلغت ٨٨٣ مليار دولار في العام نفسه، فإن صافي التزامات الولايات المتحدة المستحقة لاختلاف دول العالم في المدينة الأمريكية لدول العالم قد بلغت ٣٣٤.١ مليار دولار في عام ٢٠٠١، أي ما يوازي قرابة عشرة أضعاف الدين الخارجي للبرازيل التي تعد أكبر دولة مدينة في العالم والتي بلغت مديونيتها الخارجية نحو ٢١٧.٩ مليار دولار في عام ٢٠٠٢. كذلك فإن المدينة الخارجية للصافية للولايات المتحدة تبلغ نحو ١.٧ مرة قدر مديونية الدول العشر المدينة الكبرى في العالم وهي البرازيل والصين وروسيا والمكسيك والأرجنتين واليونيسيا وتركيا والهند وسويسرا والغابون والذين بلغت مديونيتهم كل منهم بالترتيب نحو ١٢٣.٢، ١٤٧.٢، ١١١.٤، ١٢٣.٢، ١٢٣.٢، ١٠٤.٤، ١٢٣.٢، ١٢٣.٢ مليار دولار في عام ٢٠٠٢، وبلغت مديونيتهم مجتمعة نحو ١٢٦٥ مليار دولار عام ٢٠٠٢، ونظرا لأن عدد سكان هذه الدول العشر المدينة الكبرى بلغ نحو ٣١٨٤ مليون نسمة في عام ٢٠٠٢، فإن نصيب الفرد من الدين الخارجي في تلك الدول، بلغ نحو ٤١٢ دولار في العام المذكور. وبالمقابل فإن عدد سكان الولايات المتحدة بلغ ٢٨٨.٨ مليون نسمة وبالتالي فإن نصيب الفرد من المديونية الخارجية للصافية المستحقة على الولايات المتحدة بلغ نحو ٧٨٥.٠ دولار في عام ٢٠٠١، أي أن نصيب الفرد الأمريكي من المديونية الخارجية الصافية لبلاده يبلغ أكثر من ١٩ ضعف متوسط نصيب الفرد من المديونية في الدول العشر المدينة الكبرى في العالم والتي يبردها أيضا (جمعت وحسبت من: World Bank, World Development Indicators 2004, (Several Tables).

انظر الجدول رقم ١٠.

### ٢. بريطانيا:

تمثل بريطانيا حالة فريدة فيما يتعلق بميزان عافيتها المالية مع باقي دول العالم، فهي تتمتع بفاض كبير في ميزان استثماراتها الخارجية المبشرة

بقيمة ٣٧.٨ مليار دولار، بينما تسجل عجزا بقيمة ٨٧.٥ مليار دولار في الاستثمارات الحافظة، لكن الدوائج المصرفية الحافظة لبريطانيين في مختلف بلدان العالم لا تتجاوز ١٨٩١.٩ مليار دولار، ويقابلها ودائع مصرفية موجودة في بريطانيا ومملوكة لأمماني الدول الأخرى بقيمة ٣٣٢.٢ مليار دولار، بما يجعل التزامات بريطانيا المصرفية الخارجة تزيد بمقدار ٤٣.٦ مليار دولار عن حقوق مواطنيها لدى الخارج. والنتيجة النهائية لكل ذلك هي أن بريطانيا مدينة صافية لدول الأخرى بمقدار ٤١ مليار دولار، بما يعني أن نصيب الفرد من المديونية في بريطانيا بلغ نحو ٦٩٢.٠ دولار في عام ٢٠٠١، والقيء الفرد في وضع بريطانيا هو القدرة الهائلة لجهازها المصرفي على جذب المدخرات من مواطنيها وشركات الدول الأخرى، إذ تزيد الدوائج الأجنبية في الجهاز المصرفي البريطاني عن قيمة الدوائج الأجنبية في مجمل الأجهزة المصرفية في كل دول منطقة اليورو بأكثر من ٢٠٠ مليار دولار، كما تزيد عن الدوائج الأجنبية في الجهاز المصرفي الأمريكي المماثل بمقدار ٩٠٠.٨ مليار دولار في عام ٢٠٠١، ويعود هذا الوضع الفريد إلى أن بريطانيا رغم انتهاء إمبراطوريتها الاقتصادية إلا أنها احتفظت بتقنيات مالية كبيرة من مواطني وشركات مستثمراتها السابقة، ربما من باب الدعاية بقطاعاتها المصرفي الذي يتمتع

### ٣. كندا:

بلغت قيمة المدينة الخارجية الصافية لكندا نحو ١٢٧ مليار دولار عام ٢٠٠١، بما يعني أن كل مواطن كندي مدني يسبحو ٤٠٧ دولار. ورغم أن الاستثمارات الكندية المباشرة في الخارج تزيد عن الاستثمارات الأجنبية المباشرة في كندا بمقدار ٤٣ مليار دولار، بما يعني أن كندا دولة دائنة في هذا الصدد، إلا أنها مدينة في مجالات أخرى بشكل أكبر كثيرا. والحقائق أن الدين الكندي ناتج بالأساس عن وجود استثمارات أجنبية في الحافظة في كندا بقيمة ٣٢١ مليار دولار، وما يزيد بمقدار ١٨٥.٨ مليار دولار عن قيمة استثمارات الكنديين في



## نصيب الفرد الأمريكي من المديونية الخارجية

الصافية لبلاده يبلغ أكثر من ١٩ ضعف متوسط نصيب الفرد

من المديونية في الدول العشر

المدينة الكبرى في العالم



الحافظة في بلدان أجنبية، ونتيجة أيضا عن وجود دوائج مصرفية أجنبية في كندا بقيمة ١١٨.٥ مليار دولار بما يزيد بمقدار ٥٠.٠ مليار دولار عن قيمة الدوائج الكندية في مصارف الدول الأجنبية. ولولا أن كندا دولة دائنة فيما يتعلق بالاستثمارات الأخرى، لكنت مديونيتها الصافية أكبر كثيرا.

### ٤. دول اليورو:

بلغت قيمة التزامات دول منطقة اليورو، لصالح الدول الأخرى، نحو ٧٠٨.١ مليار دولار عام ٢٠٠١، في حين بلغت مستحقاتها لدى الدول الأخرى نحو ٦٧٣.٥ مليار دولار، أي أن مديونيتها لاختلاف دول العالم بلغت نحو ١٣٤.٦ مليار دولار في العام المذكور، بما يعني أن متوسط نصيب الفرد فيها من هذه الدين بلغ نحو ٣٥٥ دولار. ومن الضروري الإشارة إلى أن هناك تفاوتات حادا بين أوضاع الدول المختلفة الموجودة في منطقة اليورو فيما يتعلق بمديونيتها الخارجية، حيث تعتبر اثنتي عشرة من الثلاث الرئيسية في هذه المنطقة وهي ألمانيا وفرنسا وإيطاليا، دول دائنة، حيث زادت الأصول الخارجية الإجمالية لهذه الدول بالتتابع عن التزاماتها أو مديونتها الخارجية بقيمة ١٩١.٠، ١٩١.٠، ١٨.٥ مليار دولار في عام ٢٠٠١، لكن الدول الأخرى في منطقة اليورو تعد دول مدينة بقيمة تزيد كثيرا عن دائنيها ألمانيا وفرنسا وإيطاليا، بما أدى في النهاية إلى ظهور منطقة اليورو كمجموعة مدينة.

### ٥. اليابان:

تعد اليابان، حالة عكسية تماما، حيث أن إجمالي الأصول الحافظة لمواطنيها في الخارج، تزيد عن إجمالي الأصول المائلة للأجانب داخل اليابان بمقدار ١٤٢.٧ مليار دولار في عام ٢٠٠١، وهو وضع نادر من تحقيق هذه الدولة لنقص هائل في موزونها الخارجية وبأساس ميزانها التجاري بما يجعلها مصدرة لرأس المال من خلال الإفراض وكل أشكال الاستثمار المباشرة وغير المباشرة بصورة استثنائية تقريبا لأن بقاء أموال المخصص التجارية تزيد عن طاقته الاقتصاد الياباني على استيعاب الاستثمارات الجديدة مستجمل من اقتصادها اقتصادا محموا ومن سوق رأس المال وأسواق العملات فيها، استقطابا محموا وضغطا بصورة تهدد استقرار الاقتصاد فيها.



وكما هو واضح من كل ما سبق فإن الغالبية الساحقة من مديونية الدول الرأسمالية الصناعية المتقدمة، هي عبارة عن المديونية الأمريكية الهائلة التي كان من الممكن أن تتضاعف عدة مرات لولا توظيف الولايات المتحدة لوضع عملتها كعملة احتياط دولية لنزح السلع والخدمات والثروات من العالم مقابل أوراق نقدية أمريكية لا يوجد لها رصيد أمريكي من الإنتاج أو المعادن النفيسة، لذا فإن الولايات المتحدة تستحق أن تكون محور هذه الدراسة باعتبارها أكثر بلدان العالم ثراء وأكثرها مديونية في الوقت نفسه!!

## ثانياً: العلاقات الثرى والمدين الأكبر،

قبل تناول المديونية الأمريكية لابد من التعرف على مستوى الثراء الأمريكى المشتمل على قيمة الناتج القومى الإجمالى لهذه الدولة ومتوسط نصيب الفرد فيها من هذا الناتج، والترتيب الأمريكى بين دول العالم فى الحالاتين.

### ١- الثراء الأمريكى،

تعد الولايات المتحدة هي أكبر دولة مدنية فى العالم، رغم أنها تعتبر في الوقت نفسه أكثر بلدان العالم ثراء، وفقاً لكل التقارير التي تصدرها المؤسسات الدولية مثل صندوق النقد والبنك الدوليين والأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها. وقد بلغ متوسط نصيب الفرد من الناتج القومى الإجمالى فى الولايات المتحدة نحو ٣٩٤٠ دولار عام ٢٠٠٢، وهو ما وضعها فى المرتبة الثالثة عالمياً بعد النرويج (٣٨٣٠ دولار للفرد)، وسويسرا (٣٦١٠ دولار للفرد). كما بلغ الناتج القومى الإجمالى للولايات المتحدة نحو ١٠٢٠٧ مليار دولار وتلتها اليابان بناتج قومى إجمالى بلغ ٩٤٣٣ مليار دولار فى عام ٢٠٠٢ وفقاً لحساب هذا الناتج على أساس سعر الصرف السائد.

وإذا أخذنا بنصيب الفرد من الناتج القومى الإجمالى الحقيقي المحسوب وفقاً لتعادل القوى الشرائية بين العملات المختلفة وبس الدولار، فإن نصيب الفرد من الناتج القومى الإجمالى فى الولايات المتحدة يأتى فى المركز الثانى عالمياً بعد النرويج، حيث بلغ ٣٦١٠ دولارات، مقابل ٣٦٦٠ دولار للفرد فى النرويج، فى حين يتراجع

العدد الثامن والستون . سبتمبر ٢٠٠٤ م

على استغلال باقى دول العالم ونزح مواردها.

## ٢- المديونية الخارجية الأمريكية وهيكليتها،

تتركز المديونية الأمريكية التي اشترتها إليها أضافاً، فى إجمالى استثمارات المحافظة المملوكة للأجانب فى الولايات المتحدة، والتي بلغت قيمتها فى عام ٢٠٠١، نحو ١٤٢٠٢ مليار دولار، والتي تعتبر ديوناً على الحكومة الأمريكية بقيمة سندات الأجنب التي باعتها للأجانب، وديون على القطاع الخاص بقيمة أسهم وسندات الشركات الأمريكية التي يمتلكها الأجانب. وللعلم فإن جزءاً مهماً من ممتلكات القطاع مزدوج الجنسية من الأسهم والسندات والودائع ومختلف أنواع الأصول، لا تحسب على أنها التزامات خارجية أو ديون أمريكية، بل تحسب على أنها ممتلكات أمريكية، رغم أن كثيرين من مزدوجي الجنسية يتمتعون بالفضل لبلدانهم الأصلية وليس للولايات المتحدة.

ونظراً لأن مواطني الولايات المتحدة يمن فيهم مزدوجو الجنسية، يمتلكون استثمارات غير مباشرة أو استثمارات فى المحافظة فى بلدان أجنبية بقيمة بلغت نحو ٢١١٠٥ مليار دولار عام ٢٠٠١، فإن صافي المديونية الأمريكية فيما يتعلق باستثمارات المحافظة، بلغ نحو ٢٠٢١٠٠ مليار دولار، أى نحو ٣ ٧٨٣ من صاى المديونية الخارجية الشاملة للولايات المتحدة الأمريكية، وهذا الأمر يعنى أن التعاليم الساحقة من الأموال المملوكة للأجانب والمستثمرة فى الولايات المتحدة على الأسهم والسندات، أو بمعنى آخر غالبية الدين الخارجى الأمريكى، لا عبارة عن أصول وقيمة يتلقى مالكوها الأجانب عوائد، لكنهم بلا سلطان فى إدارتها، إلا فى الحالات التي يمتلك فيها بعض المستثمرين الأجانب نسبة كبيرة من أسهم بعض الشركات بما يتبع لهم المشاركة فى إدارتها. أما فى الظروف العادية وفى الغالبية الساحقة من الحالات، فإن مديرين تصفيسيين أمريكيين يديرون الأصول المعتبرة الإقتصادية والخدمات التي يمتلكها الأجانب أسهماً وسندات فيها.

أما القسم الثانى من المديونية الأمريكية فهو الممثل فى الاستثمارات الأجنبية المباشرة الموجودة فى الولايات المتحدة والتي بلغت قيمتها نحو ٢٥٦٢٦ مليار دولار فى

البالغ الارتفاع للثراء الأمريكى فى الوقت الراهن والذي يجد تفسيره فيما يمكن تسميته بالإلزام الأمريكى بأموال العالم التي تتدفق على السوق الأمريكية كاستثمارات مباشرة وغير مباشرة، تساهم بصورة كبيرة وقمالة فى تمويل التنمية فى الاقتصاد الأمريكى وكانت الولايات المتحدة تعد من أكثر الدول تساهلاً مع تدفق أموال الفساد والاقتصاد الأسود من البلدان النامية إليها، بما جعلها قبلة لهذه الأموال لزمن طويل، قبل أن تتخذ إجراءات مشددة لمكافحة تجارة المخدرات وأموالها فى تعيينات إجمالى المشرعين، وتتخذ إجراءات أكثر تشدداً لمواجهة تدفق الأموال إلى المنظمات التي تعتبرها واشنطن إرهابية. كما تشرى للعالم من خلال المتحدة حساب العالم من خلال استقلال وضعه الدولار الأمريكى باعتباره العملة الاحتياط الدولية الرئيسية، حيث يشكّل الدولار عملة الاحتياط الرئيسية فى العالم، وهو العملة التي يتم تسعير العديد من المواد الخام بها وعلى رأسها النفط، وهو أيضاً العملة التي يتم بواسطتها تسوية الجانب الأكبر من مدفوعات التجارة الدولية فى السلع والخدمات، فضلاً عن أن جانباً مهماً من حركة الإفراض الدولية يتم بالدولار. وقد وظفت الولايات المتحدة دور عملتها كعملة احتياط دولية لتحقيق مصالحها الاقتصادية والمالية الخارجية حتى لو كان ذلك من خلال إجراءات تنطوي

متوسط نصيب الفرد من الناتج القومى الإجمالى فى سويسرا إلى ٣٦٨٠ دولاراً، نظراً لأن أسعار الصرف السائدة للفرنك السويسرى مقابل الدولار، تزيد كثيراً عن قيمته الحقيقية تجاهه والتي تتحدد بتوازن القدرات الشرائية بينهما. كما بلغ الناتج القومى الإجمالى الأمريكى المحسوب وفقاً لتعادل القوى الشرائية ١٠٤١٤ مليار دولار، ولقد بلغ الناتج القومى الإجمالى لصنى الذى بلغ ٥٧٢٢ مليار دولار، بينما تراجعت اليابان للمركز الثالث بناتج بلغ ٣٤٨١ مليار دولار فى عام ٢٠٠٢.

ووفقاً لكل المؤشرات تعتبر الولايات المتحدة دولة شديدة الثراء. ويبدو تصورنا على أن هذه الدولة لديها من الموارد والثروات والقدرات والأصول الإنتاجية ما يحقق لها هذا الثراء الهائل، لكن هذا الانطباع بعيد عن الحقيقة والصواب، ففصيحان أن الإمبراطورية الأمريكية كانت لديها ثروات معدنية ونفطية هائلة، فضلاً عن الموارد المالية والغابات والأراضي الصالحة للزراعة والرعى، إلا أنها استنزفت الجانب الأعظم من مواردها القابلة للتصويب، ولم تعد ثرواتها الطبيعية هي سر ثرائها، بل مجرد جزء محدود من أساس ثرائها. ورغم الأهمية الكبيرة للقطاع الصناعى والتكنولوجى للولايات المتحدة كسب رئيسى ثرائها، وقطاعات يمكنها من أن تقف على موقع متقدم وسط الدول الغنية، إلا أنه لا يكفى لتصميم المستوى

## كانت الولايات المتحدة تعد من أكثر

الدول تساهلاً مع تدفق أموال الفساد والاقتصاد

الأسود من البلدان النامية إليها، بما جعلها قبلة

لهذه الأموال لزمن طويل، قبل أن تتخذ إجراءات

مشددة لمكافحة تجارة المخدرات وأموالها

فى تسعينيات القرن العشرين





عام ٢٠٠١، والتي تعد ممتلكات عائدة للأجانب في الولايات المتحدة وتشكل بالتالي التزامات خارجية على الولايات المتحدة، إذ يمكن للمستثمرين الأجانب إلا أرادوا بيع استثماراتهم المباشرة أو الخروج منها أن يحصلوا على القيمة السوقية لهذه الاستثمارات ويحرجوها من الاقتصاد الأمريكي الذي يمكنه بالفعل أن يتعرض لزلزال عنيف لو حدثت حالة نزوح للاستثمارات الأجنبية المباشرة وغير المباشرة منه.

ونظرا لأن مواطني الولايات المتحدة ممن فيهم مزدوجو الجنسية، لهم استثمارات مباشرة في الخارج تقدر قيمتها بنحو ٢٢٨٨ مليار دولار، فإن صافي المديونية الأمريكية الناجمة عن ميزان الاستثمارات المباشرة، بلغ نحو ٣٣.٨ مليار دولار في عام ٢٠٠١، أي ما يزيد بنحو ٨.٩ مليار دولار عن قيمة الديون الخارجية الإجمالية للبرازيل. أما بالنسبة للودائع المصرفية فإن الولايات المتحدة لديها ودايع أجنبية بلغت قيمتها نحو ١٢٦١ مليار دولار في عام ٢٠٠١، وقابلتها ودايع مصرفية أمريكية في الخارج بقيمة ١٤١٨ مليار دولار في الخارج، بما يعني أن المديونية الأمريكية الصافية في هذا المجال محدودة ولا تتجاوز ٤.٩ مليار دولار في العام المذكور.

وبناء على كل ما سبق، يمكننا القول إن الولايات هي الدولة التي عليها أكبر التزامات إزاء الدول الأخرى ومواطنيها. أو بمعنى آخر هي الدولة المدينة الأكبر للعالم، ولو افترضنا أن كل الأجانب من دول وأهراء وشركات الذين يمتلكون أصولا وأسمها وسندات ودايع مصرفية لديها، فروا التخلص منها والمحصول على قيمتها، فإن ذلك سيعني أن أدلى شكل، حدوث زلزال كبير في الاقتصاد الأمريكي وانفجار مروعا في قيمة العملة الأمريكية وفي المكانة الاقتصادية الأمريكية في العالم. وتعد الطريقة الوحيدة قنع هذا الانهيار هي هذه الحالة الحالية، هي لجوء الولايات المتحدة لسياسات تسليطية تتناقض تماما مع أي منهج ليبرالي، نتاجا من تقسيم سداد التزاماتها للدائنين لأجل طويلة ملاملة لعدرات الاقتصاد الأمريكي على السداد، بل وربما لحا إلى محتمل أشكال الانكشاف واختلاق الدرائع لتحطيل هذا السداد أو حتى لصدرة الأموال والسطو المباشر على أصول بعض الدائنين لها

لحفظاتها بسبب الفساد الذي يسيطر على إدارات بعض شركاتها الكبرى. وعلى ضوء كل هذه التطورات حدثت بعض عمليات السحب للأموال العربية من الولايات المتحدة، فضلا عن تراجع التدفقات الاستثمارية العربية الجديدة إلى الولايات المتحدة بما ساهم في تخفيض تدفقات الاستثمارات الأجنبية المباشرة إليها من نحو ٣١٤ مليار دولار عام ٢٠٠٠ إلى نحو ١٤٤ مليار دولار عام ٢٠٠١، إلى نحو ٣٠ مليار دولار فقط في عام ٢٠٠٢ (راجع: United Nations conference on Trade and Development, World Investment Report 2003, p. ٢٤٩).

وتفاوتت التضريرات بشأن حجم الأموال العربية المستحقة من الولايات المتحدة، حيث أشارت صحيفة الصاناناشمال تايمز البريطانية في أغسطس من عام ٢٠٠٢، إلى أن ما يتراوح بين ١٠٠ و ٢٠٠ مليار دولار من الأموال العربية قد تم سحبها من الولايات المتحدة منذ أحداث ١١ سبتمبر. وفي نوفمبر من نفس العام أشارت صحيفة فرنسية أسبوعية هي «لو جورنال دو مينا»، إلى أن ما يزيد على ٤٠٠ مليار دولار من الأموال السعودية والخليفة المستثمرة في الولايات المتحدة قد سحبت منها بسبب المخاوف من قيام أدلة بوش باصداق قانون جديد يزيد من صعوبة سحب الأموال العربية من الولايات المتحدة الأمريكية ويجسد لها ليس الانهاء من التحقيقات الخاصة بشبكة القاصدة ومصادر تمويلها. وكان قرار رجال الأعمال العربية منذ أحداث ١١ سبتمبر قد أثار قلق الكثيرين من رجال الأعمال العرب بمسقة عامرة، وأعطى انطباعا لكل الدول والمستثمرين عما يمكن أن تفعله الولايات المتحدة إذا حاولت الأموال الأجنبية التوطئة فيها أن تخرج منها.

وهذا يحسن أن الإمبراطورية الأمريكية الهيمنة عالميا والتي تعد أنقل الدول مديونية، لديها القدرة على التحكم في الدائنين لها، وليس العكس، وذلك لأن مديونيتها الخارجية تقوم إلى دول وأشخاص دخلوا للسوق الأمريكية وفقا للقوانين الداخلية التي تعمل بها والتي يمكن أن تغيرها واضطعن عند الضرورة لقرعة نزوح هذه الأموال، في حين أن الديون المحلية للدول المدينة

بعض الجمعيات الخيرية الإسلامية، قد أثار الكثير من المخاوف لدى كل المستثمرين العرب في الولايات المتحدة بأن تكون أموالهم هدفا لمثل هذه الدعاوى التي تشكل نوعا من الاستهداف العنصري الذي يشكل محاولة صريحة للسلط على أموال يمكن أن تخرج من الاقتصاد الأمريكي. كما أن التراجع التاريخي لسعر الفائدة على الدولار الأمريكي لأدنى مستوى له منذ نصف قرن تقريبا حيث بلغ في نهاية عام ٢٠٠٣ ويدايات عام ٢٠٠٤، نحو ١.٢٪، جعل جعل الاستثمارات الأجنبية وضعت في الولايات المتحدة في الودائع المصرفية الدولية في الولايات المتحدة، غير مجزية اقتصاديا، وتسحق الانسحاب منها بالفعل. وقد تراجع سعر صرف الدولار الأمريكي من نحو ١١ يورو في يناير ٢٠٠٢، إلى نحو ٩ يورو في يناير ٢٠٠٣، قبل أن ينحدر إلى نحو ٠.٨٢ في شهر أغسطس من العام الحالي.

وقد تعرض المستثمرون العرب في الأسهم الأمريكية بالذات لخسائر كبيرة بسبب تباطؤ الاقتصاد الأمريكي وتخبطه وانحسار قضايا الفساد التي هيأتها في أكثر التوقعات تشاؤما. وكان من الطبيعي أن تنسحب بعض الاستثمارات الأجنبية الموجودة في الولايات المتحدة ومنسحبها بعض الاستثمارات العربية، هربا من بورصة متخبطة وتميش واحدة من أسوأ

ولعل السلوك الأمريكي في مواجهة الأموال العربية منذ أحداث ١١ سبتمبر، مودجا على السياسات التسليطية التي يمكن أن تتبعها الولايات المتحدة في مواجهة الأموال التي تريد أن تخرج من السوق الأمريكية، فمع صعود النزعات العنصرية المعادية للعرب والمسلمين عامة في الولايات المتحدة بعد أحداث ١١ سبتمبر، تحت دعاوى محاصرة التمويل المالي للجماعات الأصولية والتي شملت الإجراءات الخاصة بها، مراقبة أموال الجمعيات الخيرية الدينية الإسلامية، بدأت بعض الأموال والاستثمارات العربية المتوطنة في الولايات المتحدة تتجه نحو النزوح، فواجه بعض من يملكون هذه الأموال والاستثمارات من أفراد وشركات وجمعيات، إجراءات تمييزية، وتعرض البعض منهم لتجميد أمواله تحت دعاوى تجفيف التمويل الذي ينحيز للجماعات «الإرهابية» خاصة بعد أن أصدرت الولايات المتحدة قانون تشديد مكافحة غسيل الأموال الذي وضع الأموال العربية بالذات تحت مراقبة مكثفة وتمييزية تشكل مصدرا للإزعاج وللمخاوف للمستثمرين العرب. كذلك فإن إقامة عدد من الأمريكيين لدعاوى تعويض تبلغ قيمتها نحو تريليون دولار ضد عدد من رجال الأعمال السعوديين وضممتهم بعض الأضرار من الأسرة المالكة بدوى مسئوليتهم الضمنية على أحداث ١١ سبتمبر بسبب تمويلهم

## الدول باختصار: عملة لها نفوذ

### وهيمنة دولية وتستند في مكانتها كعملة

#### احتياط دولية إلى الوضع الذي حازته منذ الحرب

#### العالمية الثانية والذي تأسس واستقر على دعائم

#### القوة العسكرية والهيمنة السياسية للولايات

### متحدة على الصعيد العالمي



العادية مثل البرايل والمكسيك وروسيا والصين والجزائر وتركيا ومصر. تقرب من قروض حصلت عليها هذه الدول بشروط اقتصادية وسياسية في إطار اتفاقات دولية بينها وبين الدول أو القروض، ولابد من الالتزام بأجالات سدادها وبالموارد المتفق عليها، وإلا اعتبرت الدولة في حالة عجز مالي أو حتى إفلاس إذا توقفت عن الوفاء بالتزاماتها الدولية، وعندها تضطر للخضوع لبرنامج اقتصادي يعمده صندوق النقد الدولي كوكيل للدول الدائنة، مقابل إعادة جدولة لدول

### ثالثاً: الدولار.. عملة تهب العالم:

حتى الدولار بوضعه كعملة احتياط دولية منذ الحرب العالمية الثانية، نتيجة خروج الاقتصاد الأمريكي من تلك الحرب وهو أقوى وأكثر اقتصاد في العالم حيث كان ناتجه المحلي الإجمالي يشكل قرابة ٤٥ ٪ من الناتج العالمي آنذاك، وقد استمر هذا الاقتصاد بقوة الدفع المالي ويحافظ الولايات المتحدة على قيادتها السياسية والعسكرية للرب العالمين الحرب الباردة رغم تراجع حصة ناتجها المحلي الإجمالي من الناتج العالمي إلى نحو ثلثه عام ١٩٦٥، ثم إلى نحو ٢٨ ٪ منه عام ١٩٩٠. وبعد انتهاء الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفيتي السابق وما ترتب على ذلك من إفراط الولايات المتحدة بموقع القوة الأعظم منذ ذلك الحين وحتى الآن، استمر الدولار محافظاً على وضعه كعملة الاحتياط الدولية الرئيسية رغم تراجع حصة الناتج الأمريكي من الناتج العالمي إلى ما يزيد قليلاً على خمس الناتج العالمي عام ١٩٩٥، وعزز الدولار مكانته عام ٢٠٠٠ بعد دورة طويلة وقوية من النمو وبيانات في المجموع الصناعي العسكري الذي تعزز بقوة بسبب صفقات الأسلحة المضخمة التي باعها الولايات المتحدة للدول العربية الخليجية بعد حرب الخليج الثانية، والتي لم تكن تلبى حاجة حقيقية لتلك الدول، بقدر ما تعد ضرورية لحماية، مدعومة للمجموع الصناعي العسكري الأمريكي، وهي في النهاية أسلحة تقادمت وتتكاد في مخازنها بلا جدوى، بما يجعل المدفوعات المتفككة بشرائها، هدراً حقيقياً للأموال العربية، لمصلحة المجموع الصناعي العسكري الأمريكي كنوع من الإذعان من

للدول الأوروبية، ونحو ٤ ٪ للين الياباني، ونحو ٤.٤ ٪ للحنه الأسترليني في العام نفسه، وكانت تلك الحصص قد بلغت في عام ٢٠٠١، نحو ٧.٢٧٧ ٪، ٤.٧٣٣ ٪، ٤.٤٤ ٪ للعملة المذكورة بالترتيب. كما تشير بيانات البنك الدولي في تقريره السنوي (2004 Global Development Finance)، إلى أن حصة الدولار من الديون طويلة الأجل للدول النامية بلغت ٩٩ ٪ عام ٢٠٠٢، مقارنة بنحو ٦٨ ٪ لليورو، ونحو ٨ ٪ للين الياباني وهو ما يشير إلى تمتع الدولار بوضع مهيمن على الاحتياطيات الدولية من العملات الحرة، وعلى حركة الإقراض الدولية، وهذه الوضعية المهيمنة للدولار الأمريكي تعطي الولايات المتحدة فرصة استثمارية لتحديد حركة الإصدار النقدي في الدولار، بناء على حركة الاقتصاد العالمي في مجمله وحركة التجارة الدولية في السلع والخدمات، وليس بناء على نمو الاقتصاد الأمريكي البطيء أو التجارة الخارجية الأمريكية في السلع والخدمات. لكن كيف حصل الدولار الأمريكي على مكانته المهيمنة وكيف وفقتها واشططن في الواقع لاستقلال العالم بأسره وموارده بدون ملقة واحدة؟

### ٢. النزع الأمريكي لموارد العالم

لم تكن الحرب العالمية الثانية قد وضعت أوزارها بشكل نهائي في عام ١٩٤٤، لكنها كانت قد حسمت وضد من هو المنتصر ومن هو المهزوم وضد من قافلة المتصربين، كانت الولايات المتحدة التي دارت الحرب بعيداً عن أراضيها، قد حققت نمواً اقتصادياً مضطرباً بينما كانت اقتصادات القارة الأوروبية يشترها وغربها يستمرتعها ومهزومها، تعاني من دمار مروع، وفي هذه الأجواء عقدت اتفاقيات بريتون وودز لتأسيس صندوق النقد والبنك الدوليين. وكانت أية الانحصار الأمريكي هي إقرار الدولار كعملة احتياط دولية مرتبطة بالذهب الذي كانت الولايات المتحدة قد كسبت كميات هائلة منه، وجاء ذلك بشكل صريح في ميثاق صندوق النقد الدولي الذي نص على أن القيمة التبادلية لعملية أي دولة عضو بالمتنوع سيغير عنها بالذهب أو بالوالات الأمريكية، علماً بأن الولايات المتحدة التزمت بقابلية عملتها للتحويل إلى ذهب بسعر ثابت كان يبلغ ٣٥ دولاراً للأونصة).

إلى حرب أفغانستان، وأخيراً الغزو الاستعماري للعراق واحتلاله، وتعتمد في خلق طلب خارجي على السلع والخدمات المنيعة الأمريكية، على استخدام خصوصاً السياسي وبرنامج مساعداتها المالية، وأحياناً من خلال الصعق بعوتها العسكرية واستحداها بشكل مباشر وعنيف كما هو الحال في العراق، بفرض فتح قطاع النفط في ذلك البلد العرسي الكبير أمام الشركات الأمريكية، وفتح أعمال كبرى للشركات الأمريكية في عمليات إعادة إعمار ذلك البلد، لو استقر الحكم الاستعماري الأمريكي في العراق.

ولأن الولايات المتحدة تدرك الوضع الخاص لعملتها كعملة احتياط دولية فإنها استغلتها لتحقيق مصالحها على حساب العالم، أما كيف تم ذلك، وللبداين التي أضرت منه، واحتمالات تغيير هذا الوضع، وكيف ستواجه الولايات المتحدة مثل تلك التغيير فهذا ما سنحاول تناوله، لكن قبل الدخول في تفاصيل هذه القضية لابد من الإشارة أولاً إلى طبيعة الوضع الذي يتمتع به الدولار كعملة احتياط دولية في الوقت الراهن.

### ١. آلة التفتق الأمريكية:

تشير بيانات صندوق النقد الدولي (Annual Report 2003, P.99) إلى أن حصة الدولار الاحتياطيات الدولية من العملات الحرة لكل دول العالم قد بلغت نحو ٦٤ ٪ عام ٢٠٠٢، مقارنة بنحو ٦٤ ٪

بعض الحكومات الخليجية لطلب هذا المجموع، في مقابل الحماية التي تسفيها الولايات المتحدة على هذه الحكومات، وقد أدت دورة النمو القوية للاقتصاد الأمريكي في عهد كلينتون إلى رفع حصة الناتج المحلي الإجمالي الأمريكي من الناتج العالمي.

والدولار باختصار، عملة لها نفوذ وهيمنة دولية وتستند في مكانتها كعملة احتياط دولية إلى الوضع الذي حازته منذ الحرب العالمية الثانية والذي تأسس واستقر على دهاشم القوة العسكرية والهيمنة السياسية للولايات المتحدة على الصعيدين العالمي، فضلاً عن ضخامة الاقتصاد الأمريكي وموقعه القيادي العالمي الذي تراجع بشكل متواصل حتى منتصف تسعينيات القرن الماضي، لكنه ظل حتى في ذروة تراجعه، يحتل موقع القيادة في الحجم والتطور التكنولوجي عالمياً، قبل أن يحقق صعوداً قوياً لحسمته من الناتج العالمي، في الفترة الثانية للرئيس السابق بيل كلينتون، قبل أن يبدأ رحلة التراجع مع انتخاب الرئيس الأمريكي الحالي جورج بوش الابن الذي يتبع سياسات اقتصادية يمينية متطرفة من الصعب أن تؤدي إلى إعاش الاقتصاد الأمريكي الذي يراوح على حافة الركود، والذي تعتمد الإدارة الأمريكية اليمينية المتطرفة في محاولة إعاشه، على خلق طلب خارجي على منتجاتها العسكرية عبر إثارة الاضطرابات والحروب من حرب الخليج الثانية، إلى حرب البلقان،

### رغم تحول الولايات المتحدة لتحقيق

### فائض في الموازنة العامة للدولة

بلغ ٥٥٨ مليار دولار في الفترة من

عام ١٩٩٨ حتى عام ٢٠٠١، إلا أن العجز

في الموازنة العامة قد عاد بقوة منذ عام

٢٠٠٢. ليبلغ نحو ٦٤٦٩,٥ مليار دولار



وقد بلغ المجموع التراكمي لعجز الموازنة العامة للدولة في الولايات المتحدة والتي لم ينقطع منذ عام ١٩٧٠ حتى عام ١٩٩٧، نحو ٣٤٠٠ مليار دولار، منها نحو ٢٤٠١ مليار دولار خلال الفترة من عام ١٩٨٠ حتى عام ١٩٩١ حسب بيانات صندوق النقد الدولي (International Financial Statistics) (Yearbook). وهذا العجز الضخم، يعني أنه كان على الحكومة الأمريكية أن تقترض من الداخل والخارج لمواجهة، لكنها واعتمدت على وضع عملتها كمصلحة احتياط دولية طرحت سندات وتم بيع جانب منها منها للأجانب، بما مكنتها من تغطية هذا العجز.

ورغم تحول الولايات المتحدة لتحقيق فائض في الموازنة العامة للدولة بلغ ٥٥٨ مليار دولار في الفترة من عام ١٩٩٨ حتى عام ٢٠٠١، إلا أن العجز في الموازنة العامة للدولة الأمريكية قد عاد بقوة منذ عام ٢٠٠٢، حيث بلغ نحو ٢٤٠٦ مليار دولار، أي نحو ٢٩٩ مليار دولار بسبب التزايد في الإنفاق العسكري والأمني أساساً، على ضوء الهستيريا الأمنية بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، كما تزايدت النفقات بصورة أكبر في عام ٢٠٠٢ على ضوء المفاخرات العسكرية العدوانية ضد العراق والأخرى وبالذات في العراق وأفغانستان.

وعلل النموذج الذي ضربه الولايات المتحدة خلال مواجهتها للأزمات الاقتصادية السلبية لأحداث ١١ سبتمبر، هي خير دليل على سوء استفاد هذه الدولة لوضع عملتها كمصلحة احتياط دولية، فبعد وقوع تلك الأحداث مباشرة، قام بنك الاحتياط الفيدرالي الأمريكي (البنك المركزي الأمريكي)، بإضافة سيولة نقدية قدرها ٨١.٥ مليار دولار لتمويل مواجهة الأزمة، ولأن هذه الإصدار النقدي ليس له غطاء من الإنتاج أو المعادن النفيسة، فإنه يعني تحميل الاقتصاد العالي بواجب كبير من العبء الاقتصادي الناتج من أحداث ١١ سبتمبر، عوضاً عن أن تتحمل الولايات المتحدة أعباءها بنفسها. وهذا الإجراء هو صورة من ربح الوضع المهيمن للدولار في سلة عملات الاحتياط الدولية.

أما العجز التجاري الأمريكي المتراكم خلال الفترة من ١٩٨١ حتى عام ٢٠٠٣ فقد بلغ ٥٤١٤ مليار دولار وهو عجز لم يستطع فائض تجارة الخدمات الأمريكية أن يحوطه، فظهر عجز في

الإنشائية وتعليم جبروت الاقتصاد الأمريكي وتحقيق النمو الاقتصادي والثراء لتلك الدولة. وكان وضع الدولار كمصلحة احتياط دولية مملوكة لأفوى دولة في العالم، عاملاً مهماً في توجيه الاستثمارات الدولية إلى الولايات المتحدة.

أما بالنسبة لاستخدام وضع الدولار كمصلحة احتياط دولية في سد عجز الموازنة الأمريكية، فإن الحكومة الأمريكية وبالذات منذ عهد الرئيس الأسبق رونالد ريغان، قد عمدت إلى الإضرار في الإصدار النقدي لتمويل الإنفاق العام، أو ما يشبه التمويل بالعجز في البلدان النامية، معتمدة على أن الطلب على الدولار لا يتحدد في السوق الأمريكية فقط، بل إن هناك طلباً دولياً عليه يتوسع ببطء مع زيادة حجم التجارة الدولية في السلع والخدمات التي يشكل الدولار العملة الرئيسية في تسوية مدفوعاتها.

وبالتالي فإن توسعها في الإصدار النقدي بدون مبررات اقتصادية حقيقية، يؤدي إلى اضطراب نقدي أو إلى زيادة التضخم بدرجة كبيرة، طالما أنه تتم تقطيعه بطلب عالمي في ظل توسع التجارة الدولية في السلع والخدمات، ولذلك فإن أي تراجع في التجارة الدولية في السلع والخدمات لابد أن يضغط على سعر الدولار بشدة، متكاملاً مع انخفاض قيمة التجارة الدولية في السلع والخدمات بمقدار ٢٧٧ مليار دولار أو بنسبة ٣٢.٦٪ عام ٢٠٠١ مقارنة بمستواها عام ٢٠٠٠، وذلك على ضوء أثار أحداث ١١ سبتمبر وكل نتائجها.

(IMF, World Economic Outlook, April 2004, p257) بلغ متوسط معدل الادخار الأمريكي نحو ١٧.٩٪ من الناتج المحلي الإجمالي خلال العترة من عام ١٩٨٢ حتى عام ١٩٩٠، في حين كان متوسط معدل الاستثمار السنوي في العترة نفسها، نحو ٢٢.٠٪ من الناتج المحلي. كما بلغ متوسط معدل الادخار الأمريكي خلال الفترة من عام ١٩٩٠ حتى عام ١٩٩٧، في حين كان معدل الاستثمار الأمريكي في الفترة نفسها، نحو ٢٨.٢٪ من الناتج المحلي الأمريكي. وخلال الفترة من عام ١٩٩٨ حتى عام ٢٠٠٣، بلغ المتوسط السنوي لمعدل الادخار الأمريكي نحو ٢١.٤٪ من الناتج المحلي الإجمالي، في حين بلغ المتوسط السنوي لمعدل الادخار الأمريكي في الولايات المتحدة نحو ٢١.٩٪ من الناتج المحلي الإجمالي خلال الفترة نفسها (راجع جدول ٢). ولذلك حجم الأموال المطلوبة لسد العجز بسبب زيادة الادخار والاستثمار في الولايات المتحدة، يكفى أن نذكر أن هذه الفجوة قد بلغت ٣٧.٧٪ من الناتج المحلي الإجمالي الأمريكي الذي بلغ نحو ١٠٢.٧ مليار دولار في عام ٢٠٠٢، بما يعني أن قيمة العجوة بلغت نحو ٣٧.٧ مليار دولار في العام المذكور وحده.

انظر جدول رقم ٢، وطول الوقت كانت الدول والشركات والمستثمرون الأجانب يتولون سد الفجوة بين معدل الادخار المنخفض ومعدل الاستثمار الأعلى في الولايات المتحدة ليساهموا بذلك في زيادة الأصول

الدولي عام ١٩٩٤ وحتى عام ١٩٧٠. كانت الولايات المتحدة تحقق فائضاً مستمراً في ميزانها التجاري وفي ميزان الحساب الجاري. وبالتالي كانت قادرة على الوفاء بالتزامها بتحويل الدولار إلى ذهب، ولم تستخدم وضعيتها عملتها كمصلحة احتياط دولية بشكل سبيل ومنظم لإثراء على حساب العالم أو لنهب موارده. لكن في عام ١٩٧١، تعرضت الولايات المتحدة لأول مرة منذ الحرب العالمية الثانية، لعجز في ميزانها التجاري وفي ميزان الحساب الجاري. وبدلاً من أن تحاول إصلاح هذا العجز حتى تفي بمتطلبات استمرار عملتها كمصلحة احتياط دولية، فإنها أعلنت إلغاء قابلية تحويل الدولار إلى ذهب في ١٥ أغسطس ١٩٧١، وألغقت الدول العشر الكبرى المهيمنة على صندوق النقد الدولي (الولايات المتحدة، ألمانيا، اليابان، فرنسا، إيطاليا، بريطانيا، السويد، بلجيكا، كندا، هولندا)، على توسيع هامش لتدبير العملات من ٢١ إلى ٢٥٪. لكن ذلك لم يوقف تدهور الدولار مقابل الذهب، حيث بلغ في عام ١٩٧٣ نحو ١٠٠ دولار لأوقية، مما دفع البلدان الصناعية الكبرى إلى تمويل عملاتها، وبدأت مرحلة أمريكية من سوء استفاد وضع الدولار كمصلحة احتياط دولية، لتمويل جانب من العجز في ميزان الادخار والاستثمار، وفي الموازنة العامة للدولة، وفي ميزان الحساب الجاري للولايات المتحدة من خلال إصدار أوراق نقدية أمريكية وإطلاقها في أسواق العالم مقابل سلع وخدمات تحتاجها مختلف بلدان العالم، وهو الوضع المستمر حتى الآن.

وبالنسبة لتوظيف الولايات المتحدة لوضع عملتها كمصلحة احتياط دولية في سد الفجوة بين الادخار المحلي المحدود والاستثمارات المحلية الأكبر منه كثيراً، فإنه كان اقل أشكال التوظيف والقررها لتلقائية، حيث أن وجود الدولار كمصلحة مهيمنة في سلة احتياطيات العملات الحرة لدى الدول والشركات والمستثمرين في كل أنحاء العالم، يضع السوق الأمريكية في مقدمة الأسواق التي يمكن أن تفكر الدول أو الشركات أو المستثمرين من مختلف البلدان في استثمار الأموال المتاحة لديها لاستثمار خارجي، وذلك كان عملاً للاستثمار في الولايات المتحدة أعلى كثيراً من معدل الادخار لديها دون أن تضطر للاقتراض الجائر، حيث كانت الاستثمارات الأجنبية تتولى سد تلك الفجوة.

ووفقاً لبيانات صندوق النقد الدولي

## بعد أن أصبحت الولايات المتحدة

تعاين من عجز مزدوج في الميزان التجاري

وميزان الحساب الجاري، وبعد عودة العجز

الكبير في الموازنة العامة للدولة، فإنها

أضحت أكثر حاجة إلى التثبيت بوضع

الدولار كمصلحة احتياط دولية





لولايات المتحدة والدول الرأسمالية الصناعية المتقدمة والغنية الأخرى، والتي تصدر أيضا على جعل العملات الحرة لهذا الدول الكبرى هي العملات التي تسوي بها تعاملاتها الاقتصادية الدولية، مدعوة لعمل جماعي وقوي من أجل إصلاح أنظمتها الاقتصادية الداخلية المصعقة بالمصاد في الكثير من الأحيان، وإلى ساء نظم اقتصادية تتوفا في الحرة والعدالة والقدرة على مكافحة الفساد من خلال نظام ديموقراطي كامل يشجع رقابة شعبية فعالة، وذلك لحزم المستثمرين من انشائها على إبقاء أموالهم في بلدانهم، ومدعوة أيضا للعمل المندوب من أجل تغيير نظام السويات الدولية الذي يعتمد على العملات الحرة الرئيسية، وذلك من خلال توسيع نطاق استخدام العملات المحلية والإقليمية الحرة أو التي تشتمل بمعدلات تحويل ثابتة في التصادمات الخارجية على غرار ما فعلته دول شرق وجنوب شرق آسيا بعد ازمتها المالية والاقتصادية في عام ١٩٩٧، وذلك بدلا من الوضع الراهن الذي يسمح للولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الغربية بالإثراء على حساب العالم بدون أي وجه حق من خلال إصدار الأوراق نقدية، بدون أي غطاء داخلي، والحصول في مقابلها على السلع والخدمات من كل بلدان العالم، بما يحقق للولايات المتحدة والدول الكبرى ثراء هائل ينهض أساس على نهب باقي دول العالم. ■

حاجة إلى التثبوت بوضع الدولار كمعلة احتياط دولية من أجل توظيف هذا الوضع في معالجة كل أزمات المعجز في موازينها الداخلية والخارجية. وإذا كانت الولايات المتحدة قد حققت جانبها مهما من ثرائها من خلال توظيف وضع الدولار كمعلة احتياط دولية من أجل الحصول على السلع والخدمات من مختلف بلدان العالم مقابل، أوراق، نقدية أمريكية ليس لها أي غطاء إنتاجي محلي، فإن الولايات المتحدة تترك قبل أي طرف آخر أنها ليست وحدها على الساحة النقدية الدولية، حيث إن القوى الاقتصادية المهيمنة المتحضرة حاليا مثل أوروبا واليابان، والقوى الصاعدة بقوة في آسيا وعلى رأسها الصين سوف تعمل بقوة لتقليل الاعتماد على الوضع الراهن الذي يشكل صورة الاقتصاد العالي وأعلى العملات الرئيسية فيه، وخلال العقد الثاني من القرن الحالي ستبدأ المعادلة التي تحكم العلاقات التجارية بين العملات الرئيسية في التغير، لكن الدول النامية التي يتدفق منها الأمريكي على الأرجح.

الاحتياط الدولية الرئيسية، لن تستسلم لهذه التغيرات بسهولة، ولا يمكن للعالم أن ينسى المعجز الذي قام به الأمريكيون وعلى رأسهم المضارب الأكثر شهرة، جورج سورس في أسواق العملات الأوروبية في عام ١٩٩٢، عندما كانت أوروبا تنهيا لبدء السوق الموحدة وتقدم باتجاه العملة الموحدة الحقيقية وليست الحسابية وقد أدت المضاربات الأمريكية المدعومة في أسواق العملات الأوروبية إلى أكبر اضطراب لنقدية تشهده القارة الأوروبية مما أدى لاضطراب آلية أسعار الصرف الأوروبية وخروج الاسترليني والبيزيتا الإسبانية والليرة الإيطالية منها في سبتمبر عام ١٩٩٢، وقد عانت الليرة والبيزيتا إلى الية أسعار الصرف الأوروبية ودخلت في العملة الموحدة اليوم، بينما خرج الاسترليني ولم يعد حتى الآن مما أطفد العملة الأوروبية الموحدة التي أهم عملة أوروبية بعد المارك الألماني.

ميزان الحساب الجاري الأمريكي في الفترة نفسها، بلغ نحو ٣٩٤٥ مليار دولار. وهذا المعجز الهائل يعني أنه كان على الولايات المتحدة أن تحصل على قروض خارجية بنفس القيمة لسد هذا المعجز، لكنها اعتمدت على تنسيق الأموال الأجنبية إليها في ظل حقيقة أن عملتها هي عملة الاحتياط الدولية الرئيسية، كما اعتمدت أيضا على التوسع في الإصدار النقدي بالتوازي مع تزايد الناتج المحلي والتجارة الدولية، وليس بالتوازي مع تزايد الناتج الأمريكي كما هو مفترض بالنسبة للدول العادية.

خلاصة ما سبق، هي أن الاقتصاد الأمريكي استغل وضع الدولار كمعلة الاحتياط الدولية الرئيسية لتحقيق جانب مهم من نموه ومن معالجة اختلالاته الداخلية والخارجية، ومن رفع مستويات معيشة مواطنيه الذين يتمتعون بأعلى مستوى معيشي حقيقي في العالم دون وجه حق كما أوروبا، أما، وهو وضع لن يتغير إلا عندما تتراجع المكانة المهيمنة للدول الأمريكية لصالح العملات الحرة الرئيسية الأخرى مثل اليورو والين الياباني، وريما اليونان الصيني في مرحلة قادمة على ضوء الصعود الصاعد للاقتصاد الصيني الذي يتقدم بالفعل للمنافسة على عرش الاقتصاد العالمي.

لكن الولايات المتحدة التي تشتمل طويلا بميزانها كون عملتها هي عملة

جدول ٢

الأدخار والاستثمار الأجنبية بينهما في الولايات المتحدة

القيمة بالميزار دولار	الولايات المتحدة	ألمانيا	فرنسا	بريطانيا	إيطاليا	كندا	مناطق
إجمالي الأصول	١٩٩٢ ٩	٣٠٥٢ ١	٣٦٦٨ ٤	٣٦٦٨ ٤	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١
ممتلكات خارجية مباشرة	٢٠٠٤ ٩	٣٠٥٢ ١	٣٦٦٨ ٤	٣٦٦٨ ٤	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١
استثمارات الممتلكات بالأسهم	٢٠٠٤ ٩	٣٠٥٢ ١	٣٦٦٨ ٤	٣٦٦٨ ٤	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١
ذراع مصرفية وإعارة	٢٠٠٤ ٩	٣٠٥٢ ١	٣٦٦٨ ٤	٣٦٦٨ ٤	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١
الدور الإيجابية	٢٠٠٤ ٩	٣٠٥٢ ١	٣٦٦٨ ٤	٣٦٦٨ ٤	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١
ممتلكات خارجية مباشرة	٢٠٠٤ ٩	٣٠٥٢ ١	٣٦٦٨ ٤	٣٦٦٨ ٤	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١
استثمارات الممتلكات بالأسهم	٢٠٠٤ ٩	٣٠٥٢ ١	٣٦٦٨ ٤	٣٦٦٨ ٤	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١
ذراع مصرفية وإعارة	٢٠٠٤ ٩	٣٠٥٢ ١	٣٦٦٨ ٤	٣٦٦٨ ٤	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١
الدور الإيجابية	٢٠٠٤ ٩	٣٠٥٢ ١	٣٦٦٨ ٤	٣٦٦٨ ٤	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١
ممتلكات خارجية مباشرة	٢٠٠٤ ٩	٣٠٥٢ ١	٣٦٦٨ ٤	٣٦٦٨ ٤	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١
استثمارات الممتلكات بالأسهم	٢٠٠٤ ٩	٣٠٥٢ ١	٣٦٦٨ ٤	٣٦٦٨ ٤	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١
ذراع مصرفية وإعارة	٢٠٠٤ ٩	٣٠٥٢ ١	٣٦٦٨ ٤	٣٦٦٨ ٤	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١
الدور الإيجابية	٢٠٠٤ ٩	٣٠٥٢ ١	٣٦٦٨ ٤	٣٦٦٨ ٤	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١

المراجع: جمعيت وحديث من، IMF, World Economic Outlook, April 2004, p257.

جدول ١

مديونية أجنبية الدول الكبرى وهيكلتها

القيمة بالميزار دولار	الولايات المتحدة	ألمانيا	فرنسا	بريطانيا	إيطاليا	كندا	مناطق
إجمالي الأصول	١٩٩٢ ٩	٣٠٥٢ ١	٣٦٦٨ ٤	٣٦٦٨ ٤	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١
ممتلكات خارجية مباشرة	٢٠٠٤ ٩	٣٠٥٢ ١	٣٦٦٨ ٤	٣٦٦٨ ٤	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١
استثمارات الممتلكات بالأسهم	٢٠٠٤ ٩	٣٠٥٢ ١	٣٦٦٨ ٤	٣٦٦٨ ٤	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١
ذراع مصرفية وإعارة	٢٠٠٤ ٩	٣٠٥٢ ١	٣٦٦٨ ٤	٣٦٦٨ ٤	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١
الدور الإيجابية	٢٠٠٤ ٩	٣٠٥٢ ١	٣٦٦٨ ٤	٣٦٦٨ ٤	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١
ممتلكات خارجية مباشرة	٢٠٠٤ ٩	٣٠٥٢ ١	٣٦٦٨ ٤	٣٦٦٨ ٤	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١
استثمارات الممتلكات بالأسهم	٢٠٠٤ ٩	٣٠٥٢ ١	٣٦٦٨ ٤	٣٦٦٨ ٤	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١
ذراع مصرفية وإعارة	٢٠٠٤ ٩	٣٠٥٢ ١	٣٦٦٨ ٤	٣٦٦٨ ٤	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١
الدور الإيجابية	٢٠٠٤ ٩	٣٠٥٢ ١	٣٦٦٨ ٤	٣٦٦٨ ٤	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١
ممتلكات خارجية مباشرة	٢٠٠٤ ٩	٣٠٥٢ ١	٣٦٦٨ ٤	٣٦٦٨ ٤	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١
استثمارات الممتلكات بالأسهم	٢٠٠٤ ٩	٣٠٥٢ ١	٣٦٦٨ ٤	٣٦٦٨ ٤	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١
ذراع مصرفية وإعارة	٢٠٠٤ ٩	٣٠٥٢ ١	٣٦٦٨ ٤	٣٦٦٨ ٤	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١
الدور الإيجابية	٢٠٠٤ ٩	٣٠٥٢ ١	٣٦٦٨ ٤	٣٦٦٨ ٤	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١	٣٠٥٢ ١

المراجع: جمعيت وحديث من، IMF, International Financial Statistics Yearbook 2003, p. 211, 287, 296, 307, 356, 363, 598, & 601



معتز خورشید

♦ الاختلاف في حجم الجامعات  
والأساسات التعليمية فيما يخص أعداد  
الطلاب والأساتذة والإمكانات المادية،  
والتباين في الهيكل الأكاديمي  
للتخصصات العلمية ومستويات  
الدراسة.

❖ تزايد عدد الطلاب المتسجلين إلى الجامعات والذي يسعون للحصول على دراسات متخصصة لا تؤدي بالضرورة إلى الحصول على درجة علمية، كما تشير المؤشرات التعليمية إلى تزايد عدد الطلاب الذين يتوجهون إلى الدراسة بعد الحصول على بعض الخبرات العملية والمهنية (من خلال مراكز التعليم المفتوح)، وهو ما ساهم في تنوع الهيكل العمرى لطالب التعليم العالى والدراسات العليا.

• تنوع مصادر التمويل من خلال البحث في إيجاد أساليب غير تقليدية للإعانة على متطلبات الدراسة، والاحتياجات لمعظم التعليم العالي، ويتم ذلك في الجامعات المصرية، على سبيل المثال - من خلال البرامج السكنية المشتركة، وإنشاء وحدات ذات طابع خاص لتقديم خدمات تعليمية وبحوثية، ولقطاعات المجتمع المدني بمقابل مادي، والحصول على الدعم المالي من قطاع الأعمال الخاص.

وما لا شك فيه، أن التغييرات السابقة في نظم التعليم العالي وإبائهما ستستلطلب من الدول النامية تبني تدابير لتعليمية متطورة، وعلى درجة عالية من الشفافية والكفاءة، وعلى قدر التوافق مع المتغيرات العالمية، ويرجع أن هذه التغييرات -بحسب العادة- تؤول لتبني الأنظمة التعليمية، كمنهجية أساسية لتوفير التعليم الدول فرصاً متساوية لتطوير نظمها التعليمية، إلا أن هذا يتضمن -من ناحية أخرى- العديد من التحديات والمخاطر التي يتعين على الدول النامية مجابهتها، ويمكن تلخيص أبرز المخاطر أو القضايا المنبثقة من المناخ العالمي، فيما يلي:

١. تؤدي ثورة الاتصالات والعلوم إلى سهولة وسرعة الحصول على البيانات والمعلومات بما يسهم في دعم البحوث العلمية والارتقاء بمستويات الأداء على كافة المستويات.

٢. تسهم عملية تدويل أسواق العمل بسهولة الحصول على الخبرات والمهارات الفنية ليس فقط على المستوى الوطني، ولكن أيضا عبر الحدود والدول.

٣. تساهم التغييرات النظامية الاجتماعية والتوجه نحو نماذج أكثر

العدد الثامن والعشرون - ٢٠٠٦ هـ

[illegible]

قبل أربعة أشهر ناقشت «وجهات نظر» موضوع التعليم الجامعي في مقال للتدكتور صبري حافظ لفت أنباء الكثيرين، وفي العدد الماضي كتب الدكتور نبيل على عن الشكل الجديد لاستمراثة العقول العربية. وهنا دراسة ذات صلة بالمقالين تتناول معطيات الوضع الراهن لقطاع التعليم العالي، واتجاهات التغيير المتوقعة خلال الربع الأول من الألفية الثالثة، ثم تناقش شيء من التفاصيل التوجه الحالي لتحسين تجارة الخدمات التعليمية من خلال اتفاقيات الجات، وتعرض في النهاية لأزمة التعليم العالي في الدول النامية واستراتيجيات التطوير المقترحة.

المقاحة بفعل تراجع قدرة القطاع العام  
على تمويل الاستثمارات اللازمة لتحقيق  
التفلية النوعية المطلوبة في التعليم  
(الحالي، صمما قد يفنى - بشكل عام -  
التوجه إلى التعامل مع مؤسسات  
التعليم العالي كوحيدات تجارية،  
اعتبار خدمة التعليم كعمل أساسي  
تخضع لآليات وقواعد عمل الأسواق  
التجارية - Commercialization or  
Commodification of higher  
education).

♦ نتمنى التوجه نحو العلوم البينية (interdisciplinary) والتطبيقات العلمية متعددة التخصصات، والتزاوج بين المجالات البحثية، وظهور العديد من العلوم المستقبيلة، مما ساهم في التنوع غير المسبوق في الكفاءات والشهادات العلمية، وتعاضم الطلب على آليات متطورة وحديثة للاعتماد الأكاديمي وتوكيد الجودة.

التعليمية، مثل الشركات الخاصة في مجال التعليم. والمؤسسات متعددة الجنسيات التي تقدم فرص التعليم العالي عبر الحدود.

♦ ظهور أشكال وتقنيات جديدة متطورة لتقديم الخدمات التعليمية والتدريبية، مثل التعليم الإلكتروني، والتعلم من بعد، والمعامل الافتراضية

♦ تزايد الحراك الأكاديمي للطلاب والأساتذة، والبرامج التعليمية عبر الحدود، مما ساهم في خلق مناخ تنافسي أكثر انفتاحاً على المستوى العالمي وحديث

تغيرات هيكلية في أسواق العمل وأساليب البحث العلمي

• تنامي الحاجة إلى وجود أنماط وبرامج للتعليم المستمر، مثل التعليم المفتوح، وتعليم الكبار، والتعليم مدى الحياة.

♦ تزايد الضغوط على مؤسسات التعليم العالي لتنوع مصادر التمويل



# ((البحاث)).. ومستقبل التعليم العالي



العالي، الذي عُدَّ بمنظمة اليونسكو في عام ١٩٩٨، أن كفاءة وجودة نظم التعليم تعتمد على نجاح مؤسسات التعليم العالي في إضافة البعد الدولي إلى أنشطتها من خلال ما يلي:

• التبادل العلمي والمعرفي عبر الدول.

• إنشاء الاتحادات دولية وإقليمية لزيادة الارتباط بين مؤسسات التعليم العالي والجامعات عبر الحدود.

• حركة الأساتذة والطلاب عبر

الدول.

• دعم البحوث المشتركة على المستوى الدولي.

• التوسع في الشبكات الرقمية (أو الإلكترونية) التي تربط الأنشطة التعليمية والبحثية للجامعات على المستوى الدولي

ومن هنا، أصبح «البعد الدولي للجامعات» أو قدرة مؤسسات التعليم العالي على تدويل أنشطتها، يمثل معياراً أساسياً لجودة نظم التعليم العالي.

كما ركز المؤتمر الدولي لليونسكو في يونيو ٢٠٠٢، على التحات لتطوير التعليم العالي منذ عام ١٩٩٨ فيما يخص التوجه نحو التدويل، حيث حدد أن تدويل التعليم العالي يعني أساساً إضفاء البعد الدولي - أو بعد متعدد الثقافات - على كافة النواحي التعليمية والبحثية بالجامعات. كما أكد المؤتمر على أن عملية التدويل لا تعني فقط التوسع الجغرافي للنشاط الجامعي، ولكن أيضاً التحول الداخلي في مؤسسات التعليم العالي للتفاعل مع توجهات التدويل.

ومن هنا، فإنه يتعين على الجامعات صياغة توجه استراتيجي نحو التدويل ينبع من أهداف محددة، ويتضمن وسائل تحقيقه، ونظم متابعة تقدمه

ويتعين التأكيدي في هذا المجال، أن تنوع نظم وبرامج التعليم العالي يمثل توجهاً مرغوباً يجب تشجيعه، شريطة ألا يؤثر هذا التوجه على جودة أداء المؤسسات التعليمية، وحق التقدم للدراسة من معظم فرائح السكان، والأعداد التنموية لمؤسسات التعليم العالي، ودرجة استقلالية الجامعات في اتخاذ القرار.

## التدويل،

ساهمت التغيرات الحديثة في المناخ العالمي، من تنامي مجتمع العلم والعرف، ووفرة المعلومات، والاتصال وتطويع طاهرة المولة - في دعم التوجه نحو تدويل التعليم العالي وإعادة النظر في العلاقات التعليمية الدولية للجامعات.

حيث أكد المؤتمر الدولي للتعليم

التربوي، والمعهد القومي لعلوم الليزر، والمعهد القومي للأورام.

• الأكاديميات العليا المتخصصة مثل أكاديمية السادات للعلوم الإدارية، والأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا.

• الكليات العسكرية التي تمنح درجات عليا مثل أكاديمية ناصر، والكلية الفنية العسكرية.

• انماط أكاديمية أخرى مثل جامعة الأزهر، وجامعة سنجرور بالإسكندرية، والمعاهد الفنية التابعة لأكاديمية الفنون.

كما انعكست التطورات التكنولوجية الحديثة في مجال المعلومات والاتصالات - في ظهور أنماط تعليمية جديدة - ساهمت بدورها في تنوع نظم التعليم العالي - مثل الجامعة المفتوحة (مركز التعليم المفتوح بجامعة القاهرة والجامعة العربية المفتوحة) والدرجات الجامعية المشتركة (بين الجامعات المصرية والأجنبية).

ديمقراطية وشفافية إلى خلق مناخ أكثر ملائمة لدعم جهود الإصلاح الوطني. كما يمكن حصر المخاطر المتوقعة من الانتقال إلى مجتمع العولمة في النقاط التالية:

١. عدم ضمان مستوى جودة الخدمات التعليمية المقدمة من المؤسسات الخاصة، الهادفة إلى الربح - والمنظمات الأهلية، وعدم التأكد من شفافية وعدالة قواعد الالتحاق، من الممكن أن يؤدي إلى إزواجية في نظم التعليم العالي فيما يخص جودة العملية التعليمية، والإمكانات المتاحة للطلاب والدارسين.

٢. توقع تزايد الاستنزاف الطبيعى والاقتصادي لعقول وكفاءات الدول النامية، وذويا الخصائص الثقافية المميزة لهذه الدول بدوى ضرورة تناغم وتجانس الثقافات في مجتمع العولمة

٣. احتمال حدوث نمو غير متزن بين التخصصات العلمية المطلوبة بإحاح في سوق العمل، مثل إدارة الأعمال وتكنولوجيا المعلومات من جهة، وبرامج العلوم الأساسية من جهة أخرى، مما قد يؤدي إلى حدوث اختلال في تركيبة التخصصات العلمية بعرض قوة العمل.

٤. تناقص دور الدولة في وضع الأهداف والسياسات الوطنية الأكثر ملائمة لطبيعة سوق العمل الوطنى، ومتطلبات الحفاظ على الهوية الثقافية وتوجهات تطوير نظم التعليم العالي.

## فى مصر..

وتظهر بيانات نظام التعليم العالي بمصر، خلال حقبة التسعينيات وبداية الألفية الثالثة، توجه غير مسبوق نحو التنوع في الهياكل التنظيمية والنظم الأكاديمية، ويمكن حصر هذا التنوع في الأنماط الأكاديمية التالية:

١. الجامعات الحكومية التي تخضع لقانون تنظيم الجامعات.

٢. الجامعات الخاصة المصرية ومعاهد التعليم العالي الأهلية والخاصة التي تمنح درجات جامعية.

٣. الجامعات الأجنبية والمشاركة مثل الجامعات الألمانية والفرنسية والكندية والأمريكية.

٤. معاهد الدراسات العليا المتخصصة التابعة للجامعات الحكومية مثل معهد الدراسات والبحوث الإحصائية، ومعهد البحوث والدراسات الإفريقية، ومعهد الدراسات والبحوث

## تشير إحصائيات التعليم العالي، التي أعدتها منظمة

اليونسكو - إلى تنامي عدد الطلاب المسجلين في مرحلة التعليم العالي على المستوى العالمى من (٦٥) مليون طالب في عام ١٩٩١ إلى (٧٩) مليون طالب في عام ٢٠٠٠، ومن المتوقع أن يرتفع هذا العدد ليصل إلى (٩٧) مليون طالب في عام ٢٠١٥، وما يقارب (١٠٠) مليون طالب في عام ٢٠٢٥. ويتضمن مع مؤشرات التعليم العالي بمصر، أن أعداد الطلاب المقيدين بالجامعة قد ارتفع من (٥٢٠) ألف طالب في عام ١٩٩٤/٩٣ إلى نحو (٢٤٠٠) ألف طالب في عام ٢٠٠٢/٢٠٠١، وبما يعادل معدل نمو كلى يصل إلى (١٣٩)٪، ومعدل نمو متوسط يقدر بنحو (١٥)٪ سنوياً. كما تشير تقديرات المجلس الأعلى للجامعات إلى زيادة أعداد الطلاب المقيدين بمرحلة الدراسات العليا من (١٠٠) ألف طالب في عام ١٩٩٤/٩٣ إلى ما يقارب (١٥٨) ألف طالب في عام ٢٠٠٢/٢٠٠١، بمعدل نمو يصل إلى (٢٦,٦)٪ سنوياً في المتوسط خلال نفس الفترة.

## التجارة،

كان من الطبيعى - في ظل تدويل أسواق الاقتصاد والمال واتساع نطاق التجارة الدولية من خلال اتفاقيات تحرير انتقال السلع والخدمات عبر الحدود الجغرافية للدول والأقاليم - أن تمتد هذه الاتفاقيات لتشمل قطاع التعليم العالي من خلال الاتفاقيات العامة للتجارة في الخدمات، وباختصار اتفاقية الجاتس (General Agreement on Trades in Services - GATS) ويتصل الجاتس أول وجهات نظر



اتفاقية لتحرير التجارة تركز على قطاع الخدمات (النقل - التخزين - الخدمات المالية - الصحة - التعليم - ..... (الخ). وهي تدار من خلال منظمة التجارة الدولية (World Trade Organization - WTO) التي تضم نحو ١٤٤ دولة. وتهدف الجاتس إلى تحقيق الانتقال التدريجي والمنطع لتحرير التجارة في الخدمات من خلال إلغاء العديد من القيود والعوائق المحددة للتوسع في انفتاح الخدمات عبر الحدود.

ويرغم أن الطلب على التعليم العالي يشهد نموًا ثابتًا، وتزايداً في الحركة الأكاديمية للطلاب والأساتذة منذ حقبة الثمانينيات، إلا أن الألفية الثالثة تشهد إضافة هامة نحو عولة التعليم العالي تتمثل في انتقال البرامج الأكاديمية والمؤسسات التعليمية عبر الحدود. يضاف إلى ما سبق أن القطاع الاقتصادي والعائد التجاري أصبح يحكم - بشكل كبير - عرض الخدمات التعليمية على المستوى العالمي، ويحدث أضيق دافع التجارة والربحية حقيقة واقعة على مستوى الجامعات والمعاهد الخاصة، وفي بعض الأحيان على مستوى مؤسسات التعليم الحكومي.

وفي ظل الطبيعة الخاصة للتعليم، التعليم العالي، انقسم التعليم إلى دورين حول المزايا الناتجة عن الأخذ بالتقنية الجاتس، والمخاطر المترتبة على تعليمها. إذ تركز الاعتراضات على التأثيرات السلبية الناتجة عن تراجع الدور الحكومي في وضع استراتيجيات التطوير الوطنية، واختلال مفهوم التعليم العالي كسلعة عامة يتعين عدم خصومها لقواعد وآليات السوق، وعدم ضمان الجودة الجيدة المطلوبة في أداء برامج التعليم العالي. أما المناهضون عن تطبيق اتفاقية الجاتس فيركزون على التأثير الموجب لتحرير التجارة في الخدمات في تطوير وتحديث العملية التعليمية والبحثية، وزيادة أعداد المسجلين بنظام التعليم العالي، ذلك بالإضافة إلى النمو المتوقع في العائد الاقتصادي والمالي يعمل نتي هذا الاتفاقية.

ويجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن هناك فرقاً بين مفهوم تدويل التعليم العالي وسياسة تحرير أو عولة خدمات التعليم (من خلال الجاتس). إذ يركز التدويل - على إضافة البعد الدولي إلى الأنشطة التعليمية والبحثية والإدارية بالجامعات، وبالتالي فإن تدويل التعليم العالي يرتبط أساساً بالقيمة الأكاديمية للأنشطة الدولية، وليس بالعائد

الاقتصادي للتدويل. ومن هنا ظهر حديثاً مسمى «التدويل غير الهادف إلى الربح» للتمييز بين التدويل وبين مفهوم التناحيز في خدمات التعليم. وتأسيساً على ما سبق، فإنه يتعين النظر إلى عولة الخدمات التعليمية كمجموعة من القواعد والسياسات التي تسعى إلى إلغاء القيود على حرية حركة الخدمات بين الدول وعبر الحدود الجغرافية.

وسنركز في العرض الحالي على جانبين رئيسيين لاتفاقية الجاتس من حيث تأثيراتها على التعليم العالي، يختص الجانب الأول بالمفاهيم والقواعد الحاكمة لعمل هذه الاتفاقية، ومضى القدرة على تطبيق عناصرها من كل من الدول المقدمة والتنمية. في حين يسعى الجزء الثاني إلى مناقشة متطلبات تحرير تجارة خدمات التعليم العالي.

### تصنيف التجارة في الخدمات:

يمكن حصر أربع فئات رئيسية للتجارة في الخدمات عبر الحدود (أو بين الدول) من خلال اتفاقية الجاتس:

١. عرض الخدمات عبر الحدود (Cross-Border Supply). بما يعني تقديم خدمة عبر الحدود دون الحاجة إلى انتقال مستهلك هذه الخدمة من مقره أو مكان تواجده. وتتمثل هذه النوعية من خدمات التعليم العالي في التعليم من بعد، والتعليم الإلكتروني باستخدام شبكة الإنترنت، والجامعات الافتراضية التي تعتمد على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. ويُميز هذا الأسلوب التجاري في الخدمات من الحظر الواسعة مستقبلاً في ظل التطورات التكنولوجية في مجال الحاسب والمعلومات وتقنية الاتصالات. ولكن يظل سوق هذه الخدمات التعليمية محدوداً. في الوقت الراهن - على مستوى الدول النامية.

٢. استهلاك الخدمة عبر الحدود (Consumption Abroad).

بما يعني انتقال مستهلك خدمة التعليم العالي (أو الطلاب) إلى الدولة المقدمة للخدمة. وتتمثل هذه النوعية في انتقال الطلاب إلى دولة أخرى لاستكمال الدراسة بها. وتحتل هذه النوعية من تجارة الخدمات التعليمية النسب الأكبر من السوق العالمي للتعليم العالي.

٣. التواجد التجاري (Commercial Presence).

بمعنى انتقال المؤسسة التعليمية المنتجة للخدمة - أو أحد فروعها - من دولة إلى أخرى لتقديم خدمة التعليم العالي عبر الحدود وبشكل مباشر. وتأخذ هذه النوعية من تجارة الخدمات التعليمية أشكالاً متعددة مثل إنشاء فرع محلي (Local Branch) لجامعة أجنبية بإحدى الدول، أو بناء حرم جامعي لإحدى المؤسسات التعليمية بسالفسلخ (Satellite Campus)، أو الحصول على ترخيص يسمح للمنتج المحلي بتصدير خدمات تعليمية لجامعات أجنبية (Franchising Arrangement). وتتمثل هذه النوعية من تجارة التعليم في المستقبل مرغوباً ينتظر تزايد في المستقبل القريب، ولكنه يتطلب - بالضرورة - صياغة قوانين دولية شفافه تنظم حركة الاستثمارات الخارجية والقدرة على تخصيصها في المجالات التعليمية، فضلاً عن ضرورة وجود قناة لدى السلطات الوطنية لقبول إنشاء كيانات أجنبية على أرضها.

٤. انتقال الأفراد لتقديم الخدمة عبر الحدود (Presence of Natural Persons).

وهو ما يعني انتقال أساتذة الجامعة أو مدرسو أو الباحث العلمي بشكل مؤقت إلى دولة أخرى لتقديم خدمات التعليم العالي. وهو نمط تعليمي منتشر بشكل كبير - على مستوى كل من الدول

الصناعية والدول النامية، على حد سواء.

ويصفر النظر عن الأساليب المتبعة في تجارة خدمات التعليم العالي عبر الحدود. فإن اتفاقية الجاتس تفرض عدداً من الالتزامات والقيود التي يتعين على الدول الموقعة على الاتفاقية الالتزام بها. ويمكن تقسيم هذه الالتزامات إلى قواعد عامة تطبق على معظم الدول الموقعة على الاتفاقية، وقواعد تتحدد من خلال نتائج المفاوضات بين كل دولة على حدة، والمنظمة العالمية للتجارة (WTO) ستخضع لاتفاقية الجاتس ودور الحكومات ومؤسسات التعليم العالي الوطنية في هذا المجال.

وتشير وثائق منظمة التجارة العالمية إلى أن الالتزامات العامة لاتفاقية الجاتس تتضمن ضرورة التعامل بشكل متساو مع كل الشركاء التجاريين دون تفرقة بين دولة وأخرى من حيث الفرص المتاحة لتحقيق المصالحات المرجوة للبلاد التجارية. فقبول أحد الدول بإنشاء جامعة أجنبية على أرضها، يرتبط عليه إعطاء نفس الحق لكل الدول الأعضاء بمنظمة التجارة العالمية والموقعين على اتفاقية الجاتس بإنشاء مؤسسات تعليمية بتلك الدولة، كذلك يتطلب الأمر الشفافية في انتقال المعلومات بين الدول ووجود آليات واضحة لفرض المنافذ بين الدول في حالة نشوئها.

أما الالتزامات الخاصة - التي نشأ عن نتائج المفاوضات الثنائية بين إحدى الدول ومنظمة التجارة الدولية، فتتحدد بمبادئ رئيسيين على النحو التالي:

١. الحامية الوطنية (National Treatment): وهي تعني تحصيل إعطائه نفس الحقوق لكل من مؤسسات التعليم الوطنية ومثيلاتها الأجنبية بالسوق الوطني لخدمات التعليم. أي أن سماح الدولة (١) بالدولة (ب) بتقديم خدمات التعليم العالي في أراضيها يقتضي عدم التفرقة بين مقدم الخدمة من الدولة الأجنبية (ب) وبين مؤسسات التعليم المحلية بالدولة (أ) من حيث الحقوق والواجبات.

٢. مدخل السوق (Market Access). وهو يمثل مستويات سماح السلطات الوطنية بإحدى الدول لدولة أخرى بدخول سوقها في أحد القطاعات الخدمية. وقد حددت اتفاقية الجاتس - في هذا المجال - نحو ستة قيود يمكن للدولة المستفيدة أن تضعها لتتخطى

## هناك فرق بين مفهوم تدويل التعليم العالي، وسياسة تحرير أو عولة خدمات التعليم (من خلال الجاتس)





## أزمة الدول النامية

يُجمع خبراء التعليم العالي، في العديد من دول العالم، أن نظم التعليم مازالت تعتمد بشكل أساسي على القطاع الحكومي، وأن التكلفة العملية للطلاب بمرحلة التعليم العالي تُعتبر مرتفعة مقارنةً بباقي مراحل التعليم. وفي عصر يتسم بتنامي القيود المالية وعجز الموازنة العامة، فإن كل من الدول النامية والصناعية، على حد سواء، تواجه تحدياً أساسياً المتمثل في كيفية الحفاظ على، أو تحسين مستويات أداء التعليم العالي، في ظل تناقص نصيب الطالب من الحقيقي من الإنفاق على خدمات التعليم.

على مستوى الدول النامية، مثلت معدلات التسجيل بالتعليم العالي أعلى المعدلات بالمقارنة بمرحلة التعليم الأخرى خلال العشرين سنة الماضية، حيث حققت الدول منخفضة ومتوسطة الدخل معدلات نمو في عدد المسجلين بمرحلة التعليم العالي تُقدر بنحو (٢٠,٦٪) سنوياً، في حين وصلت معدلات النمو للدول ذات الدخل المتوسط المرتفع إلى (٣٠,٧٪) سنوياً. وقد صاحب هذا النمو مستويات مرتفعة من الدعم الحكومي، وفي غالب الأحيان معدلات مرتفعة للتعليم بالقطاع الحكومي، برغم تشبع هذا القطاع بالعمالة، وتدنّي مستويات الأجور به.

وبرغم وجود بعض الصعوبات الاستثنائية، فقد تراجعت معدلات الأداء التدريسي والبحثي في مؤسسات التعليم الحكومي بالدول النامية، فالعديد من نظم التعليم العالي الحكومي تعمل في ظل إمكانات مادية محدودة، وغيبة تدريسية غير ملائمة، ومكتبات فقيرة في عدد الكتب والوثائق، وأجهزة ومعامل وأدوات تدريبية غير كافية. وفي العديد من الدول النامية، الجهد كفاءة الأداء الداخلي بالجامعات إلى الانخفاض، واستمرت الزيادة في معدلات البطالة بين الخريجين، وأخيراً فقد اتسعت الفجوات في معدلات التسجيل وتخصيص الموارد التعليمية بحسب المستوى الاجتماعي والاقتصادي للطلاب.

ونشير بياتات البنك الدولي إلى أن قِراج الجوع المالية العامة مع الزيادة الموهولة التي

جهودهم الوطنية للارتقاء بنظم وبرايمع التعليم العالي، مع توضيح المزايا والمخاطر المترتبة على تحرير خدمات التعليم العالي بدرجة مفصلة من الشفافية، وتفتح فضائيا الجودة والاعتماد في قلب هذه المناظرة. حيث تشمل الأطر التنظيمية للتخصيص والاعتماد والاعتراف بالكفاءات وتوكيد الحدود درجة مرتفعة من الأهمية لكل من الدول النامية والمتقدمة، حيث أظهرت الدول النامية قلقها من إمكانية توفير الأطر الملائمة للجودة والاعتماد في ظل التوجه القوي نحو تحرير التجارة وتعاظم تقديم الخدمات التعليمية عبر الحدود من ناحية أخرى، تعبيراً ثقافياً الجائس أحد العوامل أو الأدوات التي تشجع الحراك المهني، وبرغم تركيز الانفتاحية على الانتقال المثلث لقوة العمل، فإنها من الممكن أن تؤدي إلى الهجرة الداخلية للكفاءات المهنية والأكاديمية من الجنوب إلى الشمال، ومن هنا فإن الآثار المترتبة على انتقال الأساتذة والباحثين عبر الحدود تمثل أحد مجالات اهتمام الدول النامية، وبموجبة الحال، سيكون من الصعب على الدول النامية تحقيق معدلات الارتقاء المطلوبة في نظم التعليم العالي بها. في ظل اجتذاب الكفاءات والكوادر الفنية والأكاديمية المؤهلة للعمل بدول أخرى، وتخلص مما سبق، أن الدول النامية ترى أن هناك العديد من الصعوبات التي تعوق توافرها وقدرتها على التفاعل مع النظام العالمي لتحرير التجارة، ومن هنا يعتقد العديد من المهتمين بالقضايا التعليمية بالدول النامية أن تطبيق قواعد اتفاقية الجاتس من المتوقع أن تؤدي إلى زيادة تدني مستويات الجودة بالدول المقبرة أكثر من تقليل العجوة العلمية والمعرفية والاقتصادية بين الدول النامية والدول المتقدمة.

للمنطق الحاكم للمفاوضات مع اليابان، فإنها أشارت إلى أهمية توكيد الجودة ونظم الاعتماد لحماية مستهلكي الخدمات التعليمية وتحسين جودة التعليم العالي والبحث العلمي، وتفيد هذه التجارب أنه برغم أهمية البعد الاقتصادي في اتفاقيات الجاتس إلا أن البعدين الاجتماعي والأكاديمي، مثلاً أيضاً فضائيا أساسية في إطار مفاوضات تحرير خدمات التعليم العالي. الحاجة إلى مزيد من التحليل، إذ يتضح من سير المفاوضات أن هناك حاجة متزايدة إلى تحليل العوامل المؤثرة على التزام (أو عدم التزام) الدول باتفاقيات تحرير التجارة في الخدمات. ويبدو ذلك بالدرجة الأولى إلى تباين مستويات طموح الدول فيما يخص الدور المتوقع للجائس في تحقيق الأهداف القومية لنظم التعليم العالي، وهنا طفت على سطح المفاوضات مفاهيم متباينة، فالبيض يفرض «المنطق الداعم» لستهلك الخدمة التعليمية، يمدى الحاجة إلى التوسع في الفرص المتاحة للحصول على الخدمة التعليمية، في حين يتحذر آخرون إلى ربط هذا المنطق بصمان عدالة الحصول على الخدمة ومدى كفاءة تقديمها للطلاب، ويمكن فهم «المنطق الاقتصادي، كوسيلة أو أداة لجذب الاستثمارات في مجال التعليم، في حين يرى فريق آخر أن هذا المنطق الاقتصادي من الممكن أن يدمر أهداف التنمية الاجتماعية في خلال التعليم، وفي بعض الأحيان العائد العلمي والمعرفي للخدمة التعليمية، ومن هنا تظهر مستويات للاختلاف بين المهتمين بالقضايا التعليمية من حيث تفسيرهم لانعكاسات اتفاقية الجاتس في مجال التعليم، وهو الأمر الذي يتطلب المزيد من الدراسة والتحليل.

٤. اهتمام الدول النامية: حيث يعمين التعرف على وجهة نظر الدول النامية وعدم التقليل من

دخول مؤسسات التعليم الأجنبية في سوق التعليم الوطني. وتوضع مؤشرات التجارة الدولية، أن قطاع التعليم هو أقل القطاعات تطبيقاً لاتفاقية الجاتس، ويبدو ذلك في كثير من الأحيان، إلى صعوبة الموازنة بين قواعد تحرير تجارة خدمات التعليم واستراتيجيات التعليم الوطنية، إذ تتعبد صعوبة التحرير الاقتصادي من الطبيعة الخاصة للخدمة التعليمية وما تتضمنه من أبعاد ثقافية واجتماعية، وتضخيم الإحصاءات التعليمية (٤٤ دولة) فقط - من إجمالي (١٤٤ دولة) أعضاء في منظمة التجارة العالمية (WTO)، قد وافقت على تطبيق اتفاقية الجاتس على خدمات التعليم العالي حتى عام ٢٠٠١. ويمكن حصر القضايا التي تتطلب مزيداً من الدراسة والتحليل، فيما يخص تحرير التجارة في خدمات التعليم العالي، في النقاط التالية:

١. دور الحكومات الوطنية: حيث تضيد الاتفاقيات الجاتس أن الخدمات التي تتم في إطار ممارسة الحكومة لسلطانها يمكن إعفاؤها من التزامات الجاتس، وهو أمر يشوبه الغموض ويحتاج إلى تفسير في ظل تزايد درجة تعقيد الدور الحكومي في قطاع التعليم، حيث تتكون نظم التعليم العالي بالدول النامية، في غالب الأحيان - من جامعات حكومية تتمتع باستقلالية الإدارة، في إطار خطة استراتيجية تقوم بصياغتها الحكومة المركزية، وعدد من مؤسسات التعليم العالي الخاصة التي تعمل من خلال مجموعة من القواعد التنظيمية التي تصدر من وزارات التعليم العالي.

٢. منطق ومروية التطبيق: حيث تشير نتائج المفاوضات الخاصة باتفاقيات الجاتس إلى وجود تباين بين الدول فيما يخص المنطق الاقتصادي والأكاديمي لتحرير تجارة الخدمات التعليمية، إذ تسعى إسرائيل، على سبيل المثال، إلى تعظيم الحراك الأكاديمي للطلاب عبر الدول والفترات في حين تهتم نيوزيلاند بالمرزايا الاقتصادية والاجتماعية التي تعود من تطبيق اتفاقية الجاتس، وتتحدد اهتمامات الولايات المتحدة الأمريكية برادة القدرة المعرفية والارتقاء بكفاءة عنصر العمل وتركز، في نفس الوقت، على انعكاسات الجاتس على بناء نظم الاقتصاد المعرفي وتحسين مناخ المنافسة، وبرغم عدم التحديد الصريح

## قبول دولة بإنشاء جامعة أجنبية يعطى الحق لكل الدول الأعضاء بمنظمة التجارة بإنشاء مؤسسات تعليمية بتلك الدولة



## كتاب الزاوية



أهوه اللي صار

محمد يونس القاضي

أهوه اللي صار وأدى اللي كان  
تلوم عليه إزاي يا سيدنا  
قولى عن أشياء تفيدنا  
بدال ما يشعت فينا حاسد  
وأحنا نبقى الكل واحد  
مصر يا أم العجايب  
خللى بالك م الحيايب

قسرش المصرى

إمتى بقى نشوف قرش المصرى  
الله لو كانوا الأغنياء  
والنبى تو ما عقدوا النية  
وتعيش مصر فى عيشة هنية

يا ولد عمى

مش بزيادانا بقينا عرة  
شوف الخواجا قلع علينا  
وآخر النمة فلس علينا

معدلات نمو المسجلين في مرحلة  
التعليم العالي، قد ساهم في تناقص  
نصيب الطالب من الإنفاق بالأسعار  
الثابتة (أي بعد استبعاد أثر التضخم في  
الأسعار). وقد ظهر هذا التناقص بشكل  
أكثر وضوحاً في كل من قارة أفريقيا،  
ومنطقة الشرق الأوسط. حيث انخفض  
متوسط نصيب الطالب من الإنفاق  
الحكومي في منطقة الشرق الأوسط  
وشمال أفريقيا، خلال حقبة التسعينيات  
من (٢٠٠٣) دولار إلى نحو (١٩٠٠) دولار  
سنوياً. وقد أدى هذا الوضع إلى تراجع  
مستويات جودة العملية التعليمية  
والبحثية في العديد من جامعات الدول  
النامية.

وقد انعكس تراجع الأداء أساساً على  
مؤشرات أعضاء هيئة التدريس من  
ناحية، وتدهور البنية التحتية  
للخدمات التعليمية، من ناحية أخرى.  
إذ تؤكد إحصاءات التعليم العالي أن  
مرتبات أساتذة الجامعة قد انخفضت  
بالأسعار الثابتة، مما نتج عنه عدم قدرة  
مؤسسات التعليم العالي العامة على  
المحافظة على الكفاءات الأكاديمية التي  
مدت نتجه إلى وظائف أخرى تتميز  
بارتفاع معدل الأجور. يضاف إلى ما  
سبق، أن أساتذة الجامعة أصبحوا  
يكرسون جزءاً غير قليل من وقتهم  
للأعمال الخارجية بهدف الحصول على  
دخول إضافية.

كما انخفض من الدراسات، التي قام  
بها كل من البنك الدولي ومنظمة  
اليونسكو، أن زيادة عدد الطلاب بمرحلة  
التعليم العالي، وانخفاض الموارد المالية  
الحقيقية، قد نتج عنه تقادم البنية  
التي تحتية لمؤسسات التعليم العالي  
الحكومية (الأبنية التعليمية والأجهزة  
والمعدات والمعامل..... إلخ). وازدحام  
هذه المؤسسات بأعداد متزايدة من  
الطلبة. وقد أدى ذلك الوضع إلى توجه  
الإدارة العليا بالجامعات الحكومية إلى  
تخصيص معظم الموارد المالية لدعم  
المتطلبات الحالية وتخفيض الإنفاق  
على الصيانة والإحلال. وأصبح تقادم  
البنية التعليمية من قاعات محاضرات  
ومعامل ومكتبات يمثل ظاهرة عامة  
على مستوى معظم الدول النامية.  
والى جانب انخفاض مستويات  
الأداء الداخلي بمؤسسات التعليم

العالي، فقد ظهر عدد من المشاكل  
ترتبط بالكفاءة الخارجية لنظم  
التعليم العالي من حيث صلاقتها  
بالمجتمع. حيث أظهرت المؤشرات  
الإحصائية ارتفاع معدلات البطالة بين  
الخريجين منذ حقبة الثمانينيات  
وحتى الآن. ويمكن تفسير هذه الظاهرة  
إما بتناقص الطلب على الكفاءات  
والتخصصات العلمية التي تخرج من  
الجامعة، أو بعدم قدرة الجامعات على  
توفير نوعية الخريج المطلوبة في سوق  
العمل من حيث المستويات المعرفية،  
والقدرة البحثية، وإمكانية التعامل مع  
تقنيات العصر الحديث، وتشير  
الإحصاءات الرسمية بمصر إلى زيادة  
معدلات البطالة بين خريجي الجامعات  
من (٨٠,٩٪) في المتوسط خلال فترة  
التسعينيات إلى نحو (٩١٪) في بداية  
حقبة التسعينيات، كما ارتفع معدل  
البطالة في الأردن إلى نحو (٥٠,١٦٪) في  
عام ١٩٩١. ووصل معدل البطالة بين  
خريجي الجامعات في أمريكا اللاتينية  
إلى نحو (٦٠٪) في المتوسط. هذا ومن  
المتطرق لقاقم مشكلة البطالة في المدى  
القريب والمتوسط، حيث إن الأداء  
الاقتصادي في الدول النامية لا يسمح  
بإستيعاب الأعداد المتزايدة من خريجي  
الجامعات بهذه الدول. ومما يزيد من  
صعوبة مشكلة البطالة أن عملية ربط  
مخرجات التعليم العالي في الدول  
النامية بمتطلبات سوق العمل لا تتم  
بالشكل الأمثل.

وبرغم تركيز نسبة غير قليلة من  
الإنفاق على البحث العلمي بالنسبة  
النامية في الجامعات، فإن هذه الدول لم  
تنجح في تطوير قدراتها البحثية لتتواءم  
مع معطيات العصر. ومع تنامي المشاكل  
المالية العامة، وتناقص معدلات الإنفاق  
على البحث العلمي، وارتفاع تكلفة اقتناء  
الأجهزة والمعدات العلمية، تراجعت  
مخرجات العملية البحثية كماً وكيفاً.  
كما أظهرت دراسات التقييم للمصيلة  
البحثية، أن البحوث التي تتم في إطار  
الجامعات لا تؤثر بصورة فعالة في الأداء  
الاقتصادي. ومن هنا فإن العديد من  
الجامعات، بالدول النامية - تركز على  
العملية التدريسية أساساً، وتراجع  
جدوى الأبحاث التي تقوم بها على  
المستوى التطبيقي، وتشير المؤشرات في

# كتاب الزاوية



يمامة بيضاء

محمد يونس القاضي

يمامة حلوة ومنين أجيبها  
خدها الجبل وطار وياها  
شعرها يهفهم وعلى ترهرف  
شعرها أصفر حلو يضفر  
ترح وتجنين وايدها تصنعني  
العين سودة والبدلة موضة  
طار في قصري إمارح المصري  
جم يحبوها منى ويخلوها  
الجبل خدها وطار وياها  
يمامة حلوة ومنين أجيبها  
طار يا نينة عند صاحبها  
قصد يا نينة يعرف لغاها  
وأنا بدى أعرف مطر ما هيا  
ماشية تتخطر قلبى عشقها  
وتحلب بدينى لم كانت برة  
طلعت م الأوضة قلبى هواها  
لصاحبها المصرى طالع يجيبها  
ويسجلوها فى الحفانية  
بده يا نينة يصرف لهاها  
طار يا نينة عند صاحبها

عشقت حسنك

عشقت حسنك وأنت ليه  
مندك وهجرتك يصعب عليه  
الصير ضاع يوم الوداع  
يا رب تجمعنا سوى  
تحب وصله ببخل عليك  
وهو لم ينظر إليك  
واصلنى مرة أبوس إيديك  
عشقت قلبى بنار الجوى  
وأنت داؤه وإنت السوى  
يا رب تجمعنا سوى  
تحب وصله ببخل عليك  
وهو لم ينظر إليك  
واصلنى مرة أبوس إيديك

تتبع صعوبة التحرير الاقتصادى  
من الطبيعة الخاصة لخدمة التعليم وما تتضمنه  
من أبعاد ثقافية واجتماعية

العائد الاقتصادى والاجتماعى من ناحية، والتكامل المطلوب بين مراحل التنمية المختلفة، من ناحية أخرى. فجودة التعليم العالى تعتمد بشكل كبير على مستوى خريجي المدارس الأولية والثانوية. كما أن إعداد المعلم للمرحلة الثانوية (أو الأولية) يتم على مستوى المرحلة الجامعية، فضلاً عن أن تصميم البرامج ومقررات المراحل الأولى من التعليم يتم بواسطة خبراء التعليم العالى.

وتشير نتائج الدراسات المقارنة التى قام بها كل من البنك الدولى ومنظمة اليونسكو لتقييم تجارب الدول النامية فى مجال التعليم العالى إلى ضرورة الأخذ بالتوجهات والسياسات الإصلاحية التالية لتحقيق أهداف تطوير الأداء فى ظل تراجع التمويل الحكومى:

1. تشجيع التنوع فى نظم وبرامج التعليم العالى بما فى ذلك التوجه نحو إنشاء مؤسسات تعليم خاصة.
2. وضع نظم متطورة لتحفيز مؤسسات التعليم الحكومية على تنوع مصادر تمويلها من خلال مشاركة الطلاب فى الرسوم الدراسية، وإنشاء برامج أكاديمية مشتركة مع القطاع الخاص المحلى والجامعات الأجنبية، وربط تخصيص التمويل الحكومى بمعدلات الأداء.
3. إعادة صياغة دور الحكومة فى دعم نظم وبرامج التعليم العالى فى ظل معطيات الوضع الراهن والتغيرات المتوقعة فى مناخ التعليم العالى.
4. وضع حزمة متكاملة من السياسات توجه أساساً لإعطاء أولوية لىارى جودة وعدالة نظم التعليم العالى.

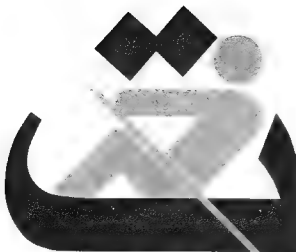
ويتضمن الإشارة فى هذا المجال، أن نجاح التوجهات المقترحة فى تحقيق التطوير المرغوب يتطلب وجود القناة الكاملة لدى السلطات الحكومية بالدول النامية من ناحية، واتخاذ مؤسسات التعليم العالى الوطنية كافة الإجراءات والتدابير والبرامج التنفيذية المناسبة، من ناحية أخرى. وهو أمر يتطلب إعداد دراسة منفصلة تركز على السمات الخاصة بنظم التعليم العالى الوطنية والمناخ الاقتصادى والاجتماعى والعيسى السائد بالعودة محل الدراسة. ■

هذا المجال إلى تراجع معدلات النشر العلمى فى معظم الدول النامية.

وتظهر خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتوجهاتها الاستراتيجية خلال حقبة التسعينيات من القرن الماضى والسنوات الأولى من الألفية الثالثة، عدم حدوث نمو كبير فى حجم الإنفاق الحكومى على برامج التعليم العالى لمقابلة التنامى المحفوظ فى أعداد الطلاب المسجلين فى نظم التعليم الجامعى. وعلى الرغم من ذلك، فإن العديد من الدول النامية قد التزمت سياسياً باستيعاب الطلب المتزايد على خدمات التعليم العالى دور الأخذ فى الاعتبار بالموارد البشرية والمالية المتاحة، وضمانات جودة العملية التعليمية، وتطوير هيكل الطلب بأسواق العمل الوطنية. وحيث أن نجاح جهود التنمية المستدامة يرتبط بشكل أساسى فى عصرنا الحالى، بالتطوير العلمى والتقنى والتنمية المعرفية، فإنه يتعين على الدول النامية تبنيى برامج وسياسات ملائمة لتطوير نظمها التعليمية، والارتقاء بمستويات جودتها وفدريتها على التفاعل مع معطيات عصر المعرفة.

وتشير إحصاءات التعليم العالى إلى نجاح بعض الدول الصناعية الكبرى - مثل دول الاتحاد الأوروبى وأستراليا - فى وضع سياسات متطورة تهدف إلى الارتقاء بكفاءة أداء برامج التعليم العالى. ورغم ما تعانيه معظم الدول النامية من ضغوط مالية واقتصادية، وتراجع فى نصيب الطالب من الإنفاق الحكومى على التعليم، فقد نجح البعض فى تحقيق معدلات أداء مرتفعة وتنوع فى الأنشطة والهياكل الأكاديمية لنظم التعليم العالى.

ويمكن هذا النجاح - أساساً - فى تحقيق التخصيص الأمثل للموارد المالية والمادية والبشرية بين قطاعات التعليم الثلاث: التعليم الأولى، والثانوى، والجامعى. وحيث أن العائد الاجتماعى للاستثمار فى مرحلتى التعليم الأولى والثانوى يتعدى - فى غالب الأحيان - العائد الاجتماعى للاستثمار فى مرحلة التعليم العالى، فإن تخصيص الاستثمارات الخاصة والخاصة يجب أن يعتمد على مستوى



ALJALALAH

# مؤتمرات كثيرة ولا حصائد ...

## محمد يحيى جمال

الترجمة والدولة العباسية وكان الأمر يحتاج إلى تنكير وتركيز على هذا الشق المعروف والذي أصبح تكراره موضعاً للشك لماذا نتوقف عند هذه البداية التاريخية ولا نتخطاها، كثرت الندوات والمؤتمرات وما زلنا نتحدث عن أهمية الترجمة.

هل هو جمود الفكر أم هل يرجع الأمر إلى انعدام البيئة المناسبة لخلق جيل من المترجمين يقومون بالمهمة الرئيسية التي ذهب من أجلها الشيخ رفاعه وأفع الطهطاوي إلى باريس والتي عاد بها إلى القاهرة ليؤسس مدرسة الأسن؟ هل الإشراف الحكومي عاجز عن تولي المهمة القومية؟ إن السنوات الثلاثين الماضية أثبتت أن مهنة الترجمة في أضعف حالاتها التاريخية وأن الجمود قد تفرق إلى أوجه كثيرة، منها جهات متعمدة تشرف على إعداد أو استخدام أو توظيف المترجمين، والأساس أنه لا ترجمة بدون مترجم، وإع، مكثف ومدرب وإذا كانت وزارات الثقافة العربية تحسن بالأساتذة بعد بلوغهم سن الخبرة والإنتاج فمن يشرف على الإعداد والتدريب والتكوين، ومع رحيل الأساتذة تذهب الخبرة ونعبد الكرة وانتظر جيلاً آخر، وفي تلك الأثناء تأخذ المهنة بيننا وبينهم في الانحسار ونلثت وأرغم ثم نعيد الدعوة إلى المؤتمر الأول لترجمة نعيد

وإن تستمر في سياسته الحكيمه: الاستماتات القومية في صناعة الترجمة، وهذا الكلام ليس جديداً فقد سبق أن طالب به العديد من مترجمي العرب على صفحات الجرائد على مدى السنوات الثلاثين الماضية ولكن ماذا حدث خلال الثلاثة عقود الخالية، انعدمت العديد من المؤتمرات حول الترجمة، والغريب أن العديد من هذه المؤتمرات يحمل اسم المؤتمر الدولي الأول للنشاط، وهذا يدعو للتساؤل: هل يعود الأمر لقلة الموارد أم لانعدام التخطيط أم للتخبط، ويلاحظ أيضاً أن معظم المؤتمرات يعقد كما أو كالت هي أول، وآخر ما انعقد من مؤتمرات الترجمة، بمعنى أنه لا ربط بين ما سبق ولا ارتباط بما سيأتي من مؤتمرات لاحقة. ولنحظ أيضاً في العديد من المؤتمرات العربية في القاهرة وغيرها من العواصم العربية التكرار - الذي يكاد يصل إلى النقديس - على أهمية الترجمة، وتاريخ

والسبب في ذلك يعود إلى نظرة المجتمع إلى المهنة و إلى المترجم، وإذا نظرنا إلى الجهات الرسمية التي تضطلع بالإشراف على الترجمة في مصر . ومنها العالم العربي . نرى أن الإشراف الحكومي . السائد دوماً . ليس على المهنة ولكن على نتائج المهنة، بمعنى أنه لا توجد نقابة للمترجمين في مصر ولا يوجد مؤتمر لترجمي العربية ولا ناد ولا مقر ولا قهوة لتجتمع المترجمين حيث يتقابل الممارسون ويتحاورون مع الأساتذة حتى يرى الجيل الجديد الخبراء أمامه ويلتصقوا بحولهم، وإسبا تشرف الحكومة . فقط . على نتائج ترجمة أساتذة الترجمة وتقيم المؤتمرات والمجلات حولها . ولا خلاف على أهمية الاحتفال بأي نتائج أكاديمي وعقلي يقوم به المترجمون ولكن النقطة هنا هي إن الإشراف والرعاية الحكومية تأتي في مرحلة متأخرة وفي لحظة تشريعية وليست تشجيعية، والنتيجة أن أصبحت الترجمة هوية هزيلة وليست حرفة جماعية، والعكس هو المطلوب: أن تقوم الحكومة بإنجاز ما أراداه محمد علي باشا

■ ثلاثون عاماً مرت على تغيير الياقطة على بوابة الأسن من العهد العباسي للأسن إلى كلية الأسن التابعة لجامعة عين شمس ومعها كانت بداية مرحلة جديدة مملوءة بالأمل نحو غد مضمئ، وفي نفس العام دخلت اللغة العربية المجال الدولي وأصبحت لغة رسمية من لغات العمل الست في منظمة الأمم المتحدة، وانضمتت الأمال على أن تكون تلك نادرة خطة عمل طويلة الامد وبعيدة النظر يقوم بها أبناء العربية، وكان تعبير الياقطة على بوابة كلية الأسن يحمل أكثر من مجرد تبديل اسم، فقد كان يعني في طبياته إعادة الهوية والتقدير إلى مهنة ما زالت مصر ومعها العالم العربي يأسره في حاجة إلى الانتماء لها والالتفاف حولها، مهنة الترجمة،

محمد يحيى جمال

و المهنة في عالمنا العربي في الحقيقة . لا تفتت الانتظار ولا تبهر الصغار: كم طمل يقول في رده على السؤال المعتاد: ماذا تحب أن تصبح عندما تكبر؟ الكل يريد أن يكون طبيباً أو مهندساً أو طياراً ولكن هل سمعنا من يريد أن يكون مترجمًا؟

تكرار ما سبق أن قلناه أهمية الترجمة في الحوار وتاريخ الترجمة العربية والدولة العباسية، ومع ذلك سقطت بغداد يوم التاسع من أبريل ٢٠٠٣.

## التركيز على الترجمة

على مدى السنوات الثلاثين الأخيرة انعقدت الكثير من الدورات والندوات حول الترجمة في أماكن عدة في الوطن العربي كان معظم النقاش فيها ترقياً أكاديمياً يرتكز في الغالب على الترجمة الأدبية بألوانها المختلفة، والواقع يشير إلى صورة مختلفة تماماً عن الانطباع الذي تقدمه المؤتمرات في محيط من التخلف في كافة المجالات سري مشتركة تم إنفاق أموال أصلاً شحيحة على مناقشات لا تهم إلا أصحابها والذين هم أصلاً أو معظمهم من طاقم التدريس الأكاديمي ولا تعكس الأبحاث أية نتائج اجتماعية ولا تقدم أفكاراً يمكن أن تعود بالفادة على قطاع كبير في المجتمع العربي، وأبحاث الترجمة مهمة مهما ابتعدت اهتماماتها أو ارتفعت أهدافها أو شطحت مجالاتها ولكن في العالم العربي هناك حاجة إلى ربط الجامعة بالمجتمع وأن تتربى على التفكير الخلاق الذي يصب

ويستخدم برامج لتصحيح الطباعة ولترجمة الكلمات وبرامج تنشر له مرادفاتها بل والبحث في القاموس الموجود بالفعل على الكمبيوتر، ولا يطبع المترجم المادة لكي يرسلها بالبريد العادي إلا إذا كان ذلك ضرورياً، بل في ٩٥ من الحالات يرسلها المترجم بالبريد الإلكتروني، بل ويستلم النص الأصلي في لحظة سريعة ويترجم ما استطاع ويرسلها قبل ميعاد بدء العمل في الصباح التالي، وكل هذا بفضل الإنترنت، بل وتستفيد بعض الشركات الأمريكية من فارق التوقيت وسرعة الإنترنت بالاتصال بمترجمين في أستراليا لإنجاز ترجمة عاجلة على مدار الساعات الأربع والعشرين، وهناك الإنترنت بالنسبة للمترجم المستقل تخلق أساساً لأسلوب العمل وكفاءة الإنتاج والقدرة على الاتصال مع مصادر العمل سواء كانت وكالات ترجمة أو هيئات تطلب خدمة ترجمة سريعة لكن برفعة المستوى، وكما أن الإنترنت أصبحت أداة من أدوات الترجمة فهي أصبحت سلاحاً للمنافسة وتتطلب السيطرة التامة على قدراتها لتكون عوناً للمترجم وليست عبئاً عليه، فإذا كانت الصورة هكذا والاختلاف مثلاً نرى اليوم لها اختلف نمط المترجم

# المترجم "ضاعوا" في الترجمة!

العربي في التحول الرقمي على مدى السنوات الثلاثين؟ والسؤال الخطير إذا كانت الإنترنت، وهي اختراع أمريكي، ما أضحت عنه الحصارية الغربية فيما ساء هي الاختراعات التي شكلها ولم تصنع عنها؟ إن التركيز على أعداد المترجم هو عصب القضية التي يعمل أن تحاطبها مؤتمرات الترجمة، وخلق البيئة المناسبة لتكوين جيل من المترجمين الذي يشكلون جيشاً قومياً يعمل على مدار الساعة لإنجاز ترجمات تخدم الأمن القومي، الاقتصاد الحر والزراعة العصرية والفكر الجديد والنوعى الصام بالثقافي الاجتماعي والتعليمي للمشاكل القومية بصورة تساعد في زيادة الإقبال على التفكير والتدبر والانخراط في المجتمع المدني بصورة تساعد على الإصلاح والتغيير.



إن ذلك الهدف من الحركة القومية لترجمة لن يتأتى إلا عن طريق تأسيس نقابة قوية وغنية وبحيث قيادة معروف عنها الإبداع والفكر المستعير، الانخراط في الحركة النقابية والاحتكاك مع

المترجم إليهم والمترجم منهم بعدلات يكاد يشيب لها الولدان. في منتصف السبعينيات كان المترجم يعمل بالقلم والرصاص والحاية وزممة من أوراق الفلوسكا، وكان لديه قاموس واحد أو اثنان هما قاموس المورد أو قاموس إبيس، ولم تكن هناك قواميس متخصصة معروفة سوى معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية للدكتور أحمد شفيق الخطيب الصادر سنة ١٩٧١. وكانت الألة الوحيدة التي يستخدمها المترجم المستقل هي الألة الكاتبة أليفيتي، هذا إن كان مترجماً محترفاً ويعمل من مكتبه سواء كان في المنزل أو في العمل "بعد ساعات الدوام"، وكانت طبيعة العمل تتطلب أن يدفع المترجم في مكان العمل لتسلم وتسليم الترجمة، أو أن يرسلها بالبريد المستعجل إن تطلب الأمر إلى خارج البلاد، كل من الشادر أن يحصل المترجم على أعمال ترجمة من بلاد أخرى إلا إذا كان سافر إليها أو قام بالاتصال شخصياً.

أما اليوم، في منتصف العشرية الأولى من القرن الحادي والعشرين، نرى المترجم يعمل من منزله في غرفة مزودة بالكمبيوتر تفوق عشرات الغرف ما كان يستخدمه والده في سنة ١٩٧١. حيث يترجم المترجم على الكمبيوتر مباشرة

الترجمة، وبعد التخرج تصرف الإشراف على الخريجين وتقوم بالإشراف على الإحصاء التراكمي وذلك من خلال النقابة والدورات التخصصية والمضروعات المختلفة والعمل على أساتذة ومراسمين والاستفادة من خبرات الجيل السابق، هذا بالإضافة إلى الإيماء بالتعليم المستمر.



وهنا نبرز نقطة هامة جداً: كلنا نعرف المترجم الجيد من المترجم الضعيف ونذكر أن كلية الألسن لها تاريخ في إعداد المترجمين الأكفاء، ولكن من يقوم بإعداد والإشراف على صفق مواهب أستاذ الترجمة في المعاهد والكليات؟؟ وإذا كان السؤال يسبب حرجاً أكاديمياً ويدعو إلى المسفطة الأكاديمية المعروفة باسم الدجاجة أم البيضة نجد أن هناك حاجة ماسة إلى إشراف أكبر من الأفراد والجامعات على مهنة الترجمة، إشراف تتولى مهمته صناعة حرة قوية وغنية مرتبطة بالقتصاد السوق ولها أهداف تجارية وقومية، الموضوع خطير بسبب القصور في كافة الجوانب الفكرية والإعداد والتمويل والنشر والتوزيع والاستثمار والدعاية، وفي هذه الأثناء تزداد الهوة بين

في نهاية الأمر في صالح المجتمع، إن هوية الفكر لشخص رهاضية لا تقتصر عليها مجتمعاتنا العربية حالياً، وهي هوية مستوردة بمعنى أنها توجد في الجامعات الأجنبية حيث التعليم بصرفها، وهذه بالثاني، رهاضية لا يصح أن تقوم بها الجامعات العربية الحكومية. من هنا وجب التركيز على حسن اختيار وحسن إعداد المترجم، وهذه مهمة قومية لا تقل عن إعداد الجندي أو الطبيب أو المعلم أو المهندس بل إن الإبقاء على المترجم الجيد والمتخصص يعتبر مهمة قومية، فهناك العديد من المهن في الصناعات اللازمة التي تتطلب المترجمين من خريجي كليات ومعاهد الترجمة وتجهيزهم إليها بعيداً عن مجال الترجمة مثل: السياسة والإعلام والعلاقات العامة والسياسة الخارجية والصحافة وتعليم اللغات والشركات والبنوك والمعلمين والمترجمين. والسبب يعود إلى انعدام التخطيط السليم لحظي بيئة مناسبة لمهنة الترجمة. وإعداد المترجم مهم جداً ليست سهلة بل تحتاج إلى سنوات طويلة تبدأ في مرحلة التعليم الثانوي حيث يبدأ الطالب الإقبال على إدراك اهتماماته والتعرف على قدراتهم، وتصل الجامعة الموهبة من خلال الإعداد التكويني لمهنة



العديد من الممارسين والمحترفين من خلال السنوات والدورات التدريبية من شأنه أن يرفع من قيمة العمل المترجمة ومن قيمة المترجم من النهاية من قدرته المهنه على الوفاء بواجباتها القومي

## من مهنة الترجمة

### إلى صناعة الترجمة

لا زالت الترجمة رغم أهميتها الحيوية في تكوين النهضة، نشاطا فريدا يتركز على الترجمة الأدبية، وفي ثقافة تعتمد على المستورد الأجنبي في كافة نواحيها من العلم والتكنولوجيا والطب والإدارة وحتى الترفيه وادب الأطفال والسينما يظل المرء أن هناك مهنة قديمة تشرف على هذا الإبحار الكبير وأن هناك مؤثرا قويا يحمل اسم المؤثر العربي الثلاثين للترجمة والتي يقام كل سنة في جامعة عربية محتلمة والحقيقة عكس ذلك، ويترك المترجم أو من هو في مهنة الترجمة العوالم التي تصافد المترجم العربي من حيث الدراسة وتعلم اللغات والإدارة الحيادية في بلد اللغة المترجم منها إلى التعلم المستمر والابتكارات المهنه وتواصل الخبرات مع الأساتذة وحتى المراجع الأجنبية ناهيك عن قصور الموارد العربية الأصلية في وفرة المواضيع والموسوعات والمراجع العربية، ووصولاً إلى فضائنا النشر والتوزيع، ومشكلة الكتاب وعادة المترجم في البلد، على تلك العوالم تمت الإشارة إليها في مقالات وأبحاث تكرر ذكرها على مر السنوات.

وتتجهنا لما رأنا في دائرة مرعرة وأصبح مفهوم الترجمة في الواقع العربي مثملا في أسلوب نحيث وعديله كما ورد في فلم هالو أمريكا لعاد إمام.

إلى صورة المترجم العربي التي تظهرها السينما العربية صورة سخرة تعتمد على البذخ الحركي الملهو الذي يصعب معه الاعتقاد بأن مهنة الترجمة مهنة محترمة تتطلب سنوات عديدة من التدريب وصل الموهبة وتعتمد أساسا على تعلم سليم للغة وتدريب مستمر تحت إشراف أساتذة محترفين، وإن كالأهل من الأهل استخدم مترجم إشارة بدلا من الأسلوب الكويتي في محاولة رديئة للتعلم على صعوبة اللغة واختلاف الثقافة والبيد الجيوبوليتيكي بيس البليدين.

وعلى الرغم من نجاح الصيلم في عرض أهدافه السياسية وإقبال الجماهير عليه إلا أن القضية المهنه لصورة المترجم كانت سطحية وساعتك اتجاه مبالدا منذ مدة طويلة أعادت في ترسيخه منذ أعمال وفي الحقيقة فإن السينما المصرية من تقديم صورة جيدة ألقاها للمترجم ابتداءً من فيلم سي عمر الذي قدم صورة المترجم الهندي تحملي الانطباع بأن المترجم شخص لا يثق به وأن المترجم يستطيع التغلب على صعوبة المترجم والمصطلحات باختراع ما يراه مناسباً

ومترجمي اللغة الواحدة مثل إنشاء رابطا المترجمين من اللغة الفرنسية ورباطا المترجمين من اللغة الصينية وهكذا، ولكن التجربة الغربية أثبتت ضرورة التقاطع أعداد كبيرة من المترجمين الممارسين وطلاب وأساتذة الترجمة حول جمعية أو منتدى يمثلهم للحصول على الكلفة الحرجة ليكون لذلك التمثيل تأثير في السوق، وأثبتت كذلك أن الممارسة الفردية قد تعرقل فرص التكتل في ناد أو اتحاد ولذلك تعقد الدورات المتلاحقة لتحقيق عملية الاتصال الدائمة عن طريق ربط اهتمامات الأعضاء في منديات متخصصة تعمل على الفائدة المشتركة من دلا من التناقص غير الهادف والذي قد لا يساعد على النهوض بمستوى المهنة، هذا على مستوى القطر العربي الواحد لم الانطلاق إلى الوطن العربي بأسره والتوصل إلى تكتل كبير في عالم أصبح لا يتخطى إلى التكتلات الاقتصادية ذات التأثير الواسع والحدود المتداولة، وفي عالمنا العربي، هناك حاجة إلى مثل هذا التجمع، حينئذ يمكن أن نرى مؤثرا عربيا على مستوى الوطن العربي يشمل كل قدراته ويعطي كافة احتياجه في مؤثر علمي كبير يركز على إنجازات سبقت ومفوحات لا بد ولا يكتفى بالإشارة إلى أهمية الترجمة وتاريخها.

والرغبة في انعقاد المؤتمر العربي السناء ماراثون قوية، فقد ضمت ست عشرة سنة على انعقاد المؤتمر العربي الأول في بغداد في سنة ١٩٨٨.

## الجمعية الدولية

### لمترجمين العرب (والنا)

المترجم العربي، رغم قدراته الفردية المحدودة، أدرك أن هناك خلا في واقع المهنة وأن هناك حاجة إلى التغيير ومن هنا جاءت مبادرة علاقة من الخليلج العربي حيث استشراف الأستاذ عامر محمود العظم المستقبل المهنه وترجم فكرة النقابة العربية للترجمة إلى واقع ملموس، ويبدو شخصي ويساعده مجموعة من المزملاء من أصحاب الرؤية والإيمان بالرائع بان الجمعية صناعة حيوية لابد أن ترسخ إقامتها في محيط مهنه واع وقوي، أطلق الأستاذ عامر محمود العظم الجمعية الدولية لمترجمين العرب، وأعلى شعبة الإنترنت في يوم الخميس الأول من يناير سنة ٢٠٠٤ وأدارة الجمعية محمود جماعي يشرف عليه أساتذة من خبرة المترجمين العرب في كافة أنحاء العمورة، وباستغلال الإمكانيات التي لا حدود لها المتوفرة على الإنترنت أصبح لمترجمين العرب بيت دائم ومرجع يعمل على مدار الساعة، ويشارك في الجمعية الحديثة مترجمون يعملون في العديد من الهيئات الدولية والجامعات العربية والأجنبية والدوائر الحكومية العربية والشركات العالمية في

٢٠٠٥ فيلما جديدا بعنوان المترجمة بطولة الممثلة الأسترالية نيكيول كيدمان الذي تقوم فيه بدور مترجمة تعمل في الامم المتحدة، ويتطرق الفيلم إلى مهارة الترجمة التي تكشف مؤامرة ديبلوماسية داخل المقر الدولي في نيويورك وتتناول أداب المهنة والصعوبات التي يمكن أن يتعرض لها المترجم.

إن فرص النهوض بمهنة الترجمة تتمثل في الاهتمام بها بحيث تصبح صناعة قوية وفاعلة على أسس متحركة، ولكن تصحيح في مصاص المهن الأخرى الكبرى في المجتمع لابد أن يكون لها هيكلي تجاري تشرف عليه هيئة عربية عليا تتبع سياسة واضحة لا تعبر مع تغير القائلين عليها ولا تكون تحت رحمة الحكومات المساهمة في ميزانيتها، وأيضاً هذا ليس جديدا، وقد ذكر أكثر من مرة على صفحات الجرائد المصرية والعربية، بل وتم الإعلان أكثر من مرة عن مبادرات عربية على مستوى عال بشأن تأسيس جهاز أو مركز أو هيئة عربية قومية للترجمة ولكن تبدلت الأولويات مع الأيام.

وتفعيل صناعة الترجمة في الوطن العربي لابد أن تكون هناك حركة مهنية تتمثل في نقابة نشطة وقوية لها برنامج عمل سنوي دائم ومؤثر عام ومحلات ودوريات منتظمة تعمل على بث روح التعاون وإنماء عادة النشر وتقوية حركة التفاهل بين الأجيال والتعاون مع المترجمين الآخرين في كافة المواسم العربية، إلى مثل ذلك الإطار من شأنه أن يفعل حركة الاتصال والتربط بين الجامعات العربية وأساتذة الترجمة

وإنهاء تعليم اللغتين التي قدم كومديا شعبية ناجحة، وإن كانت، رحيصة ولكنها صورت مهارة اللغات الأجنبية على أنها مقدرة غريبة وإثنية لا مثل من ورائها، بل ودعت السينما الفلاما ومصريات كثيرة تصور أساتذة الترجمة العربية في صورة شخصيات من عالم قديم وغريب عفى عليه الزمن وقدمته في إطار يتغر عن احترام اللغة القومية ناهيك عن التشجيع على تعلم اللغات الأجنبية والقدرة على التعبير بلغة أو لغتين أجنبيتين بمهارة.

والامر قد يختلف لو كانت هناك نقابة مهنية قوية تعمل على تقديم صورة مهنية محترمة عن المترجم وتدعو إلى مؤتمر وطني عام يتناول قضايا المهنة من حيث الانضباط العام وقروض العمل ومكانة المترجم في المجتمع ودوره في العملية الثقافية وحقوقه ومسؤولياته وأدب المهنة وتدعو الكتاب والفنانين إلى القوس في شخصية المترجم لاستكشاف مواضيع جيدة وجديدة لكي تعالجها سينمائيا، ومازالت شخصية ليلي المترجمة التي وردت في قصة نجيب محفوظ شريرة فوق النعيل تثير الاستمراء والسيخة لدى العديد من المترجمين والمترجمات، ويخلو العديد من المترجمين العرب، عموماً، من قصة أو رواية تعتمد أساساً على شخصية ومهارة المترجم.

وعلى النقيض من ذلك نرى أن السينما الأمريكية ستقدم في العام المقبل

صورة المترجم العربي التي تظهرها  
السينما العربية صورة سخرة تعتمد على  
الأداء المركي الملهو الذي يصعب معه الاعتقاد  
بأن الترجمة مهنة محترمة تتطلب سنوات  
من التدريب وصل الموهبة



تلك تكون أدبا على طريقة بحيث وعديلة التي وردت في فيلم هاللو أمريكا. إن إصلاح الألسن يكمن في أن تطلق يدها وتتمتع باستقلالية تامة، أكاديمية وإعلامية وتجارية، وأن يتولى إدارتها مدير أصم لا موظف حكومي. وتكون الإدارة الجديدة واعية لدور الألسن في المجتمع المصري والثقافة العربية وذلك لحمل الألسن نقطة جذب للاستثمارات وإنارة فكرية وأن يديرها على أنها شركة تجارية لها ميزانية ولها أهداف وعليها مسؤوليات، وهذا النمط في التفكير والإدارة. وإن كان جديدا، إلا أنه ليس غريبا. فهذا هو الحال في الجامعات الخاصة في مصر الآن، والفرق يكمن في فلسفة الإدارة وحيدة المخافة حتى تسمى الكلية نحو المستثمرين والمجتمع ودور النشر ولطاعات لتقبل الطلاب إنشاء الدراسة، من قطاع المساجد والأستوديوهات والصحافة والتدريس؛ والخريج بعد التخرج، في كافة المجالات التي تقبل على تشغيل خريجي الألسن، إنها إدارة واسعة تتطلب برامج إعداد يتخطى العام الدراسي الواحد بل يتعداه إلى سياسة طويلة الأمد لا ترتبط بفره وإنما ترتبط بمؤسسة.



والألسن، الحديثة. لا بد أن ترتبط بالواقع وأن تفي باحتياجات المجتمع وأن تحصل لتطبيقاتها كما أراد لها الشيخ المؤسس للتطبيقات عند إنشاء مؤسسة الألسن. إن الإدارة لا بد أن تفي أن فرص عمل الخريجين من صميم مهمتها وأن تسعى للإجابة عن السؤال العليل. لماذا يفيل الكثير من الخريجين المترجمين، على العمل في قطاع السياحة والفنادق بل وقطاع الأمن هذا سبلا خطير يدل على خلل ما في عملية اختيار المقبولين؛ إن نسبة ٩٣٪ من مجموع الطلبة العامة كحد أدنى للقبول لا تعنى أي شيء؛ وإن هناك قصورا في فلسفة الترتيب والاعداد الصلبة بين الجامعة والمجتمع والاعتماد للكمالات وضباب الخلال من الإعلام التعليمية والاعداد لقيمة المترجم في المجتمع.

#### مثال من كرة القدم المصرية:

بعد نتيجة المونديال، أدرك الجميع أن هناك مشكلة في قطاع كرة القدم في مصر، ولكن من قبل ذلك الوضع أن الأندية الكبرى تلقت ولاء الملايين النجوم من النوادي الأخرى وتدفع فيهم مئات الآلاف من الجنيهات، وهذا خطأ من حيث نتيجه طريقة الترجمة من اللغات الأجنبية، ففي البلاد الأجنبية تسمى الأندية إلى حد حاجه ما يشراء لاعب ولكن وتدفع فيه المقابل بسعر السوق، وعلى الأندية هناك تدارك



الجامعة اليسوعية في بيروت، وهما على قدر عال جد من المهنية والكفاءة، ولكن تبقى كلية الألسن في مصاف فريد، فلها الجغرافيا والتاريخي وتتمتلك من المقومات المدنية والأكاديمية والتجارية ما يرفعها أن تتبو مكانة عربية عابثة. ولكن الأمر يحتاج إلى تغيير وإصلاح. ففي زيارة إلى القاهرة في سنة ٢٠١٣ والثناء لوقف قصير في مكتب الشروق ب ميدان سليمان باشا في وسط القاهرة تطرق إلى سماع الكاتب سؤال من فتاة البالغ في المكتبة تستفسر فيه عن عنوان قصتين من الأدب والبرام لكل من هنريك اسنر وشكسبير، فتبادر إلى ذهن الكاتب أن الصلة قد تكون طالية في السنة الأولى من قسم اللغة الإنجليزية بكلية الألسن فانظر حتى انتهت من استفسارها وسألتها: هل تتوسى في كلية الألسن؟ أجابت، نعم، وهل أنت في السنة الأولى في قسم اللغة الإنجليزية؟ أجابت، نعم، وهنا كانت الحاجة ملحة لفتح المناهج الأكاديمية على ما كانت عليه منذ ثلاثين عاما، صحيح أن اللغة والأب وشكسبير لا يتغيران وإن الكتب المطلوبة كانت لتلاط السنة الأولى المتجشدين وإن الأمر قد يمر على أنه مصادفة ولكننا الآن في عصر القوة العظمى الوحيدة وفي ظروف العولمة وموجة الهجوم الأمريكي على الصين الإسلامي والهوية العربية والهيمنة الأمريكية على المساحة المصرية والعربية لابد أن نتجه الدراسات إلى كل ما هو أمريكي حتى نتمكن بغير فكره هذا الأخير. الأمريكي. وإن نذكر أن طريقة الحوار معه



#### تطوير كلية الألسن

إن الاهتمام بقضية الترجمة ليس وليد اليوم بدليل أن الكثير من الأدباء العرب والمختصين يتحدثون اللغات الأجنبية وروسوا في الجامعات الأجنبية ومنهم عدد ليس قليلا ممن اقبل على الترجمة، بل إن أمير الشعراء أحمد شوقي حصل على دبلوم الترجمة من باريس، وهناك من ألف كتبيا بالإنجليزية ثم ترجمها، بنفسه. إلى العربية منهم على سبيل المثال: أحمد فخرى، الأهرامات المصرية، محمد حسين هيكل، ملفات الهويس، خريف الغضب، بطرس بطرس غالي، طريق مصر إلى القدس، وعلى الرغم من تواجد الترجمة أكاديميا. في حياتنا ابتداء من سؤال الترجمة في امتحانات اللغات في المرحلة الثانوية إلى ظهور المعاهد الخاصة لتعليم اللغات والترجمة وإنشاء بنشاء الجامعات الخاصة والمعاهد الأكاديمية التي تخصص في تدريس الترجمة، بل وصل الأمر. إلى اقتباس الاسم التاريخي كلية الألسن وتم إنشاء كلية للغات والترجمة تحمل نفس الاسم في جامعة مصر الدولية، وما لاشك فيه أن هناك خبرات جيدة في كل تلك المراكز الأكاديمية ولم تعد كلية الألسن. جامعة عين شمس، هي الوحيدة القادرة على التخصص في مجال الترجمة وتخرج أفضل المترجمين في مصر أو في الوطن العربي، فهناك منافسة قوية من مدرسة اللغة فيد العليا للترجمة من طنجة بالغرب وكذلك المعهد العالي للترجمة في

بلاد المجر وفي بلاد تسمع فيها العربية وأخرى بعيدة كل البعد عن العربية، والنتيجة أن أصبح للمترجم العربي، بين عشية وضحاها - زملاء في كافة أنحاء الكرة الأرضية ويمكنه الاستفادة من المعلومات والأخبار الخاصة بالترجمة لحظة صدورها ويمكن زيارة موقع الجمعية على عنوان:

www.arabicwata.org

وعلى الموقع يجد العضو المسجل والزائر أبوابا لهم كل مترجم ولغوى ومنها على سبيل المثال قسم لمقابلة ضيوف الجمعية في مقابلات فريدة في أهميتها حيث تلخص خبرة أساتذة وممارسين في حقل الترجمة المتعددة، وتوجد أيضا قائمة بالمترجمين وأخصائياتهم وعناوين الاتصال بهم إذا احتاج المترجم الاتصال بزميل في نفس التخصص مما يساعد على إنجاز مهمة الاستفسار بأسرع ما يمكن، وهناك قسم خاص بالهجرة أو أوجه متقدمة في صناعة الترجمة ولجان خاصة باللغات وبمشاركة بالأنفاس والاستفسارات والمناقشات في أسلوب حضاري يسخر الإنترنت لخدمة مهنة كانت أصلا تعتمد على الانفرادية في التفكير والانعزالية في الأداء.

إن الملتقى لعركة الترجمة العربية في الشاربيخ الحديث يدرك أن هناك عدة مراحل رمنية معينة وإنجازات محددة في التي أتت حركة الترجمة العربية إثراء كبيرا مثل: بعثة محمد علي باشا إلى فرنسا وتأسيس مدرسة الألسن وإنشاء لجنة التأليف والترجمة والنشر وإنشاء مجامع اللغة العربية ومكتب توحيد المصطلحات ومشروع الألف كتاب في محطلات تاريخية هامة وجاءت الجمعية الدولية للمترجمين العرب لتتوجها لكل المحطات السابقة، والجمعية تحتفل بإنجازها ولها كل الحق ومع ذلك نرى القاصمين عليها عاكفين على البقاء والإضافة والتعديل بصورة ديمقراطية تستجيب المثل الذي يحتذى به من العرب، إذ أنه قد جمعت عاكفين على خبراء المهنة والعاملين الممتازين في مجال صناعة الترجمة من المختصين في اللغويات والترجمة والإعلام والصحافة والتدريس والممارسين في كافة المجالات وعلى كافة مستويات من المترجم التحريري إلى المترجم الإعلامي إلى مترجمي الأمم المتحدة، وكذلك طلاب الترجمة في العديد من الجامعات العربية، كل ذلك على موقع واحد على الإنترنت يومه المئات يوميا وإقادر على استيعاب الآلاف من القراء والمشاركين.

إن الجمعية الدولية للمترجمين العرب بقيامها هذه السنة حققت إنجازا كبيرا عبرت عن تحقيقه حكومات الوطن العربي كله، ومازلنا نؤمن أن حكومات بالجمعية وإشراك في تشييد صرح من صروح الثقافة العربية التي أثبتت التجربة العملية أن المترجم يعتبر من صفوفه مشفقها وقادر على القيام بدور فعال في الرقي بجهته وأخذ زمام المبادرة.





## كتاب الزاوية

في شرع مين قاضي الهوى

محمد يونس القاضي

في شرع مين قاضي الهوى بذله خصمه ويحكمه  
هو الطبيب مالوش دوا ومري إزاي أكتمه  
وأدى النواح بالممر باح يكفى اقتضاح  
بين السبباد أمرى اشتهمر  
الصبر من بعدك هلك والصبر له أحسن طبيب  
تركت أهلى وملت لك والناس بتعطف ع الغريب  
وأنت لك أخلاق ملك قلبى انشبك  
إمتى وصالك يا قمر إمتى وصالك يا قمر

إرخى الستارة

إرخى الستارة اللى في ريحنا لاحسن جيرانا تجرحنا  
يا فرحانين يا مبسوطين يامرفشين يا مرقططين ياخنا  
دثوقت أنا بس ارتحت لا حد فوق ولا حد تحت  
يعرفنى جيت ولا رحت ولا حدش يقدر يلحقنا

يا فرحانين

قلبي بيطلب أوى وخايفة عندك شباك نواحي العطفة  
افتح درفة واقتل درفة وقوم نغير مطرحنا

تجارية وعليها التزامات لحمة الأسهم  
والمستثمرين. طريقة تفكير مختلفة  
تماما، والخطأ يكمن في الترجمة،  
السطحية، التي تستغل أنه من المعك  
أب اترجم أى شئ بعيدا عن سياقه  
الثقافي، هذا ترف لا تقدر عليه الأندية  
العربية؛ والأمثلة واضحة وضوح  
الشمس في العديد من الأندية المصرية  
والعربية في المحيط إلى الخليج،  
والحل، هو أن تستثمر الأندية المحلية في  
إبنائها عن طريق إنشاء كواد لها من سن  
الطفولة وأن تفرس فيهم حب الرياضة  
والولاء لاسم النادي وشعار الشركة التي  
انخرطت تحت لوائها، وما للهت وراء  
اللاعبين الأتقارفة من بلاد تدعى  
الكامبرون ومالى ونيجيريا والسنگال إلا  
خرها أصبحت معه كلمة اهارة تسمى  
عملالة ورنا ومعنى.

مواضيع الترجمة الجديدة

في القرن الحادي والعشرين أصبحت  
الترجمة العربية قضية حساسة تمس  
الأمن القومي ويتبني لها أن تترك أن  
الترجمة الأدبية هي ترف لا يصح منحه  
أكثر من حجمه، هذا على الرغم من  
الإعلان مؤخرا عن المقابلة ثقافية بين  
مصر والمجر يتم بموجبها ترجمة روائع  
الأدب المجرى إلى العربية وترجمة الأدب  
المصري إلى المجرية إن الهوة أحة في  
الازدياد بين الثقافة العربية والثقافة  
الأوروبية لأسباب بالمت واضحة وضوح  
شمس الإسكندرية وبيت للوح في الأفق  
فكرة الترشيدي في الأعمال المترجمة وفي  
مجهود المترجمين أساما، هل من الأجدر  
أن نأوى وجهنا شعر الشرق ونحاول  
الانفتاح عليه بعدما تأكدنا من العجز عن  
الحاق بالغرب؟ هل من الأجدر أن نطلب  
العلم ولو في الصين واليابان وكوريا  
ومايزنيا وسنغافورة وتايلاند، هل من  
الأفضل أن نعمل على تأسيس كليات للغات  
الأسبوية مهما الأول التعلم من تجربة  
النمو الأسبوية؟

أم نحاول إصلاح البيت من الداخل  
وتصدي التخطيط بصورة أفضل ونحاول  
التمكين بصورة إبداعية تجعل الجامعة  
أكثر ارتباطا بالمجتمع وتمنح القارئ على  
إدارة الكليات سلطات أوسع نؤهلهم لجعل  
الجامعة مكانا للإبداع وليس مجرد مدرسة  
للتعليم وفرع الخريجين.

إن مواضيع الترجمة في المرحلة  
التاريخية الراهنة اختلفت تماما عن  
المواضيع السائدة من ثلاثين سنة  
هأصبحت إدارة الوقت، حماية  
البيلة، العولة، التعلم المستمر، علوم  
الكمبيوتر، خلق الفرص الشخصية،  
إصدار الموسومات وتبسيط العلوم  
والخيال العلمى ومكافحة التصحر  
وظاهرة الاحتباس الحرارى وزيادة الموارد  
المائية وقطاع الخدمات ورعاية الحوافين  
والانخراط في المجتمع المدني هي  
المواضيع الحيوية التي تعيشها المجتمعات  
العربية، وعلى العكس تماما نرى أن هذه  
الموضوعات على أهميتها لا تجد صدى  
لها في المجتمعات العربية لأسباب  
سياسية واقتصادية ومعاهيم اجتماعية  
عقيدة ولكن سائدة.

ولعل أهم الموضوعات التي يجدر  
بالمترجم العربي التعامل معها في الفترة  
التالية تتعلق بالعمل الإعلامي خاصة في  
القنوات الفضائية الموجهة والترجمة  
التلفزيونية والإعداد المتميز لمصاحفة  
العربية الصادرة بالغات الأجنبية والتي  
تخاطب القارئ الأجنبى بصورة أكثر  
حرفية وعلى درجة عالية من المصداقية،  
وتجدر الإشارة إلى أن العالم العربى عندما  
يريد أن يتعرف على الشرق الأوسط  
ويبحث عن معلومة باللغة الإنجليزية  
يعتمد أساسا على صحيفة ال جيزورالم  
بوست الإسرائيلية ولا يلتفت كثيرا إلى  
الصحف العربية الصادرة بالإنجليزية.  
وتبقى قضية الحوار مع الآخر  
ومرافقات هذه القضية من تلاشى  
الحضارات ومخاطبة الثقافات والتواصل  
الفكرى تعصب في صميم نطاق الترجمة  
التي اثبتت أن خير من يقوم بدور المحاور  
والفاوض والشارح والسفير والقدم والمعلق  
والمحدث لا غير سوى المترجم.

وهذه نقطة في غاية الأهمية  
وجديرة بالبحث في مؤشرات الترجمة،  
كيف نقوم بإعداد شباب المترجمين  
ليتولوا مهام صناعة الترجمة وتحدياتها  
المقبلة طوال القرن الأمريكى الحادى  
والعشرين، وكيف نستثمر طاقاتنا  
وخبرات الباحثين في دراسات الترجمة  
والإعلام والثقافة والسياسة الدولية  
واللغات والعلوم لإعداد نوعية جديدة من  
المترجمين فوق العادة، المحاورين  
الثقافيين، في أهم عشر لغات وبوشر  
أخرى أسبوية، وأن نضمن الاستمرارية  
في الإعداد والتدريب. ■

# طموحاتك بنحقق



بنقرب المصداق

بطاقة الأهل في لحظة

بنسهل الدفع



بطاقة ماستر مهر للطيران



بنسعد الشباب

بطاقة الأهل للشباب

بننظم دريتك



بطاقة الأهل إنترنت كارد



بنيس المالح

بطاقة تقسيط الأهل دار التمويل



بنسط الحياة

بطاقة تيممة ميزة

## بطاقات البنك الأهلي المصري

- بالإضافة إلى بطاقات (فيزا، ماستر).
- دليفريزا كاريو، بطاقة الخصم، الأهل للمرتبات.
- تساهل، تقسيط، تمسدد فواتيرك والتزاماتك.
- حرية التعمد، بانقشورت كارد.
- مصرف قهري من أكثر من ٢٨٥ ألفه صراف آلي.
- مسند بنسعد هبات كبيرة.
- الإتصال بخدمة الأهل في فون ٥٧٦٠٧٧٧.
- على مدار ٢٤ ساعة.



البنك الأهلي المصري  
الأقرب إليك

www.nbe.com.eg



حاتم التوي  
2004

## من حمية كليوباترا إلى المآدب الفيكتورية



### إنجريس د. رولانسد

المجازي للطعام ظل فعالاً لمدة ألفي عام بعد عصر أديب الحركة الإنسانية في توسكان إلى سيلفيو بيكولومني، الذي أدان فساد الحياة في الفاتيكان في رسالة سياسية بعنوان تعاصات مسلولي كيوريا (De Curialium Misenis). صوّجها الكاتب إلى محامي الماني، يقول الكاتب أن صليحة "نبح مثل تلك الكلاب الجمالة بضع سنوات، ومثل تلك الكلاب في مادية، كان المسؤلون الصغار في كيوريا يظنون في امكانهم تحت إغراء مفروشات المائدة الفاخرة ومداف بقايا الطعام، و الجزء الأكثر وضوحاً والملاءم بالحوية من هجاء بيكولومني يشرح فيه بالتفصيل

الظلم الذي كان يرتكب في الولائم السابسية؛ وكما هو الحال مع أريستوفانيس، الفناء هو الفصل استعارة ممكنة للكتابة عن السلطة؛ أولئك الذين يجمعون أن هذا هو السبب الوحيد لوجودهم في القصر هم حمقى، ويعيشون حياة الخراف، وليس هم إلا... فهم مثل الذباب بالنسبة إلى نزهة، يفرغون حول مآدب السادة، لكن مهما يكن مستوى المادية ملكيا، فإنهم يحصلون على نصيب أقل من الذباب، دعنا نرى، من ما هي التمتع التي يجتنيها أعالي كبر، من الأكل والشرب

وسبق البهائم الملكي. فماذا كان كائن الضياء مثل في ذلك الوقت؟ كانوا يقدمون لبيد، لا تنازل عرقه صوبية تتلفس. كما وصفه جوفينال - وإذا كنت ميجنونا بما فيه الكفاية لشربه، سيجعلك نكدًا، وهزلاً وضغن النفس متنفخاً ومنافخاً ومنافخاً بالإنصاف لشعورنا بما نفعل أو بالفتن، كما يتصف هذا النبيذ بلون ومناق سيئين.... ولا تعتقد بذلك مشرب في أو أن من انفضت أو الزجاج؛ فهناك عالم الخوف من سرقة الأولى ومن كسر الأخيرة. وبالتالي استجدت لفتك تشرب من كأس خبيث أسود ثم وقدم مع وجع حثالة متكتلة في قاعه حيث كان اللوردات يستعملون لفتك من الكأس قد تحصل على كاسك الخاص، لذا سواء كنت فرد لبيدك صافياً أو مخلوطاً بالماء، فإنك تستعمل على الذي يريدك الآخرين، وكلما هممت بشرب بشقة من الكأس قد تجد أن الحية الملكية بالقمع أو الضقة ذات اللعاب السائل أو الأسنان المتفتحة قد بسقتك. وفي هذه الأثناء، سجد الملك يشرب لخبه من النبيذ الممتق المختار ذي الرائحة المشفاهة

أعداء كليوب، وهو المارخ سيسيديس، الذي صاغ التحليل الحذر والمدمر للقوة مكونا الكتاب الثالث والرابع من حرب بيلوبونيسيا، حيث يحدد أريستوفانيس بشكل مثير في مسابقة طويلة على الطعام، محرضاً خادم المنزل كليوب ضد بالغ مقاق فاسد من السوق الأثيني في مسابقة الألف خطف لتتلق وكسب رضا السيد ديموس. للإيجاد مهنة مثل هذه مريبة ومتروطة في تشويه وإعادة تقديم رمز القوة الرئيسي للشعافة، ربما قد نضطر الآن لتقديم بالغ المقائق كبائع سيارات مستعملة. )



ويأخذ تملقهم المتذلل شكل ملموس سريعاً، فيحاولون إرضاء الشخص الأدهب السمين الذي يمثل المجتمع السياسي عن طريق تقديم الطعام له. فكل متلق منهم يقدم إلى ديموس صف طعام شيء تلو الآخر في سيل منفر من التملق. وفي النهاية، يقوم بالغ المقائق بإزدهار المنتصر - بكشف أن كليوب يكتنز لنفسه بقدر ما يقدم إلى سيده، بينما البائع الدليل أعطي ديموس - الناس - كل ما معه. وهكذا، وبدقة مبرزة استطاع أريستوفانيس أن يكشف كلا من جوع كليوب الفج وأذانيته الضرورية. الفداء، كما الفصح، هو الاستعارة الختالية للدلالة على السلطة السياسية، المفهوم الذي كان سيسيديس نفسه قد بدأ بإيجاد الكلمة المناسبة له. (راجع مكالمتين محسبتي-دynamis، "قوة"، وparakeue، التي تعني شيئاً ما ليس بالمصدر، والاستعداد)، إن استغلال المعنى الاستعاري أو

وروما حدد الأثرياء وأصحاب النفوذ من الرومان القدماء بداية حريتهم من الاستبداد منذ طرد وترحيل السادة الأعلى منهم من مكاه إيثوريا في عام ٤١٠ قبل الميلاد. و لكنهم ظلوا يبدون دور الطاغية أثناء تناولهم الطعام على أرائك العشاء حيث يأمرهم العبيد و كبار الطباخين والضيوف الذين لبوا دعوتهم. وليس مصادفة أن يحكم فرسان الملك أشر وهم جالسون على مائدة مستديرة. روى سترونج يكرس فصلاً ساعراً لوصف عرفة الطعام الفيكتورية، موضعا بأنها يمكن أن تصبح مكاناً رسمياً مليئاً بالمناكس والقواعد كمدينة إخواننا القديمة لفرص الشمس أو حفلة العشاء اللاتالائية على جبل أوليمبوس. ومن الحزن لكن الحمى أن ينهى سترونج بحثه بنظرة يالمة على عصر الوجبات السريعة الذي تعيش فيه، حيث - كما يقول الكاتب المسرحي كين، ليزينيك - تدلت الولائم القديمة لتصبح الآن مسطحة؛ مرحلة توفك لتشرود بالوقود في المطبخ، مع مرور لحظي بين الحنفية والتلاجة. إن العلاقة بين الولائم والسلطة قد تكون هي مثل قدم ويوضو سلب الفداء نفسها، ولهذا البحث هذا الموضوع أنه سيستمر للأبد في كونه أسراً بالنسبة إلى الحيوانات الإنسانية التي تكدر في عيوديتها له. في كوميديا من ١٢٣ قبل الميلاد، الفرسان، حول الكاتب المسرحي الأثيني الخاضع الصغير أريستوفانيس كشف مكان زعيم دهمالي محلي، يديي كليوب، عن طريق تصويره في المسرحية كخادم في منزل يتصف بالعنف بحيث يقوم بالطنحن والطهي وتخزين الموز وتقديم الطعام إلى سيده المسن الفظ ديموس، "ضع، أيتها الديمقراطية - منافقا ومتعلقا أياه، وهناك عوا آخر من

■ يظهر نقش حجرى قديم البيروز من تل العمارة بمصر الملكة نفرتيتي أثناء حضورها مأدبة عشاء مع زوجها الفرعون المتشوق إخناتون، ولوناً كلمة حضور مأدبة، قد تكون تعبيراً مثلي لوصف هذا العرض النهم. والملكة نفرتيتي - هذا الجمال البارد القادم من مكان بعيد والمعروفة لدينا عن طريق تمثالها النصفى المشهور في برلين - تظهر هنا كشخصية نهمة تستخدم كلتا اليدين في الأكل حيث تظهر في الرسم وهي جالسة على عرش راجع، ممسكة بدجاجة بكنتا الأيدي وتمزجها بأسانها دون أن يكون هناك سكين أو منديل مائدة أو إذا لمثل الأنامل ظاهرياً في أي مكان على مرمى البصر، أما إخناتون فيظهر منافضاً لشهته كشخص حاتم ضعيف حيث يلوح بقوة بقطعة لحم ضخمة كما لو كانت لا شيء أكثر من قطع صغيرة من الشيش كباب - فاهيك من ذكر شهته التي تناسب هرقل، كما يتتبع القسم الأعلى من شريحة لحم البقر كما لو كان رئيس العظميم. وفي الواقع، كاد ما طهر الاستهلاك المنافي للثقوب بهذا الوضع.

إلا أن إقامة الولائم وحضورها، كما يوضح روى سترونج في كتابه الذي يجب قراءته والصور بشكل جيد، كان دائما عملاً شاقاً، الملوك بدءاً من الملك بيشازار إلى لويس الرابع عشر، قد استغلوا وسيلة الاستهلاك العلني للثراء وتوزيعه للتعبير بشكل مسرحي عن سلطتهم، وكانوا يتباهون بضيافتهم على طرق التجارة بأكل طبخات القادة من أنحاء الأرض البعيدة حيث يتمتصون بشدة بغذاء المذاق، أو يتغصنون ببساطة في أروع الطعام الفاخرة السبع. في أغلب الأحيان، كانت بقايا الولائم المكتبة توزع على الفقراء كرحمة مطبخية لكسب إعجاب الجماهير وإسكات استيائهم. لحظيا على الأقل. وقد لعبت قضايا كسب من المستبدان دوراً أساسياً بنفس الفخر الذي لعبته قاعات العرض - وفي أغلب الأحيان كغنى نفس الأدهاب.

Fast: A History of Grand Eating  
(مأدبة، تاريخ الأكل الفاخر)  
Roy Strong  
Harcourt 349pp 2004

عن مجلة:  
New York Review of Books  
ترجمة: إنجي فنام وخالد مسود

العدد الثامن والسبعون - سبتمبر ٢٠٠٤ م



شكل أغذية الشارع الإيطالي: الماصوليا الملحة المسماة lupini والكسنة الحمص.



سترونج يؤكد أن الكتابات الرومانية عن الغذاء تدلّ بالكثير إلى اليونان القديمة، وهذا هو الواقع بالتأكيد، ولكن من الحزن أنه لا توجد وثائق كافية لتخبرنا ما يدين به المقتضون الرومان إلى الأثوري القديم، الذي كان - وربما مازال - تأثيره على عادات الرومان العذائية عظيما. ولذا، كل ما علينا أن نعله هو أن ننظر على الوجبات الأثورية العذائية، ولحظنا بلون والتماثيل التي شتّل صور رجال ذي العظماء وشاء ذات ذقون مثقلة وأطفال مبتليين.

الأثوريين كانوا معروفين بالاجسام الحسنة التفتدية، وهذا لسبب وجيه، باستثناء مساهمة العالم الجديد وتفتدية العصيدة المصنوعة من دقيق الذرة والطماطم والفلفل، فإن والام الأثوريين ربما لم تفتكر كل هذا التغيير على مدى الألفية، وهي بالتأكيد لا تقوم. قد يكون الطعام اليوناني القديم أمرا أكثر غرابة في وجود مثل تلك الأطعمة الشوية كالجبن والزوم مشوية في النبيذ، إنها نسخة يونانية من الجاهجس الاسكتلندي. على الجانب الآخر، فإن قائمة الطعام التي حافظ عليها الكاتب اثناوس من نوكراتيس، والذي عاش في نهاية القرن الثاني بعد الميلاد، تقدم ببساطة غنيمة غير ملونة من بحر إيجة في ورقة مشوقة: الأنقليس والورنك والهمس والتشفينج البحري والحبار والسبيد القريس الخفي بالصل، والمقدمة بين الأطباق الرئيسية من الشعير الأبيض والكرواسون مع الحورية المسجدة، لقد حظي الطعام اليونانيون بقوة سرية، فقد كانوا يهدفون إلى الاحتفاظ بالصفة من خلال الطعام بالمحافظة على الوسائل الأربعة للجسم وهي الدم والمخاط والمصاراة الصفراوية السوداء والمصاراة الصفراوية في الزران. إن كان المتوافق والتوازن يبدو أنه يحكم التكثير من الطعام في كل تقاليد الطهي، فإن الأساليب التي يتحقق بها هذا التوازن في آليات متعققة جدا، فطبخا للليونانيين، على كبار السن تضاد الشويات والجبن والبيض المسلوق جيد، وينبغي أن تكون الأطعمة التي يتم تناولها في الشتاء حريفة وأكثر قوّة وجفافا من تلك التي يتم تناولها في الصيف.

بهما عن طريق جسر صغيرة مجموعة من الصحنون التي تحتوي على حيوان الزغبة الخمس في العسل والمروش ببشرة الخضخوخة، كان هناك أيضا مذاق حارة موضوعة على شواية فضية، وتحتها بثور المائلة والأجاص.

و مائدة ترماتشيو مشهورة قبل كل شيء بالغذاء الذي صمم ليظهر على شكل شيء آخر، مثل الأرنب البري الذي يظهر على شكل حصان مسجن، والدجاجة الخشبية التي تضع بيضا مصنوعا من المجنات وملبنا بالظهير الصمغ، والحزير الذي يري على خنازير صغيرة مصنوعة من المجنات، وتنتطق من جوانبها المثقوبة بظهور الدجاجة.

من الواضح أن الأنواق الرومانية تحولت إلى مجموعة من الأنواق المختلفة عن أوقاننا. فكما يوضح سترونج أنه «الرغم من ذوقهم البسيط نظريا، كان الرومان يكرهون أي مكون في شكلة الصافي، فنادرا ما وجدت عظم وعظم بدون صلصة تقوم بتغيير مذاق المكون الرئيسي بشكل جذري، الصلصات المألوفة كانت تصطب بكثرة على اللحم (كما هو الحال مع تلك الزغيات الخموسة في العسل). السمك كان يقدم مع صلصة الحلو والحامض. بدما من بريطانيا إلى بيريوتس (بيروت اليوم)، كانت صلصة السمك المألوفة التي تدعى garum تمر عبر طرق تجارة البحر الأبيض المتوسط، لتقدم للناس الطرية الرومانية لصلصة ورسمسترشايير (صلصة السمك التايلاندية والفييتامية المعاصرة تتكون من مكونات مشابهة ولها مذاق مشابه). بعض الوجبات الخفيفة الرومانية القديمة ما زالت مستمرة حتى اليوم في

وحلوى عيد الميلاد. ولكنه حذف أي حديث عن عيد الشكر، العطلة الأكثر شهرة في الولايات المتحدة الأمريكية، وهو شواء ذو طقوس تقوم مكوناته الثقافية المختلفة، في كل الأحوال، بالإلمام بقصة قارة. فعيد الشكر الأول جمع المستعمرين الأوروبيين الأصلاف والمعلات الأصلية في لحظة عذبة حذرة، سواء من نصالهم المشترك ضد العناصر أو من تماماتهم مع بعضه البعض. لكن نفس هذا النضال ومهم هذه الهذات يمكن أن نرى صورة تقريبا طبق الأصل منها في ولاقم أخرى من مختلف الأزمنة والأمكنة، كما وضع لنا سترونج في سورة من التفاصيل القصصية والتوارد - وفي الكتب التي تتحدث عن الغذاء، كما هو الحال في الحوارات حول الغذاء، الحكايات والتوارد ضرورية.

وهو يبدو بما اسماء - وله الحق في ذلك - «أشهر وصف كُتب عن وليمة، وهي المائدة التي مثلت الجزء الأساسي من كتاب ساتيريكون للكاتب الروماني بيتروليوس والذي كُتب في ذروة عهد الإمبراطور ثيودور وذلك من المحتمل أن يكون سنة ١٣-١٥ بعد المسيح عليه السلام). يقوم بيتروليوس بالاستهزاء من سوقيه مضيق مبادئه الخيالية، العبد الذي تحبواصيص ترماتشيويسو البلوتوقراطي، الذي كانت أخطاؤه المحوية متنوعة ومتكررة تماما مثل أخطائه الاجتماعية الفاضحة. وقد صور فيليني هذا العشاء في فيلم، لكن وصف بيتروليوس كان غريب بما فيه الكفاية: في بداية الوجبة، ستجد حمزا من البرونز الكورينثيانتي يحمل ستة بتشين يتخوى أحدهما على الزيتون الأبيض والآخر على الزيتون الأسود... متصل

التي تملأ القصر بأكمله... وستشرق تلك تريد أن تشرب تلك التي تستطيع ذلك على شرب من هم أعلى منك. أما الجن فنادرا ما سير أصاصلك، وإذا حدث واستطعت الحصول على قطعة منه، فستجده مليئا بالديدان وملبنا بالخروم وقثروا صلب من الحجارة. وسيكون المزيد التان وشعم الخزير الغاسد هم التوابل التي تستطيع الحصول عليها، وستحصل على البيض فقط عندما يكون قديما لدرجة وجود أفرار صغيرة بداخله، خبزك وتفا حاك سيكون متعمنا أو أخضر، وإذا لم تأكلهم سيذهبون إلى الخزائير... فاللوردا يجب أن ملاحظة التفات بين انصهم وخمهم.

ملاحظات روى الشهية توضح كيف راقت الأطفال السادية في أغلب الأحيان الماد، بدما من رب الأسرة الروماني الذي قطع أيدي عبيد وأغمره في بركة أسماك لكي يلتقط قذرا على في الدقيق، وصولا إلى الفلمسطينيين القدماء الذين قدموا شامشون المعصى كفاصل ترفيحي لوليمة (على الأقل حتى قام هو بهدم قاعة الولام على رؤسهم). متشور عصر نوصه كان عندهم تنوعياتهم لتفليس، على بالكاك أكثر لتفحنا من الرومان القدماء الذين الهومهم في الأسا. وتقول الإشاعة الشريفة أن البابا الكسندر السادس يورجيا دما في إحدى الحرات خمسين فتاة ليل عارية وأمرهن بالحنو خلص فرس كستلاني اللون على واحد من أراضيات القصر الباباوي بينما هو والكاردينات وابنته لوكريزيا يتسرعون. وقد قام أحد الكاردينالات باستضافة مائدة مشهورة سميت «مائدة جهم، حيث وصل ضيوفه إلى فيلته المغطاة بالأسود للشرب من الجصاصم: هي حين أن الحظيرة المتعسرة التي تدعى Matrem non vole، أو أوماسي لتردي أن - تقينا من الخوف، أما البابا ليو إكس، ما لوريونو العظيم، فقد أقبع مهرج بلاطه بأن يأكل سرة جلدية كاملة طبخت في الصلصة للديدة.



لكن الولائم التي وصفها سترونج بأقل معرفة، ومن الواضح إنها المفضلة لديه، فكانت تلك الاجتماعية المسمة بإشراة والبهجة التي كان الناس منذ قديم الأزل يقيمونها لتقريب أيام السنة. وأغلب هذه الولائم كانت لإحياء مناسبات دينية أو كانت الولائم نفسها مناسك دينية، عيد الفصح والعباد الرثائي

## روى سترونج يكرس فصلا

ساحرا لوصف غرفة الطعام الفيكتورية،

موضحا بأنها يمكن أن تصبح مكانا رسميا مليئا بالنمساك والقواعد كمدينة أختانوث المقدسة

لنقرص الشمس أو حفلة الشاء

اللاتهائية على جبل أوليمبوس





الملايس القضاة لأحد الخطابات  
البذاء. ومن المسرحية أن خطابات  
شيجي تكشف كونه رجلاً ذا ذوق عادي  
في الطعام، فيبدو أنه لم يرق له أكثر  
من ثمرة كمثرى طيبة والحن الطراح  
المخوف في ديات يدعى رافيجيللو.

مهما تمت دراسة التاريخ الكلاسيكي  
لمآب عصر النهضة، فهي تختلف جذرياً  
عن سابقتها القديمة في وجه واحد وهو  
استمرار السكر الذي جزء من العالم  
الجديد وجرر الكثرى في انتشار مستمر،  
فمنذ بداية القرن الخامس عشر تم  
تشكيل السكر على هيئة تماثيل مدشنة  
كانت تسمى تريونسي. كذلك فقد المسحق  
الحلو طريقة إلى أطباق المائدة، حيث بدأ  
وجوده يغير من غامات الطهي الأوروبي  
من الجصع القديم بين السحوم  
والصلصات الحلو، إلى التناقص الأكثر  
وضوحاً بين الحلو والذائق اللطيف. وفي  
نفس الوقت تقريبا بدأ ظهور الشوكه،  
بداية في إيطاليا ثم في بقية أوروبا  
(بالرغم من صعوبة تخيل مدى التامن  
يستخدم شيئا بهذه القوة، فحتى الملكة  
اليزابيث كانت تكفي باستخدام سكين  
للتنقير).

جاء منتصف القرن السابع عشر  
بالقهوة والشاي والشكولاته والضمبابيا،  
إضافة إلى الترتيب الدقيق للعمادة،  
مناخف المائدة مطوية في أشكال خالصة  
وتماثيل من السكر والبرونز تزين المائدة.  
وفي الفايكاليات، كانت الموضوعات المقدسة،  
مثل جبل المسيح، قد تطهر في ترائوني  
من السكر وسط الكناديب، وكذلك كانت  
المنظر الأسطورية أحياء، مثل الطفل  
هرقل يخنق الثعابين. أصبحت طاوله  
المائدة منظرًا طبيعيًا، أو مسرحاً بذاتها،  
كما كان من الممكن أن تصبح مسرحاً  
لأزمات الموبية كما حدث عندما التقى  
البابا الكسندر السابع عام 1660 هي  
البروتا دال بويولو في روما بالملكة السويدية  
كريستين. التي تحولت قسداً إلى  
الكاثوليكية. كان الكسندر يتطلع بشغف  
إلى اللقاء، فقد كانت تحول الملكة ونزاعها  
عن عرش السويد يدهد بحليف قوي  
جديد للكاتوليكية، ولكن كريستينا لم  
تكن كما توقع البابا تماماً. لقد كان هو  
رجلاً إيطالياً في النهاية (إن نفس عائلة  
أجوستينو فيجي)، ولابد أنه كان ينظر  
سحابة شقراء، لكنه بدلاً من هذا يلقى  
لأزمات مملكة صغيرة الحجم وراكثة  
البشرة وبازرة المعينين تدعبلق: «إنها  
ليست جميلة، وعندما أصبحها معه  
إلى المائدة، شكت أن منصفتها أقل  
ورفضت الجلوس إلى المائدة

فصوراً، وجمال تحمل سلالاً كبيرة وأيالل  
وأحاديث القرن، كلها من الذهب والفضة  
واللؤلؤ، والمزينة معقطة النوق.  
يحمل راية شارة مقاطعة النوق.  
وفرت مأدب عصر النهضة لسترونج  
الكثير من الحكايات، خاصة في روما  
وحيث تحولت مأدب العشاء الفاخرة إلى  
نوعية بناتها، ولم يستطع الباباوات أو  
الكرادلة مضاعفة حفلات العشاء التي كان  
يقضيها لدى سيينا، أجوستينو شيجي،  
التي كانت استراتيجيته الماكرة وأمواله  
التي لا تحصى تدعم المشروعات العظيمة  
للبابا يوليوس الثاني والبابا ليو العاشر  
في العقدين الأول والثاني من القرن  
السادس عشر. لقد كان شيجي يتباهى  
بتصالياته بالسلطان باجازيت الثاني  
بامتطاء الجواد الرابع الذي جاءه هدية  
من الباب العالي، ويتقنيه مسعدة السنة  
البخايات القادمة من القسطنطينية في  
حفلاته الليلية.



يكسر سترونج صفحة لعدد من  
مأدب شيجي التي لا تنسى، بما فيها  
تلك التي القيمة في الشرفة الخارجية  
الخاصة به بجوار نهر تاوير. ربما في عام  
1614. فقد تم تقديم الطعام إلى  
الكرادلة الذين حضروا في أطباق من  
الذهب تحمل رموزهم، وكان يتم إغلاؤها  
في النهر بعد الانتهاء مما فيها. لكن  
شيجي الذي كان من كبار المخادعين  
طبق للتقاليد الكلاسيكية، كان قد مد  
الشباب تحت سطح المياه لجمع الأطباق  
مرة أخرى. فقد أجوستينو أحد شرفه  
فضيا يظن أنها تم إغلاؤها أسفل

بقطعة من الخبز، ثم بمنشمة المائدة،  
وكان الملح يؤخذ بطرف السكين ولا يتم  
مناولة أي شيء دون الانحناء المتبادل  
تعبيراً عن الاحترام.

عند انتقاله مباشرة من هذه الرؤية  
الهائلة إلى قاعة ولأم الفايكنج، يوضح  
سترونج بجلاء أنه لا ينبغي علينا انتظار  
التياب أدا المائدة بعد، لكن الشهامة لثاني  
بأقارها في النهاية، فيحلول عام 1718،  
وضع إيطالي من تريستا يدعى توماسينو  
دا سركاريا 16000 سطر من الشعر  
لتزيين الأخلاق الأخلاقية على المائدة،  
ينبغي للرجل أن يكون حريصاً  
لا يصعب الطعام  
على جانيه جيوف المم  
وأن يحترس عنده  
من تناول الشرب والحديث  
بينما هناك شيء في فمه  
في الجبل التالي، وعلى التهيب حد

كون التمشط في منشقة المائدة  
واستخدام السكين لتنظيف ما بين  
الأسنان، وهو مآل يحدث هنا وهناك من  
التصرفات غير الطيبة.

بحلول القرن الخامس عشر، اعاد  
إحياء اهتمام بالأعمال الكلاسيكية  
اليونانية والرومانية مرة أخرى الأفكار  
الكلاسيكية لتناول العشاء، خاصة بين  
الإيطاليين، وليس من المدهش أن نجد  
مأدب مقاطعة برجندى في 1418  
للاحتفال بزواج شارل الشجاع من  
مارجريت أميرة يورك، كانت ثورة في  
الطعام.

لقد تعد الضيوف ليجدوا خمسة  
عشر من طيور البجع المحلية بألوانها  
وسنة بالفضة، ترتدى كل منها رباط نوط  
الصفوف الذهبي وزم كل فارس، وكانت  
المائدة تضم تشكيلات من أفيال أسفل

لقد ظهرت هذه محاكاة ساخرة وسفلية  
لفلسفة الطهي منذ في وقت مبكر من  
القرن السابع عشر على يد عالم المآتي  
ولس للكتب يدعى مشيرون جولدمت، قام  
في حوالي عام 1166 بتطبيق سلسلة من  
الخطابات بين كليبوتار ومارك انطونيو  
والطبيب كونتس سارونس (التي في  
الواقع عاش بعدهما بجيلين)، طلب فيها  
انطونيو النصح بخصوص كيفية الحد  
من الشهوة الجنسية لكليبوتار، فكوفئ  
بمجموعة من الوصفات. فمن أجل تلك  
الطبيعة العارة لكليبوتار، تصعب الطبيب  
سارونس بنظام غذائي من خبز الحبوب  
والخس والطل والقليل من الملح والنبذ  
الفاصل الطعم واللحم والأشياء عديمة  
الطعم، ومن أجل انطونيو البليد، تصعب  
بالفجل الحريص. لم يكن جولدمت،  
بشخصيته المثقفة، شيئاً سوى عالم  
بالأمميين القديم.

استمر السحر على هذا العصور الوسطى  
في السبر على مدى الاعتقاد أن الطعام  
دواء لأسوأ الجسد، لكن الأبياد التي كان  
يتم فيها اتهام هذا الدواء أخذت أشكالاً  
طقوسية جديدة مع ظهور المسيحية.  
حتى يتم نقل مدى تناول الطعام في  
العصور الوسطى، يشارن سترونج بين  
وجبة في حجره طعام أحد الأديرة ومأدبة  
في قاعة الملك. كلاهما تظهران المعنويين  
وهم يجلسون في وضع مستقيم بدلاً من  
الانكساء طبقاً لماركسول. القديم للبحر  
الأبيض المتوسع، وفي كلتا الحالتين،  
تكسو الوجبة لفة العشاء الأخير. بيد  
أن مأدب العصور الوسطى لم تختلط  
كثيراً مع المآب في اليونان روماً، فمثل  
الكثير من الناس حول العالم، رفض  
اليونانيون القدماء بين الأوامر  
والتنصحية بالحيوانات (مؤكدين بهذا  
التسلسل الغذائي). إن العشاء الأخير ذاته  
وجبة للأخص، ضام عيد الفصح  
اليهودي الذي أصبحت عليه السجدة  
للمسيح التي قبضت عليه لصلبته  
الرومانية في نفس الليلة وقتلته اليوم  
التالي.

أكثر ما يربط بينه سترونج وبين  
مائدة المسيح هو ذبائح الأخلاق، متمثلة  
في التحضير العائلي للمكان والاحترام  
الشديد الذي كان يبديه رهبان المعمور  
الوسطى.

كان الرهباني مجتمعون ويفعلون  
أبديهم قد يدخلون قاعة الطعام، أمام كل  
راهب كان هناك سكين وقطع وقطعة من  
الخبز تجعله يقطع من القماش. كانت  
الأفخاذ تحمل بكثافة الدين ولا تنظف  
بالأصابع، ولكن بقطعة من القماش، وكان  
ينبغي بداية مسح الأصابع والحساكين





# الصيف عندنا يعني تخفيضات

أيوه...الآن لفترة محدودة  
خط التلفون بالساحل الشمالي  
بالسر المادي بدلا من السر  
الفوري.

تعاقد دلوكتي في منافذ  
الشركة في كل من مارينا  
ومراقيا والتركيه خلال ٢٤ ساعة.

انتهاز الفرصة حتي ٢٠٠٤/٩/١٥

الصيف عندنا يعني تخفيضات



المصرية للاتصالات  
Telecom Egypt

لمزيد من المعلومات اتصل بـ ١١١

تهتم وجهات نظر، بتعريف قرائها بجديدي المكتبة العربية والعالمية، وتشكر الناشرين والكتاب والمؤلفين الذين يساعدونها في ذلك، وتدعو قراءها لإرسال مراجعاتهم النقدية لما يرونه من إصدارات. ٥٥

عمره لم يتجرح لحظة واحدة في أن يروح بكل ما يدور في خلد، من طفولة قضاهها في مركز الأيتام، والسرقعة والتسول والعمل في الساحة، حتى أحلامه في عبور البحار والمحيطات بحثاً عن الفرواين الأوروس.

والسار العام للأحداث يشي بما يشبه السيرة الذاتية للمؤلف، والتي يكتبها بطله «إبراهيم»، في رسالة موجهة إلى شخص يعرفه، وتبين فيما بعد أن هذا الشخص هو رئيس الجمهورية الفرنسية، ثم يكشف القارئ أن الرسالة لم تكتب وبالتالي لم ترسل، بل بقيت تدور في فلك الفكر الطموح المغربي الذي يحلم مثل كل الفرواين الأوروس.

ورغم ذلك قصصة «إبراهيم» لم تكن تعكس سيرة المؤلف بل هي صورة فنية تسير غور أولئك الباحثين عن فردوس مفقود، الذين يملكون في منابر السفن أو يبنون شواطئ أوروبا ليكادوا ما هو أظلم من الموت، حيث تحفر قضايها على السطح ضاماً مثلما تطفو جثثهم المبعثرة على الشواطئ.

الحكاية الشعبية.. دراسة في الأصول والوفاين الشكيلة  
سأى عبد الرأب بطه  
القاهرة: الهيئة العامة لنصوص الثقافة، ٢٠٠٤، ٣٠٢ صفحة



لعبت الحكاية دوراً مهماً في حياة الإنسان منذ وجوده على ظهر الأرض وتكوينه اجتماعات بدائية، فهي أصغر الفنون على وجه الإطلاق، وأجدها بها الإنسان الأول غريته، ورسم من خلالها أفكاره وخوارزمه، كما جسد بها أيضاً كل رؤاه عن الكون والبشر والعلاقات المشتركة في هذه الأرض، وجسد فيها توجهه، ووجهته وأحلامه والأمل.

وكما يقول أدبنا الكبير خيرى طليب كانت الحكاية هي أول مصادر الانس في الوجود... وفي القول المأثور، في البدء كانت الكلمة، وما إن وجدت الكلمة حتى تكونت الحكاية في الحال... والحكاية هي مأثور الكلمة وتاريخها ومضمونها، والحكاية بالضرورة شعبية في المنشأ والأجاء.

سقطت القنبلة فوق مستوصف الدكتور «شيماء» وفي شوان تبخر المستوصف من فيه، ومات ٢٨٨ من الذين كانوا متواجدين في دائرة قفلهما ١٥٠٠ قدم على الفور. ولقد الباقون منهم حياتهم في الأسابيع أو الأشهر التالية بسبب الإشعاع.

يستعرض الكتاب من ناحية ثانية الإصرار على إنتاج هذه القنبلة الوحشية، وكيف كانت هي الحل السحري لدى العديد من السياسيين الأمريكيين لإخراج اليابان من الحرب دون التورط في هجوم عسكري تقليدي لاحتلال اليابان ومواجهة مقاومة عنيفة من اليابانيين المتحسين.

ويقول المؤلف إن التاريخ الموهو الأمريكي يظهر أن رؤساء أمريكا ظلوا دوماً يقعون بسهولة في مصيدة المتحمسين للأسلحة الفتاكة، وظلوا يمتدحون إلى القدرات والمهارات الفنية اللازمة لتفكيك الخطر الاستعماري السين للتكنولوجيا في مجال التسليح. وهو الأمر الذي يتطلب البحث عن آلية تنظيمية جديدة عبارة عن هيئة صامدة مستقلة تعمل باستقلالية عن الرئيس وقبحة المسمية، وتقدم للتأجيل والتأري الصورية وحشية وكاسية بكل الخطاطر والكاسية حتى يتاح للجماهير الحق في الاختيار الواسع بين المكاسب قصيرة المدى، والمخاطر البعيدة المدى.

ويؤكد المؤلف أن الدرس المستفاد من هيروشيماء هو طرح فنية: العمل مقابل الإبادة.. بعد أن جاء الفجر النووي وبعد كادب يحمل الدمار للإنسانية وللعقل البشري.

اقتسام العالم  
كبير مصفى حنى  
ترجمة: د. علي نجيب إبراهيم  
دمشق: دار كتمان، ٢٠٠٤، ١٢٣ صفحة

في هذه الرواية، تتصهر ثقافاتنا، الغربية حيث ترون أحداثها في الغرب، والغربية حيث تمت كتابتها بهذه اللغة بكل تأريخاتها الثقافية والاجتماعية على المؤلف.

بطل الرواية طفل في العاشرة من

ومحيطات يستأصلون من أجل السيطرة عليها السكان الأصليون، باستخدام القوة البدنية والسياسة والاستثمارات الخاصة والظروف الحكومية والذو الحظر الاقتصادي، وإقامة قواعد عسكرية واستخدام الأسلحة في البحر والبر والجو والحرر في الشمال والجنوب.

ورغم أن تاريخ الولايات المتحدة لم يشهد استعماراً لدول العالم الثالث كما فعل الأوروبيون المستوطنون، إلا أن سياستها كانت تعتمد على الفرصة للاستيلاء على ثروات العالم والسيطرة على مناطق المواد الخام في مزارع أمريكا الوسطى وموارد أمريكا اللاتينية، ومناخ النفط في الخليج العربي والنحاس في تشيلي والجنوب في الهند والمطاط في إندونيسيا.. فالأولاء الأمريكي ينتشر في كل أركان الأرض بدون أن يضع حداً لشراسته ونهمه أو سقفاً لطموحاته الشريرة أو حدوداً لشره، فهو يبحث ببقائه إلى الخارج مع بيروقراطيه ومشرقيه ومصرفيه ودون أن يتورع عن الكتب والتهديد وشراء الذمم والرشاوى أو ارتكاب جرائم القتل البغيضة، من أجل تحقيق منطته الخاصة وخدمة أهداف هومية لا يتورع صانعوها عن عقد القتر الصفقات في سبيل تحقيقها.

اليوم الأول  
قيل هيروشيماء ويعداه  
بيتر واكين  
ترجمة: هاشم حبيب الله  
أبو طليح: المجمع الثقافي، ٤٢٢ صفحة، ٥٠ درهماً

يحكي هذا الكتاب قصة مدينة هيروشيماء حين دوت صواريخ الإنذار في سماءها طويلاً، مشيرة إلى انتهاء العارة عند الصاعقة للصاعقة والنصف من صباح يوم السادس من أغسطس عام ١٩٤٥. ولم يدر سكانها أن طائرة أمريكية ستحمل لهم مفاجأة موهبة في الصاعقة الثامنة والربع من صباح ذلك اليوم الحار المطرب، حينما ألك إحدى الطائرات الأمريكية التي تحمل أول قنبلة ذرية في التاريخ هذه المدينة إلى قطعة من التجميم.

يحكي هذا الكتاب قصة مدينة هيروشيماء حين دوت صواريخ الإنذار في سماءها طويلاً، مشيرة إلى انتهاء العارة عند الصاعقة للصاعقة والنصف من صباح يوم السادس من أغسطس عام ١٩٤٥. ولم يدر سكانها أن طائرة أمريكية ستحمل لهم مفاجأة موهبة في الصاعقة الثامنة والربع من صباح ذلك اليوم الحار المطرب، حينما ألك إحدى الطائرات الأمريكية التي تحمل أول قنبلة ذرية في التاريخ هذه المدينة إلى قطعة من التجميم.

المولوخ: إله الشر  
تاريخ الولايات المتحدة  
كارل هينريش دشر  
ترجمة: محمد حديد  
مراجعة وإعداد: ريدل مني  
دمشق: دار قدس، ٢٠٠٤، ٢٠٠ صفحة ثانية، ٥٧٨ صفحة، ١٥ يورو



كما تعيد التوراة، إله الشر أو الهبشاء.. هو إله الكنعانيين والعموريين، هو الوثن الذي يذبح على مذبحه البشر.

وفي هذا الكتاب، يبدو المولوخ وكأنه المرجعية التي تستند إليها الولايات المتحدة الأمريكية في سياساتها، وأسلوب الحياة فيها، وطريقة إدارتها لمعاملاتها الخارجية، فمنذ وجدت الولايات المتحدة وهي تسعى إلى سياساتها، وأسلوبها يندون له بكل شيء، فالزراعة والمدينة والولاية والأمة نشأت من رحم العنف الذي بدأ مع إله الرود والمستوطنين الذين أزالوا كل ما كان ينافي في طريقهم، ولم يقتصر هذا على السكان الأصليين الذين سلبوهم كل شيء ولا على الطبيعة التي فهمت أنها من أجل منفعتهم وحدهم فقط، بل شمل أيضاً مرجعهم المسيحيين من منافسيهم في طلب الرزق، لأن كلا منهم كان أياً لنفسه فقط، وكل امرئ آخر عداه خصماً وعدواً يجب معارسته سلا هوانة إذا تعارضت مصالحهما.. فلوذا قاموا باستئصال الهنود الجمر ماقتل، ويطرد الهولنديين والبريطانيين والأسبان والفرنسيين، حتى قامت الحرب الأهلية التي شهدت أهواً رهيبة، واستمر هذا التاريخ المدمر ماعمال المستوطنين الإجرامية الدائمة، والقتال من أجل الأعمال، وفضائح الشرطة، والفظائع ضد الشرطة، وجرائم القتل التي ترتكبها المديانة، وجرائم القتل من محاكمة قانونية، وبالحرروب المعاقبة، وكل هذا دعا الكثير من المؤرخين الأمريكيين إلى القول بأن: الأمة الأمريكية تفرغ إلى العنف وأنه لا سبيل إلى إصلاحها.

ويجانب هذا العنف هناك سمة أخرى مرتبطة بتاريخ الولايات المتحدة وهو ما يمكن أن يسمى بـ «الزحف التوسعي» الذي لم يكن له مثيل، وزيغات لا تقصير في امتلاك الأرض والسلطان والأسواق، وجوع وفقر هؤلاء الأمريكيين إلى قارات

انتاج فلسفة عربية معاصرة تتسح للإيمان العربي أن يتقدم بحسب ثابته على مدى وبصيرة في مواجهة تحديات شرسة تحاول الفلاحة من جذوره وسلبه روحه وانتزاعه من تاريخه وهويته

■

## حقوق الأرض

هو حريج حراهم بابك ديميد سلسي  
ترجمة إيد ملحم  
أو طلسي الجمع النقاشي ١٤٦ صفحة.  
١٥ درهما



يحتوي هذا الكتاب على شهادات علمية حية عن القضايا المعاصرة التي تعكر صفاء هذا الكوكب، ولقاءه بقلب الأروان أو ارتضاع درجة حرارة الأرض أو الاطلال الحصصية، تقدم هذه الشهادات في ميثاقها الأخير، نموذجاً واضحاً لما ينبغي أن تكون عليه طريقة حياتنا في التعامل البيئي السليم مع هذا الكوكب الجميل.

ينطلق الكتاب من حكمة نبطية تقول: إننا لم نرث الأرض من آبائنا، وإنما نحن نستعيرها من أبنائنا. ولكن تستمر في الحياة على هذا الكوكب لابد من الحرص على صيانة خيراته ونصن الثقل الذي يحرص فيه على ممتلكاتنا فالإنسان الذي يستنزف اليوم ثروات الأرض لي يحد في الغد ما يثبات به، كما أن هذا الإنسان مسؤول أيضاً عن تزايد الاستهلاك والتكدس، طمان المصانع التي يصعب التخلص منها بطرق آمنة خاصة مع انتشار ما تفرره المصانع من إشعاع وسموم وكيمائيات وغازات ومخلفات في البلدان المتقدمة. إضافة إلى استعمال الخصبات والهرمونات لتعويض هفر التربة المزراعية.

كل هذا يفرض علينا أن نتوقف لمراجعة مبادئنا السائدة وسلوكياتنا العاطفة، مع مراعاة قيمنا الترميمية، ومناهجنا المراسية، لإعادة التوازن بين مصلحة الإنسان وحقوق الأرض، للتحاط على صحة هذا الكوكب وبالتالي صحة الإنسان.

ويؤكد الكتاب أن "التربية، لتحمل القسط الأكبر من مسؤولية التغير نحو تعامل أفضل مع الأرض، كما يقدم شامح وطرق دروس شيقية وعملية لتحقيق أهداف هذه التربية لتنمية قيم وسلوكيات صديقة للبيئة

■

غير الإنساني الذي نعامل به نحن أو يعامل به غيرنا على مرأى منا. ويتنكس تعامل على هذا الإلال في أننا صرنا نصير تعصيب السجين أمراً مفروغاً منه، لم يعد تتعامل مع أثر ذلك التعذيب في السجن الصحيح، حتى بعد خروجه من السجن، كما أننا لم نعد تتعامل مع أثر التعذيب في متمعن، وهل يستطيع بسولة أن يعود إلى حياته اليومية العادية بعد خروجه من غرفة التعذيب

وإعتراف المؤلف نفسه، فإنه تناول هذا الكتاب بمعلبية الأبيص بمنزاجه واسلوبه، وبمقلية الباحث وبميسجيته العلمية المقلية، وربما هذا ما أعطى الكتاب روحه النبيلة التي تتسلك بصيرة عودة الإنسان إلى إنسانيته التي كان يبعدها اللاد.

■

## أفاق فلسفة عربية معاصرة

د. أبو يعرب المروزي، د. طيب تيزيني  
دمشق دار الفكر سلسلة حوارات لشر  
جديد، ٢٢٤ صفحة ٢٠٠٤ ثيرة سورية



هل يمكن إنشاء فلسفة عربية معاصرة ومميزة عالمياً؟ هذا هو السؤال الكبير الذي يطرحه هذا الكتاب، ويحاول البحث عن إجابته من خلال محاولة بين معركين عريبين مروزيين في مجال الفلسفة، ويحاولان في ثنايا هذا السؤال، لاستخلاص إنسان فكرية تصنع لتفكير عربي أصيل وتمتم.

وهو يميل لكون هذه المحاورة يطرح المؤلفان عدداً من الأسئلة الصعبة مثل: ما الذي يحول بيننا وبين النظر العقلاني الفلسفي؟ هل هو العزب الذي دلثت وراءه في كل صغرهم وكبيره؟ أم في طبيعة تمييزنا غير العقلاني أم أن أفقنا ليست لغة فكر وثقافة؟ أم لأن المفكرين الإسلاميين قد أساءوا الفرصة بالسعي وراء تفكير الدين وتبني العقل؟ وتبني قيمة الكتاب في أنه يشند على أهمية التواصل مع الفلسفة التي فهمها العرب المسلمون مع نهايات القرن الثاني للهجرة في القرن التاسع للهجرة تاريخه وفقلاً آخر خلاصة ابن خلدون، خاصة في المحاولة العربية الشاذية للتخلص بدات مع بداية القرن التاسع عشر ولزلات مستمرة حتى الآن دون أن تحقق هوية خاصة بها.

ومع اتفاق مروزي والمروزي حديثاً واحتلافهما حديثاً آخر، فقد استطاعا تقديم محاولة جادة لنقد زناد الفكر الفلسفي العرسي الإسلامي، من أجل

## الليل

محمد ملص  
دمشق دار كتان، ٢٠٠٤ ٩٩ صفحة



في هذا الكتاب يقدم المخرج السوري محمد ملص ما يمكن أن نطلق عليه سيناريو أدبي.. يجمع ما بين سحر السينما ولغز الكتيبة حيث تشتمل الصورة السينمائية على الورق.

وهي عالم الليل حيث تحتلظ الأحلام بالانكسارات بالأصوات الخافضة والتخليلات المتخافتة، استقى ملص مادة شغله على نفسه، وهو يريد أن يخلص كل منا في أرق الليل ليكتشف نفسه في سحر القرام.

كل هذا من خلال كتابة سينمائية مغامرة تتجول بوهي وبحيرة معاً في الأساطير المشتتة من كتب الأوليين والحكايات الكبار وسط سكوت الليل يبرده الذي لا يخلو من زخات الأسئلة وربما المظر أيضاً.

■

## حيوة الإنسان

مدوح عدوان  
دمشق دار قدسي، ٢٠٠٤ طبعة ثانية،  
٢٢٤ صفحة، ٢٠٠٤ بوزو



يبحث هذا الكتاب في عالم القمع، المنظم منه والعشوائي، الذي يعيشه إنسان العصر.. وهو عالم لا يصلح للإنسان ولا نمو إنسانيته، بل هو عالم يعمل على "حيوة الإنسان"، أي تحويله إلى حيوان، كما يقول المؤلف.

حين نكتلم حجم مخازننا في مسيرتنا الإنسانية، نمتلك أناسه يستهين بتأ الحال إلى أن تصبح حواشيات من نوع آخر كما اسمع بالإنسان، من دون أن يعني هذا تغييراً في شكله، فالتميزير الأكثر خطورة هو الذي جرى ويجري في بنيته الداخلية، العقلية والتفكيرية.. طالما أن عمليات القمع والإلال والاستغلال قللتنا ومستمرة.. وإلا كان الأمر كذلك، فكم هذا كرامتنا وصداقتنا الإنسانية، وبخاصة إنسانيتنا حيث صرنا لنعدود على الإلال المحيط بنا، لنا ولغيرنا؟ وحتى صرنا نقبل هذا العنف والتعامل

وينقسم هذا الكتاب إلى قسمين. يرصد المؤلف في قسم الأول عبر خمسة فصول: الأصول الأسطورية للحكاية الشعبية، وأنواعها، والقوانين الشكلية والموضوعية وذرائعها تطبيقية، والبطل في الحكاية الشعبية. أما في القسم الثاني يقدم مجموعة من خصوص لوحات شعبية تعكسها مشهور وبعضها غير معروف.

## التلميذة الخالدة

أحمد الصاوي محمد  
القاهرة، الهيئة العامة للتصور الثقافية،  
٢٠٠٤، ٢٨٨ صفحة، ٢ جبهات



التلميذة الخالدة هي "مدام كوري" ١٨٦٧، المائلة الفرنسية المبكرية الشهيرة والتي نالت جائزة نوبل مرتين، الأولى عام ١٩٠٢، والثانية عام ١٩١١. وفي هذا الكتاب يقدم الصحفي أحمد الصاوي الرجل أحمد الصاوي محمد قصة كفاف مدام كوري على المستوى الشخصي والإنساني والعاطفي، وقد اعتمد الصاوي في كتابه على مصدر رئيسي هو ما كتبت به "إيف" بنت مدام كوري عن أمها في كتاب فرنسي نال شهرة عالمية لا تقصمه من دقة علمية وأسرار غير مسروقة واسلوب ياسر القلوب.

كانت قصة حياة مدام كوري أضيف بالأسطورة التي بدأت أول فصولها عندما شرت أن شاء قوي يدعوها إلى مفادها وطها وبولونيا، تترس في باريس حيث عاشت سنين في وحدة وإلاق، ثم التقت برجل عريق مثلها هزوتجته، وبهيات حياتها تعلم على اكتشاف في وروجهها تمييز عن طريق الاديوم الذي كان إيداناً ببولد علم جديد وفلسفة جديدة، كما هيا لتجنس البشرية كله سبيل علاج ناجح لاد فظيع.

وعندما خطف الموت وروجه ورقيق حياتها وعملها في طريقة عين، مصت مدام كوري تاريس عملها رغم جزع القلب وأرجاع الدين دون أن تأله لتمام أو الحياة الترية.

وحينما ماتت مدام كوري التي كان أسبها مارياس مسكونوفسكي، كانت استعياها إيد فذلك أن كانت طاول حياتها هذه الطالبة الفقيرة المسحورة بالأحلام الكبيرة التي لم تقصدها الشهرة أو المجد.

■

## القدس.. مدينة مقدسة

خالد محمد عازي  
القاهرة: وكالة الصحافة العربية. ٢٠٠٤  
٣٠٤ صفحة



المسوحات على تخصيص الهوية الإسلامية والعربية في المدينة التي لا توجد أي مدينة مماثلة لها في العالم كله. تحتوي على هذا العدد من المقدسات للبيانات الثلاث، كما يحدّث أيضاً من المؤامرات الصهيونية لتدمير المسجد الأقصى ومسجد الصخرة المشرفة.

يضم الكتاب كذلك عدداً كبيراً من المقالات حول القضية كتمتها رجال دين وسياسيون وأساتذة قانون دولي، تؤكد ضرورة القدس وضرورة التصدي للمحططات الصهيونية الرامية لاحتلالها من جنودها العربية وهويتها الإسلامية السعواء.

## أنثوية العلم

د. ايندا جين شيفر  
ترجمة: د. د. يميني طريف الخولي  
الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ٢٠٠٤



الفلسفة النسوية من أهم تيارات الفكر الغربي الرائج والفلسفة المعاصرة، وفطرت فلسفة العلم النسوية كتياراً واعداً بالجدد في فلسفة العلوم، يرفض اعتبار التفسير الذكوري المطروح هو التفسير الواحد، والتوحيد للعلم، فليس الرجل هو الإنسان، وليست الذكورية مرادفة للإنسانية، وليست المرأة جنساً آخر أو فوعة أدنى من الجنس الذكوري والأنثوية هما الجانبان الجوهريان لتواجد البشر، لكل منهما حصانته، وسماته ودوره، وتتكامل جميعها في سائر جوانب الحضارة الإنسانية، وعلى رأسها أمضى الجوانب وأشدّها فاعلية وحسماً، أي العلم.

وحين تكشف النقاب عن حقيقة العلم والتمارس العلمية، تكشف حقيقة كياناً تتكامل فيه سائر الخصائص الإنسانية الإيجابية، الذكورية والأنثوية على السواء، وليس الذكورية فقط كما هو سائد الآن، سوف يفقد العلم أكثر جاذبية وكفاءة، يؤدي إلى حصول أكثر أسوأ، وتوتراً وإقلاً إضراراً جاذبية. من قبيل التدمير الميعة وتضييع أسسها الدمار، والاختفاء أدلة لغير الشكافات والشعوب الأخرى.

لا يطرح الكتاب تفسيراً لنسوية مقابل، بل يعمل على اكتشاف الأنثوية كياناً جوهرياً للعلم، لاند أن يقوم بدوره في صياغة قيم العلم والعدالة، وماهجه وشرائعه ممارسة البيت العلمي.

دفاع شرس ونبل تحوّلته سطور هذا الكتاب، دفاعاً عن عروبة القدس ضد المحاولات الصهيونية لتحويلها وطرد الفلسطينيين منها.

يتناول المؤلف في مقدمة الكتاب، لماذا يقاتل العرب بعد أكثر من ١١٠٠ عام من عروبة القدس تهويد المدينة راضعين بالصلاة تحت الحراب الإسرائيلية راضعين الاقصي الاسير. وتحت حصار الكنائس، ويهددون ما يتوهمونه سلاماً.. مصيراً مشكوكاً فيه، وستكتلا يكتنه الموضي. يعود تاريخ نشأة القدس إلى أكثر من ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد، ويذكر علماء الآثار والتاريخ أن إحدى القبائل الكنعانية، العمورية، التي نزحت من الجزيرة العربية هي التي أنشأت المدينة، ولتلي تبدلت على القبائل والأنجاس والنفحات والحضارات التي أن اليهوديين العرب هم أول من أحاطوا المدينة بالأشوار وكان ذلك عام ٢٥٠٠ ق م.

يتتبع الكتاب لتاريخ القدس مؤكداً أن الوجود اليهودي بها كان وجوداً عابراً، بجانب الوجود العربي الأول والأشوري والبابلي والفراسي واليوناني والروماني، إلى الفتح الإسلامي، كما يلقى الضوء على الفخر الصليبي للحمية، حتى حرقها صلاح الدين بعد معركة حطين عام ١١٨٧، ثم تولى المماليك حكمها في القرن الثالث عشر، وبمعهم الأتراك العثمانيون، إلى محاولات الاستيطان اليهودي المتعلل في فلسطين والقدس والذي ارتبط بالمشروع الاستعماري البريطانية في المنطقة.

في فصل بعنوان "القدسيات الدينية" في القدس، يؤكد الكاتب أنه ليس لليهود في القدس أثر يهودي مقدس بارز إلا حافظ اليك وبعض كنائس حديثة العهد بالإضافة إلى بعض القصور، أما الآثار المسيحية بالديانة هي كثيرة نظراً لأن المسيحيين تواجدوا بأعداد غير قليلة في القدس عبر العصور وهناك كنيسة القيامة ودير السلطان وعشرات الكنائس الأخرى للعديد من القديسين.

أما المقدسات الإسلامية بالقدس، فقد بدأت منذ أن تحولت للمسعود بيت المقدس قبله لهم قبل أن يتوحد وجميعهم شطر مكة في السنة الثانية للإسراء والمهاجر. ومن أبرز هذه المقدسات المسجد الأقصى، ومسجد قبة الصخرة وعشرات الجوامع والأزوايا.

وفي فصل نال يحدّث المؤلف من حط

١٩٣٩ و ١٩٤٢، تدور عن الفتح مجد الذي طرد من قريته في دلتا مصر بقرار ظالم من عثماني، ليطلق بأخيه البهي في الإسكندرية، ويستقر في منزل يملكه قبلي يلتصق معه ويبدأ في مواجهة الحياة بكل صعوباتها.

وهو يطرح عبر العراي نسايات تهم القلب والوجدان حول جيرة المهنئين كل أحلامهم والتمسوا بهم، وسط صراع دولي دام بين قوى عظمى، ففتح في وجهه من الأحيان أوباء من الجحيم في وجه هؤلاء الناس العاديين.

## الحضارة الأوروبية في عصر الأنوار

بيير شونو  
ترجمة: سلمان حروش  
دمشق: دار كتمان، ٥٦٥ صفحة



فتحت عبقرية عصر الأنوار في أوروبا إبان القرن الثامن عشر، دروب الثورة العرفية أمام عصرنا الحديث في جميع الجادين، العلوم النظرية، الثورة الصناعية، الاكتشافات الكبرى، العمارة، الفنون، المواصلات البحرية والبرية، الفلسفة، والأداب، اللاهوت، اللغات، الصناعة، التجارة، الزراعة وغيرها الكثير. وفي هذا الكتاب يقدم مؤلفه دراسة موسوعية شاملة حول عصر الأنوار في القرن الثامن عشر وعلاقته بأحداث القرن السابع عشر الذي شهد تحصيلات ثورات كبرى في أوروبا مع سيادة العلم والتزعة إلى العقل في تفسير المجتمعات الاجتماعية، وأيضاً لتأثيرات هذا العصر على زماننا الحاضر.

يتناول المؤلف أن أوروبا الانوار حكمت علينا بالشعور المتواصل وخوض النفس المعاصرات، مثلما سمحت منا اختيار الرجوع إلى الحياة البدائية، وحتى وهم العودة المستحيلة إلى حصن الأمومة.

ولم يعرف التاريخ مثل تلك الحقبة التي هي على حد سواء بداية ونهاية.. وفي بداية السمو المتواصل، مثلما هي نهاية مجتمع تقليدي. كانت المعرفة والأخلاق فيه تنتقل من جيل إلى جيل لمقاومة والصراع، وهي غاية العالم المسيحي، الذي كان القرون المنصرمة عتق، إلا أنه على غير مستوى الأمراء إبان زمن الإقطاع، وأعاد القرن السابع عشر الروح إليه وسط شعب تكاثرت عدد أفرادها.

## على ضفاف الشعر دراسة في الشعر الليبي الحديث

صلاح الحداد  
القاهرة: دار البيئاني للنشر والتوزيع  
٢٠٠٤ ١٥٢ صفحة



يقدم هذا الكتاب حكاية الشعر العربي الليبي الحديث على مدى قرن من الزمان، في محاولة جادة ومعمقة للوقوف على ماهيته، والتعرف على قيمته، وتحديد مساراته واتجاهاته، ورسم خطوط صموده ووطئه.

يثبت الكتاب أن ليبيا ليست بلدًا عظيمًا من الشعراء والأدباء، وأن شعرهم يرقى إلى مستوى معانيهم وشعورهم الإنساني حيث يأتي الشعر أيضاً رفاقاً صافياً عبداً من نفس صافية عذبة شفت في هذه الحياة ولتعبت، وهذا هو الشعر الحقيقي، الذي ينبع من أعماق النفس الإنسانية فيترجم لها وماها.

والشعر الليبي ليس بحاجة إلى شيء، بقدر ما هو بحاجة إلى شئنا أكثر بالثقافات الأخرى، والتمتص أوسع في التعبير والكلمات.

## لا أحد ينأى في الإسكندرية

إبراهيم عبد الجهد  
القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٤، ١٥٢ صفحة



لعبت الإسكندرية في عالم إبراهيم عبد الحيد الروائي دوراً مركزياً، كانت خلاله مسرحاً لأحداث الغلب ورواياته وقصصه العصرية.

هناك إسكندرية في أدبه مدينة مصرية وإيضاً مدينة عالمية.

والعالمية في أدبه عبد المجيد تأتي من الصنق الغربي من خلال التعبير عن الحياة العصري فيها جيداً وصافياً، ولا تأتي من خلال التوغل في المحلية. بل من خلال رصد الروح الإنسانية المعاصرة التي تتعرض لها في إطار الحقيقة التاريخية التي تناولاتها أحداث الرواية كل صاحبها السياسي والاجتماعي.

وهذه الرواية التي تقع أحداثها في اتون الحرب العالمية الثانية ما بين سنتي

**الشملي في الصناعة الطبية الأدوية والأغذية كتاب الهزمة (الجزء الأول)**  
علاء الدين «أين الغيم» القرشي  
تحقيق د. يوسف زيدان  
أبو علي، الجمع الشامى، ٣٧٥ صفحة



هذا الكتاب، هو أكبر موسوعة علمية في التاريخ الإنساني يكتبها شخص واحد، فالكتابة العلمية اتجهت منذ بداياتها الأولى إلى شكل الرسائل القصيرة والفقول الموجزة. وقد كان العلماء القرشي اعتماداً للتقاليد الطبية التي أرساها من قبله لإعلام من نوع الرازي وابن سينا، وإن كانت علاقته بالأخير أقوى وشروحه على مؤلفاته أكثر

ولد العلماء في دمشق في السنة السابعة من مطلع القرن السابع الهجري، في فترة اعتبرت فيها الخلافة العباسية تحت وطأة مؤامرات القصور وتهديدات الخوارج الذين دخلوا بغداد عام ٦٥٦ هجرية.

ويقول محقق الكتاب د. يوسف زيدان أن الكتب الثمانية والعشرين في موسوعة الشملي المخصصة للأغذية والأدوية المرصدة أصغر عمل صيدلاني في تاريخ الإسلام والحضارات القديمة، وقد انطلق العلماء في تناول التخصص الطبي للأغذية والأدوية من النظريات التي اختلفت منها بحوله وكتاباته الطبية الأخرى. كطريقة العلاج بالصد، والوقاية الشافية الكامنة في الحسم وغيرها.. كما انطلق من قاعدة منهجية مفادها أن الطبيب يهتم من الثبات بأفعالها في مدن الإنسان، لا بخواصها من حيث هي بذاتها، فهذا عمل الطبيعيين لا الأطباء.

ويوضح المحقق أنه مع ضخامة الموسوعة ويبلغ صفحاتها الألف، إلا أن

مؤلفها ظل دوماً حيوي الأسلوب متدفق العبارات مع حرص شديد على استعمال الألفاظ السهلة الواضحة

### هجرة علماء الأندلس

د. عبد الرحمن علي الجحر

أبو ظبي، المجمع الثقافي، السلسلة الأدبية، ٢٩٠ صفحة



يتتبع هذا الكتاب مسيرة العلماء العرب في الأندلس والدين هاجروا منها قبل وخلال وبهم سقوط غرناطة. ويبين

طروف هذه الهجرة والتي كان لها تأثيرات سلبية خطيرة على الوجود الإسلامي في أوروبا.

وقد رصد المؤلف أسماء ثلاثة عشر عالماً عربياً هاجروا من الأندلس، مستعيناً بالمعتمد بن الحفص والكتابات التاريخية، وهو لا يستبعد وجود علماء آخرين قتلوا خلال سقوط غرناطة أو الذين والقرى التي أحرقوا أو الذين رهبوا التصدير فواجهوا القمع والموت من خلال محاكم التفتيش.

يلقي الكتاب الضوء على الأوضاع السياسية والاجتماعية في الأندلس، وكيف تخاصم أمراء الممالك الإسلامية هناك واستمالوا بأعدائهم وببطانة تصهر لهم الشرف فادى ذلك في النهاية إلى خروجهم كلهم من الأندلس بعد ثمانية قرون من الوجود الإسلامي والحضارة الإسلامية التي قدمت للإسبانية لا للأندلس فقط إلا علماء وعلماء في كل مناحي المعرفة.

### دوريات

**فنون مصرية**  
لقاهرة، وزارة الثقافة، العدد الأول، يوليو ٢٠٠٤



في طباعة أنيقة فاخرة، صدر العدد الأول من مجلة فنون مصرية تصدرها وزارة الثقافة، برئاسة المصممة الفنية مديرة مقرر عامر الذي نجح في أن يقدم للقارئ مجلة شديدة التميز والحرفية تمثل إضافة حقيقية في عالم الفنون والثقافة.

تصدر العدد كلمة من الوزير فاروق حسنى أوضع فيه طبيعة المجلة باعتبارها، خلاصة جامعة تجمعات بين الثقافة المصرية خاصة تلك التي لا تجد نوافذ ناشرة لخصائصها وسماها وإسهاماتها، أو كما كلمة التحرير هناك أشادت إلى أن صفحات المجلة عامرة بمصرية تؤكد من جديد القوة على أن تتماثل بالمساحة مع الرصانة، والجمال مع العرف، وتتجول فيها عين القارئ من خلال اللوحات وكأنه يزور معرضاً مطبوعاً

بعضاً مما هو جوهري في الفنون العربية. جمهور هذه المجلة كما يؤكد المشرطون عليها هم غالبية الأشخاص الذين يترددون على المكتبات ممن تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشرة والخامسة والثلاثين، والذين يشعرون بأن أحدًا لا يهتم بهم على الرغم من كثرة الكلام عن الشباب.

في مقال بعنوان «بطاقة دخول إلى عالم الفن الجميل» يستعرض منير عامر موضوعات العدد مؤكداً أنه يعلم بأن تكون هذه المجلة قادرة على بناء الجسور بين قرائها وبين العمال باعتبارها القيمة التي تشد المجلة الوصول إليها بتقديمها بمساحة إلى القراء. ضم العدد وقائع الندوة التي عقدتها لجنة المعارض بالأمس الأعلى للثقافة على مدى يومين وضمنت ندوة من أساتذة العمارة والبيئة والأطباء وممثلين سابقين بمحافظات القاهرة بعنوان «الحقيقة والجمع» والتي استهدفت الدفاع عن واحد من أهم حقوق الإنسان في الحياة وهو، حق التفتيش. شددت الندوة على أهمية الجدل في مواجهة التيارات التي يخدم على صدر القاهرة خاصة أن تصيب كل فرد من سكانها من الحدائق لا يتعدى ٣٥ سنتيمتراً مبرحاً، في حين يصل في مدن أوروبا إلى ٢٢.٨ متر مربع، كما تناولت الندوة وقائع اختيار حديقة الأزيكية التاريخية.

واشتمل العدد أيضاً دراسة كتبها د. خالد سامي عن المهندس المعماري الإسباني الطولي جاولي الذي يلعب مهندس العمارة البديعة، والتي جاءت أعماله لتكون جسراً بين «النسب» والحرفية.

وفي باب الآثار، قدم الدكتور إبراهيم النواوي دراسة عن رحلات الملك توت عنخ آمون، تناول فيها سيرة حياته والجدل المستمر حول نسبه وحول طروف مماته، وكذلك الآثار التي تم اكتشافها في مقبرته، ورحلة هذه الكنوز في متاحف العالم.

وتناول باب الآثار أيضاً موضوعاً عن متحف الإسكندرية الغموض أعده أحمد عبد الفتاح ومحمد الفوسى. وفي باب الفنون التشكيلية، قدم الفنان مصطفى علي العنصرى موضوعاً بعنوان محمود مختار... الفنان الذي تلمس الإنجيل من يد النحات المصري القديم، وكيف فيه سيرة حياة مختار الفنية وكيف تجلج عبقريته في تماثيله التي استوحى بعبرية لتحلى المصورين القدماء، وكيف فيها الحركة الثقافية والصنعة العصرية عندما ذهب للدراسة في باريس، وعندها عاد فراح أن يمسك بتأليب الشخصية المصرية.

وفي موضوع عنوان «كناز وأنا» رهرة المشعر، تناولت سناء الذهب الثقافية الغنى للمجلة قصة لعائنه ورواها من الفنان التشكيلي الراحل منير كنعان، وكيف وهب نفسه وعمره للفن

وفي باب الموسيقى كتب د. محمد الحوادى عن المتكثرة نسخة الحولى وجهودها الراسنة في أكاديمية الفنون ومعاهدها، وتناول أيضاً نشاطها في بيئة ثقافية راقية في أسرة تهتم بالعلم والثقافة والتطوير. ومع تعلمها أصول العرف على البيانو وهي طلبة صغيرة، تلمعت بمرور الوقت بالموسيقى العربية والتقت العرف على العود، وتلنى الدراسة الصوة على أفكار سمحة الحولى وعلاقتها بوالدها الشيخ أمين الحولى وزوجها المؤلف الموسيقي الراحل جمال عبد الرحيم، وعن أساتذها العظيم الدكتور حسين فوزى، وأيضاً على مساهماتها الأكاديمية في التحليل الموسيقي لروائع أعلام الموسيقى العربية المعاصرين

واشتمل باب الموسيقى موضوعاً بعنوان «هذا الماسترو نادر عباس قل لي من أنت؟» حول الموسيقى الغربية الأوروبية، وروز الماسترو في قيادة المايسترو، والذي لم تظهر الحاجة إليه إلا في أوائل القرن التاسع عشر حين بلغت الموسيقى الغربية أوج عبقريتها، والتقت القدرة على أدائها بواسطة الرائل الكبيره

العدد

عملها وطبيعة أفرادها وحدث الوسائل التي تستخدمها، بل إنه أصبح صديقاً لبعض المجرمين واصطبر إلى تعاملهم الخدراوات معهم، ولذلك فإن الكتاب يحتوي على لقاءات وأحداث وحوارات مع أفراد من هذه العصابات بالطمع مع تغيير في الأسماء صديقا للسرية وحفاظا على مصادر الصحف.

Cities  
(المدن)

John Reader  
Hennemann, 2004, £20.00



كيف ظهرت المدن؟ هناك إجابات كثيرة لكن البعض يقول إن بدأت كأماني أو تجمعات يقيم فيها الناس على أرض طينية مستوية بعيداً عن الغابات أو الجبال. وهي تصوير على العبرية الإنسانية وتطور.

وقد ارتبط ظهور المدن بالمشاهدة الدينية ولذلك أطلق البعض أسماء المدن على المدن التي التفتوا واستمر وأصبحت المدن تعبر عن عقل وتطور الإنسان وتحوّل إلى مخزون للتقدم المشرى على مدى العصور.

وفي هذا الكتاب يحاول المؤلف أن يفسح مساحة المدن ومدى الاهتمام للإنسان بالكتابة من هذه الظاهرة ويورد الكتاب ٥٠٠ عنوان لكاتب عن المدن منها كتاب لويس مافروني عن «المدنية في التاريخ»، وجين جاكوب عن الاقتصادات المدن، والمير بيتر هول عن المدن والحصارة.

ويورد المؤلف أمثلة وأرقاماً طريفة عن المدن وسكانها ويشير إلى أنه على سبيل المثال فإن البطاطس ضمنت وأصبحت مضافة للأكل في مدينة هيرشياما اليابانية بسبب القنبلة النووية التي ضربت بها الولايات المتحدة للبحر. ويقول إن لندن عاصمة بريطانيا التحت عام ٢٠٠٣ حوالي ٦٠٪ من عدد النحل الذي يأكله سكانها.

ثم تحدث المؤلف عن قضايا أكثر جدية فيشير إلى أنه في الفترة من ١٩٥٠ حتى ٢٠٠٠ ارتفع عدد سكان الحضر أو المدينة في أفريقيا من ٢٣ مليون شخص إلى ٣٩٠ مليون، وكثير المدن سكاناً حالياً هي تلك المدن التي تنتشر حولها الأحياء العشوائية في دول العالم الثالث.

وحقق الكتاب شهرة واسعة واحتل قائمة أفضل الكتب مبيعا لأسابيع طويلة. ويتبعنا نحدث الدوائر المحافظة في الولايات المتحدة بالكتاب ومؤلفه وكذلك أعماله السينمائية فإن أثير الليبرالي احتضن مايكل مور واعتبره أحد نجومه الصاعدين.

والكتاب الحالي يناقش مور وأعماله بشكل مختلف فهو مكون من عديد من المقالات والتحليلات حول مور وأعماله وتصريحاته وأهم ما في الكتاب هو أن مؤلفيه يتهمون مور بالتلاعب في الحقائق والإحصاءات وكذلك الصور لصالح تحقيق أهدافه. والكتاب يقول إن فكرة مور للتحقق والأرقام هي السرواء جاذبية أعماله. وعلى غرار عنوان كتابه جاء عنوان الكتاب الجديد

Gangs: A Journey into the Heart of the British Underworld  
(عصابات... رحلة إلى قلب عالم الجريمة في بريطانيا)

Tony Thompson  
Hodder, 404PP, £18 99



يقول المؤلف في كتابه إن المافيا الألمانية تتنافس مع نظيرتها الصينية في بريطانيا للسيطرة على تجارة الهجرة غير الشرعية وأن القصص الجامعيين هم ملوك السطو وأن المحتالين الفخوريين يارعون في النصب بشأن أمور البث.

أما مستورون الهيريزون من الأثراء فإنهم يستخدمون بعض المقاتلات التي يملكونها في لندن كواجهات لصلهم. ويشير المؤلف إلى أنه كما أن بريطانيا أصبحت دولة متنوعة الثقافات والأعراق فإن الجريمة فيها أصبحت متعددة الأهداف والأغراض والأعراق كذلك.

وهناك من يربط الجريمة المنظمة أو التي يعلق عليها عابرة الدول والقارات بتجريب الخدراوات. وفي هذا المجال فإن لندن أصبحت، كما ذكرت بعض صحف بريطانيا، ماصمة تجريب الخدراوات في العالم. لكن المخابرات تنصر واحد من عناصر عديدة في عالم الجريمة المنظمة التي تتنوع أعمالها من تهريب البشر والخدراوات إلى تهريب الأموال وغسلها والتجارة في السلاح.

وقد تمكن المؤلف وهو محرر صحفي متخصص في تغطية الشؤون والجرائم وفاز بجائزة على عمله، من التسلل إلى هذه العصابات لكي يتعرف على كيفية

إن الأمر المهم بالنسبة للشرطة النووية، كما يقول بعض الخبراء، هو أنها نجحت في جعل العالم آمناً خلال نحو ٦٠ عاماً من الصراع بين المملكتين الأمريكية والسوفيتية وهذا وحده يبرر أن تنضم الولايات المتحدة وحدها ٥.٨ تريليون دولار على الأسلحة النووية، لكن منذ نهاية الحرب الباردة أصبح الحديث عن سباق القنبلة النووية كراخ أقل تأكيداً، فالخوف تصاعدت من أن أسلحة الصغار التشارل يمكن أن تنتشر بشكل من الصعب التحكم فيه وأن فصل هذه القنابل بشتى أنواعها إلى أيدي غير مستولة

وقد قدم مؤلف الكتاب وهو أستاذ للتاريخ الحديث في الولايات المتحدة كشف حماس أكثر اختراعات الإنسان دموية وهو يقول إن من الصعب إصدار حكم مطلق على القنبلة، فهناك من يدينها بشدة وهناك من يتحدث عن الفائدة التي أسندتها للبشرية ويتحدث المؤلف عن عديد من الماسي والاتكاليات لحقوق الإنسان ثم ارتكبتها في الولايات المتحدة من خلال إجراء اختبارات على سجناء وعرضي تجربة الملائكة مثل كما تم تعرض سجناء للإشعاع لقياس مدى التأثير الذي يمكن أن تحدثه القنابل الإشعاعية.

Michael Moore is A Big Fat Stupid White Man

(مايكل مور رجل أبيض سمين وبغبي)  
David T Hardy and Jason Clarke  
Regan Books, 246PP, £14.99



خلال السنوات القليلة الماضية ربما لم يحظ مخرج أمريكي بالمشهرة والضحك والجدل كما حظي مايكل مور. فقد أثار مور عاصفة من التأييد والسمعة له بعد سلسلة من الأفلام السياسية التي شجرت بالخروج عن الخط المرسوم للسياسة السياسية الأمريكية خاصة المحافظة. وكان آخر أفلامه وهو حول أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ قد فجر ضجة كبيرة داخل وخارج الولايات المتحدة وصفق له فاحم كثيرين بينما سخرت منه إدارة الرئيس الأميركي جورج بوش باعتباره نوعاً من المانديتاريا الفنية ورفضت عدة دول عرضه لأنه يهاجم بعض الدول.

وقد أثار مايكل مور كثيراً قبل عدة شهور عنوان رجل أبيض سمين، انتقد فيه بشكل كبير سياسات الرئيس بوش وشخصه

Capital of the Mind: How Edinburgh Changed the World  
(عاصمة العقل... كيف غيرت أدبرة العالم)

James Buchan  
John Murray, 2004, £ 9 99



يتناول الكتاب دور العاصمة الاسكتلندية أميرة في الثورة الفكرية والعلمية التي شهدتها أوروبا والعالم في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر بشكل خاص.

ويقول المؤلف إن مفكرين أدبرية والتويريين خلقوا عالمًا أساسه المساواة والديمقراطية. وقد انتشرت أفكارهم في شتى أنحاء العالم بمصل اللغة الإنجليزية وبفضل التوسع البريطاني والأمريكي.

ويعلق الكاتب على أدبرية لقبها الشمل وهي عبارة بهذا اللفظ، فقد انتشرت فيها الجامعات التي كانت مثارات للفكر والمعرفة والخروج منها مفكرون وأدباء وعلماء أشهرهم آدم سميث وديفيد هيوام وغيرهما. ومارات المدينة تستحق حتى الآن باستطلاعي جامعاتها وقدرتها على الإسهام العلمي في الأبحاث والاكتشافات. وقد كان معهد علمي استكشفي في سنوات أول مؤسسة علمية تقوم باستسحاق الحيوان حيث جرى استنساخ النجعة الشهيرة دولي

The Bomb: A life  
(قصة حياة القنبلة)

Gierard Degroot  
Jonathan Cape, 2004, 397PP, £18 99



كان للرئيس الأمريكي الراحل ريتشارد نيكسون مقولة مشهورة حيث قال يوماً خلال زيارته للولايات المتحدة استطاع أن ألهم في مكتب وأرفع مساعداً المليوفين واصدر أمراً بإسقاط قنبلة على منطقة معينة وخلال ٢٥ دقيقة هفت سميوت ٧٠ مليون نسمة. وقد كان هذا التصريح مريباً لكن الرئيس الذي يحيط بالقنبلة النووية تحديداً لا زال قائماً.

العالم كان سيئاً، فقد ترك المذبح تحدث وهو يتفرج ثم تدخل بعد قوات الأوان. وهذا الكتاب يركز على مسألة شخص عمل مترجماً للمفلس خلال سنوات الحرب وتحول إلى صديق مهميم. يقول المؤلف إن هذا الشخص ولد في المدينة الخفا والزم الخفا. إن أهمية هذا الشخص هي أنه بالإضافة إلى كونه مترجماً إلا أنه كان يحصل على مواعيد لإجراء محادثات مع الرئيس البوسني وقد نجح في تكوين صداقات كثيرة مع الصحفيين العربيين الذين كانوا يعطون الحرب، وفي خلال قصة حياته خلال سنوات الحرب، فإن القارئ يتعرف بشكل متير على تراجيديا سنوات الجنون في البوسنة.

**Judgement Day: The Trial of Slobodan Milosevic**  
(محكمة سلوبودان ميلوسيفيتش)  
Chris Stephan  
Atlantic Books, 2004, 420PP.  
£14.44



مؤلف الكتاب صحفي تابع في قرب محكمة الرئيس اليوجوسلافي السابق سلوبودان ميلوسيفيتش في لاهاي. وقد قام بتوثيق المحاكمة وجمع المعلومات عن سير محاكمة ميلوسيفيتش التي لم تنته بعد.

والكتاب مليء بالتفاصيل عن محاكمة ميلوسيفيتش وموظف وزارات الخارجية في الدول العربية، للرئيسية الأمريكية أنه يحتوي على تفاصيل عن كيفية عمل المحكمة وسير أعمال محاكمة السجين رقم ١٠١٩٨٠ وهو سلوبودان ميلوسيفيتش.

ويتخذ المؤلف موقفاً مبدئياً ضد ميلوسيفيتش ويورد الكثير من الاتهامات ضد.

الأمر الذي يوحى للقارئ بأنه بالفعل جرت المحاكمة بل هناك إدانة في النهاية لميلوسيفيتش. الأمر الذي جعل بعض الخبراء يقولون إن المؤلف بد في كتابه كما لو كان قد استنقذ الأحداث لأن هناك من يقول إن المحاكمة قد تصل في نهاية المطاف إلى تسوية ميلوسيفيتش ليس لأنه غير مذنب ولكن لعدم كفاية الأدلة.

السلطات فإن امتدادات سياسي بارز مثل بايرون تزياب، سلطات الرئاسة على حساب السلطات الأخرى تستحق الاهتمام. وكذلك آراء المحكمة العليا، فهي شهر يوليو الماضي عارض 8 قضية في المحكمة بما يقرب الإجماع اصداء إدارة بوش بأنه باسم محاورة الإرباب فإن الرئيس يمكنه أن يجرم مواطنين أميركيين من حقوق أساسية نص عليها الدستور.

ويلاحظ أن من الناقد أن تصدر المحكمة العليا مثل هذا التوجيه لسلطة رئاسية خاصة فيما يتعلق بإحدى الحريات المدنية.

ويقول المؤلف منكراً إدارة بوش بأن الأسس للحرية الأمريكية هو حظر قيام السلطة التنفيذية بإبداء شخص ما السجن إلى أجل غير مسمى دون توجيه أي اتهام ضده.

ويوجه السيناتور بايرون سهام نقدته كذلك إلى المؤسسة السياسية الأمريكية التي قضت فيه سنوات طويلة من حياته. ويشير إلى أن الكونجرس بدأ منذ ١١ سبتمبر غير راغب أو قادر على تأكيد سلطته وتراجع وتعرضت حركته للشلل تقريباً مقابل سلطة رئاسية تتشغل على سلطته. ويعد السيناتور مثالاً على ذلك أوضح من الحرب على العراق، ففي أكتوبر ٢٠٠٢ كان غالبية الأعضاء متحمسين لإعطاء بوش حرية كاملة على استخدام القوات المسلحة الأمريكية بالطريقة التي يراها ضرورية وفي هذا حسب المؤلف فشل من الكونجرس عن سلطته الدستورية مما يمثل حالة غير مسبوقة في الضعف التقيد.

**The Fixer: A Story from Sarajevo**  
(قصة من سراييفو)  
Joe Sacco  
Jonathan Cape, 2004, 112PP.  
£12.99



مارال العالم لم يستوعب حتى الآن كارثة حرب البوسنة التي وقعت قبل حوالي ١٠ سنوات. ما حدث في هذا الجزء من أوروبا من تطهير عرقي وتدمير بيوت واعتصام وتعذيب ومحاولات للقضاء على الهوية الإسلامية في هذه الحالة، من الصعب أن نجد له تفسيراً بسيطاً ثم إن رد فعل

ما يملك في شراء أسهم تكنولوجيا وبداً من أن يحصل على المليون دولار والمطلوبة خسرو ٩٠٠ ألف دولار، وعندما قرر أن يضع كتاباً يمكن فيه قصته ربما يستطيع أن خلال مبيعات الكتاب أن يعوض خسارته. والكتاب مشوق ومكتوب بشكل جيد وعبارة واضحة سلسلة. لكن المؤلف لا يوصح لقارئه بشكل منطقي وعلمي سبب خسارته لماله.

**Losing America.. Confronting Areckless and Arrogant Presidency**  
(أمريكا الخاسرة.. مواجهة رئاسة طائشة ومغرورة)  
Robert C. Byrd  
Norton, 2004, 263PP. \$19.95



عندما غادر بنيامين فرانكلين مكان اجتماع المؤتمر الدستوري الأمريكي عام ١٧٨٧ سأل أحد معجبيه، د. فرانكلين، ماذا أمانتنا؟ فالتفت فرانكلين إلى السائل وقال، يا صبيحكم جمهوريتي، إذا عظمتم عليها، وبعد ٢١٧ عاماً مازالت الولايات المتحدة تخلص من أجل نقاء هذه الجمهورية كما أرادها الآباء المؤسسون، وطبقاً للمؤلف هذا الكاتب روبرت بايرون وهو السيناتور البارز من ولاية ويست فرجينيا، فإن الأمريكيين يخسرون معركة الحفاظ على الجمهورية منذ ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

ويقول إنه تحت رئاسة جورج بوش زلت التهديدات التي يواجهها الدستور ويستطرد قائلاً، لم أر في حياتي رئيساً خطيراً كما هو الأمر مع بوش.

ويعد المؤلف السيناتور نواحي الاعتداء على الأسس الدستورية في الولايات المتحدة فمن التحدي على الحريات المدنية إلى الهجوم على الكونجرس ثم فرض أحد أنواع السرية على أعمال الحكومة وكذلك انتكاس عظمية الحرب الاستباقية.

ويحذر الكتاب من عواقب وجود رئاسة أمريكية طائشة ومغرورة. وينقل عن أحد المؤرخين قوله، «من سوف يقيم من جديد أعمدة الحرية الدستورية المؤسسة جيداً، إذا سقطت تلك الأعمدة فإن برقعها أحد بعد ذلك».

ولأن الجمهورية الأمريكية تعتمد على نظام سياسي قائم على التوازن بين

**Kate Rememberd: Katharine Hepburn, A Personal**  
Ascot Berg  
Pocket Books, 2004, £ 7.99



عندما قبل مؤلف الكتاب تكليماً ناكثاً من النجمة الطليعة كاترين هيبورن لم يكن يتخيل أن إجراء مقابلة معها سيبتذل إلى قصة صداقة استمرت ٢٠ عاماً وأدت حتى توفيت هذه النجمة. ولأن المؤلف يعرف موضوعه جيداً فإنه يغمس في أعماق شخصية كاترين هيبورن وعلاقتها بالوسط الفني وأدوارها السينمائية الشهيرة وكذلك سر الشخصية الأسرة والكاريزمية التي كانت تتمتع بها هيبورن. ويحتوي الكتاب على أسرار ولحظات حميمة لا يعرفها سوى شخص اقرب بكثير من الشخصية التي يكتب عنها وعلى سبيل المثال يصف المؤلف بشكل ساخر وكوميدي اللبلة التي جاء فيها مايكل جاكسون للقاء مع كاترين هيبورن لكنه جلس أمام الباب وكتب رسالة إليها يكاد يستجدي فيها هيبورن بأن تفتح عليها كاتكان.

**American Sucker**  
(مغفل أمريكي)

David Denby  
Viking Penguin, 2004, 337PP.  
£12.99



ديفيد دينبي مؤلف هذا الكتاب نافذ سينمائي مجلة النيويورك في عام ١٩٩٩ أبلغته زوجته الروائية أن رواجهما انتهى وكان لهما ولدان مراهقان وكذلك شقة واسعة في حي مانهاتن في نيويورك. وقد قرر دينبي أن يشتري نصيب ممتلكته من الشقة، ولكن يحصل على ذلك، كما عليه أن يدفع مليون دولار، فعندما يفعل ويعد دينبي أن أسرع وسيلة لتلك التي الاستثمار في أسهم التكنولوجيا التي قال الخبراء إنها سرعته الريح بشكل قياسي لسوء حظ، قرر المؤلف أن يدفع

## كتب فرنسية

### la memoire et pour la paix

(عربي أمام أوشفيتز: معركة أميل شوفاني من أجل التاريخ ومن أجل السلام)  
Jean moultiapa  
Ed albin michel, 19 euros



يلقي هذا الكتاب الوثائقي الضوء على المبادرة الجريئة التي قام بها أميل شوفاني عام 2004، في أوج الانتفاضة الفلسطينية الشامية والتمتع بالوقت الإسرائيلي في الشرق الأوسط، عندما قرر شوفاني تنظيم رحلة يهودية عربية مشتركة إلى معتقل أوشفيتز الذي كان أحد أهم مناطق المحارق النازية لليهود كما يقولون.

أطلق شوفاني على هذه الرحلة لقب «مذكرة للسلام»، وضمت ما يقرب من 500 فرد، جاءوا من إسرائيل وفرنسا وبلجيكا، مسلمين ومسيحيين ويهود وعلّيجين، وتبع المؤلف مراحل هذه المفارقة التي سعى فيها شوفاني إلى تجاوز العديد من العصب، والأساليب التي اتبعتها لتقليل العداء المتبادلة بين اليهود والعرب، مركزاً على الصور الجديدة لعائلة السامية في أوروبا، ومؤكد في كل خطوة يحطوها على أن الرضا الغنيب لاخر، هو العصر الطرقي لتدمير العالم كله.

### Dieu et la science

(الله والعلم)  
Jean gunton et igor bogdanov/Ed. L.g.f. livre de poche, 6 euros



هل تلاشت تلك الصوارق الغدبية بين العلم والإيمان مع بدايات القرن الحادي والعشرين؟ هل صار الإيمان بالغيبات وسيلة جديدة لتفسير العديد من ظواهر الكون المعاصرة دون أن يتناهى ذلك مع المنطق العلمي السليم؟ يراهن المؤلفان في هذا الكتاب على وجود عدة مماثل بسيطة لم يستطع العلم جمعها بدقة حتى الآن، ومنها مثلاً، من أين بدأ

مجرد إنقاء نظره أكثر عمقا على الممارسات الدينية الإسلامية تؤكد على إرث المرأة لا يمكنها المشاركة في الحياة الدينية والاجتماعية فحسب، وإنما يمكنها أيضا أن تتولى مواقع السلطة.

لقد جاء هذا الكتاب كتمرة لتحريه المؤلفة، أستاذة العلوم الإنسانية والمتخصصة في الشؤون الإسلامية في الوسط المعاصرة، بعدما قررت أن تقوم بإجراء تحقيق ميداني هي 5 بلاد في آسيا الصغرى في مرحلة ما بعد السيطرة السوفيتية عليها، وهي بلاد أوزبكستان وكازاخستان وطاجيكستان وتركمانستان وكيرغيزستان. تلخص في النهاية إلى أن بلدان آسيا الوسطى تمثل نموذجا للبلدان التي تنهزم مكانة المرأة الحقيقية في الإسلام.

### les agha khan

(ملوك أخاخان)  
yann kerlau  
ed.perrin, 22 euros



من مازيس إلى نيويورك، ومن جنوب إفريقيا وحتى الهند وباكستان، استمتحت الإمبراطورية القديمة لملوك أخاخان الذين تبحروا أصولهم من فارس القديمة، أما إمبراطوريتهم الحديثة فتناحرت ما بين أمار البترول والنفاد الكبير، بينما تنتشر أراضيهم المقدسة في تشرانيا وباكستان ومصر وسوريا وسنغافورة والهند.

إن هناك أكثر من 25 مليون شخص على امتداد القارات الخمس، يدينون بالولاء لأسرة أخاخان التي يقال إنها تتحد من نسل الرسول، هؤلاء الأفراد يقدسون وجهها محتفيا للإسلام، هم الذين يمثلون مزيحا من عدة ثقافات ويشكلون بومرغ ثقافة بلا وطن، يرتطمون بأكثر العاثلات نفوذا وثراء في أوروبا كلها، ويلقى الكتاب مزيداً من الضوء على شخصية كريم أخاخان، الأسام التاسع والأربعين لسلطنة الأسماهيولين

Un arabe face a Auschwitz: le combat d'emile shoufani pour

### Mozart, la lumière du dieu

(موتسارت، نور الرب)  
Mildred clory  
Ed Gerard waralet Pygmalion, 22 euros

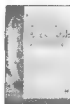


كانت للحظات التي أمضتها المؤلفة ميلديرد كلوري مع الموسيقار العالمي وموتسارت، حفزها الحرب إلى الأساطير. لست فيها طريق عبقريته الذي كان يحرقه هو أحياناً، وعرفت عنه أكثر معتقداته رسوخاً وعمقا، تدفقت حسن السخرية لديه، ورائه بكل تناقضاته وقصص حبه المثالية، وكل مراحل ارتفاعه بدائه وارتفاعه بموسيقاه، شاعرت معه لحاظاته التي لا تحصى بالخاص لا يعرفهم من خلال رحلاته العديدة، وكل ما صادف فيها من انكسارات والتضاربات.

وسمعت ميلديرد في كتابها صورة شديدة التعقيد، والثناء لذلك المؤلف الموسيقي الأسطوري الذي ذرع عنه كثير من الأدباء والمفكرين ذروة الإنسان وحولوه إلى مجرد آلة تصدر أصواتاً موسيقية لا يمكن أن تصدر من بشر. فجاء كتاب ميلديرد أحدث محاولة لرسم عبقريته مؤسرات وملامحها المثقلة، التي تضم كل تناقضات معصها الإنسانية.

femmes d'autorite dans l'asie centrale contemporaine  
(نساء السلطة في آسيا الوسطى المعاصرة)

habiba fathi  
ed.marionneuve et larose, 26 euros



ترسم المؤلفة في ذلك الكتاب صورة ناقصة لا يتصوره الناس عن مكانة المرأة في الإسلام، فهي تؤكد أنه، على العكس مما يتصوره كثيرون من أن المرأة المسلمة تحتل مكانة متدنية في الدين، إلا أن

الكون؟ ما هو الحقيقي فيه؟ ما هي العلاقة بين العلم وبين الواقع والوعي؟ إن الإجابة على كل هذه الاسئلة تقود أحياناً إلى التسليم بأن ما هو غيبى يمكن أن يصبح جزءاً من العلم، وإن ما هو غير مادي وغير محسوس يمكن أن يصبح جزءاً من قوانين الفيزياء (إلا لم يكن هناك غيره لتفسير الظواهر المعاصرة في الكون).

ولذلك في نقطة البداية الحقيقية التي يمكن أن ينطلق منها أي حوار معاصر بين المتدينين والعلماء، وهو الحوار الذي يدعو إليه المؤلفان بكتابهما، على اعتبار أنه ليس مجرد حوار فكري، ولكنه محطة محورية لتبادل الآراء، حول مسألة تحدد ماهية الإنسان، وسوقه الحقيقي في هذا الكون.

### Maghreb, la democratie impossible

(المغرب، الديمقراطية المستحيلة)  
Pierre vermeren  
Ed Fayard, 22 euros



يحاول المؤلف أن يرد على تساؤل هل من الممكن أن تجد الديمقراطية طريقها إلى الثور في المغرب العربي، وسط التهديدات التي يطرؤها التطرف الإسلامي والسلطة الحاكمة؟ يرى المؤلف أن المغرب العربي يمثل العرب بالنسبة للعالم العربي بينما يمثل الشرق الأدنى بالنسبة للفرنسيين. هذا قريناً عند القيام بتحديد موقعه الجغرافي، بعيداً عن محاولات فهم أو تعريه

ويرسم المؤلف بدقة ملامح دول المغرب العربي الثلاث من خلال كل الصراعات التي صيرته على مدى 30 قرناً من الزمان، محاولاً بذلك أن يستشرف الواقع الذي يمكن أن يحتله كل من الجزائر والمغرب وتونس في المستقبل، وفقاً للدور الذي ستريسه لها قوى العالم الكبرى المقبلة. ويرى المؤلف في كتابه أن مفاهيم الديمقراطية الأمريكية لا تتلاقى مع مثيلاتها العربية أو الأوروبية، حيث ترى النخبة العربية المحافظة الجديدة في المنطق أن هذه المفاهيم كلها أمور لا يمكن تقبلها، لأنها تهدد امتيازاتها وحرثاتها الأساسية من وجهة نظر المؤلف.



## سيناريوهات أمريكية للشرق الأوسط عام ٢٠١٥

الاستخبارات القومية التابع للـ سي. آي. آيه عن مستقبل الشرق الأوسط خاصة أن متفادي هجمات سبتمبر الإرهابية التسعة عشر ينتمون - جميعاً - إلى هذا الشرق الأوسط.

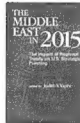
طرح السؤال كالتالي: ماذا سيكون حال الشرق الأوسط بعد حوالي عشر سنوات؟ واجبات الإجابة مكونة من اثني عشر فصلاً. أو بالأحرى ورقة بحثية - تتناول الجزائر والمغرب ومصر وإسرائيل وفلسطين وإيران والعراق ودول الخليج بالإضافة إلى فلسطين عن السيطرة على انتشار الأسلحة في الشرق الأوسط والعلاقات التركية الإسرائيلية.

تقول جوديث باي أن العمل بدأ في هذا الكتاب عام ١٩٩٩ أي قبل أحداث سبتمبر بعامين. ورغم ذلك لم يتعرض أي من المؤرخين إلى الشرق الأوسط كـ مصدراً أو مصدر للإرهاب في أمريكا/العالم. كما يعتبر الفصل الثامن المخصص لبحث مستقبل العراق دليلاً آخر يهدم أسطورة كتاب الحقائق التي لا تكاد ترحم ثيرتيا شديدة الثقة بنفسها فقرة واحدة من الكتاب كله؛ لغشواً الفصل: الورقة البحثية، «العراق، هل هناك صدام آخر في الأفق؟» مراوغة حيث يتوقع الخبراء أن العراق مساحة أكبر كما يتوقع أن يحدث في الشرق الأوسط في وقتاً قريباً من العراق - ووجوده وفقاً لـ «ميداء داوودية» - ووجوده وفقاً لـ مؤلفي الفصل. يركز الفصل بدلاً من ذلك على العراق عام ٢٠٠٠ (سنة تأليف الورقة البحثية) متناولاً بالتجارب أمورا اكتشفت بها الكتب والمؤتمرات مثل الظروف التي أحاطت بسيطرة صدام حسين على السلطة في العراق في السبعينيات وخلفيته عن حزب البعث العراقي وطبيعة التكوين الديموقراطي للعراق - إلى - رأي داوودية ويافى أن صدام سيطر على السلطة حتى عام ٢٠١٥ وهذا مستنقل السلطة إلى ابنه قصصى. هذا الطرح أضيق فقط. بطبيعة الحال - في كتاب يتحدث عن المستقبل السياسي لدولة من دول الشرق الأوسط بعد أن اقتضيت الولايات المتحدة نفسها عقائد السلطة من بين حكامها وقتلت قواتها أو قوات حلفائها ابنها!

تبدأ بإحدى مقدمة الكتاب بالحديث عن نظرية الأمريكيين «القرية» (الرثاء) إلى الشرق الأوسط شعوباً وحكومات التي تختلج دول الضعاف السياسيها إلى دول صغيرة غنية بالثروات (النفط غالباً) وفقرية في الموارد البشرية، ودول كبيرة غنية بالموارد البشرية وفقرية في الموارد الطبيعية، الحاكم في هذه الدول رجل تقليدي «يتخبط» بالاجتماع من أسرته أو قبيلته أو حزبه. يعاني هذا

The Middle East in 2015: The Impact of Regional Trends on U.S. Strategic Planning

(الشرق الأوسط عام ٢٠١٥)  
Judith Yaphe (editor)  
Washington D.C. National  
Defense University Press, 2002



إذا كان المثل الشعبي لدينا يقول، «الجواب ببيان من عنوانه»، فيمكننا سحب هذا الكلام على الكتاب لنقول إن الكتاب ببيان من عنوانه، أيضاً. عنوان الكتاب، «الشرق الأوسط عام ٢٠١٥، مع عنوان آخر: افترق السيناريوهات الإقليمية على التخطيط الاستراتيجي الأمريكي». تعمل مصورة الكتاب، جوديث إس. يافى، لأن كاستلدا باحثاً ومديرة لمشروع الشرق الأوسط في معهد الدراسات الاستراتيجية الأمريكية بجامعة الدفاع القومي الأمريكي، كما عملت أيضاً كحليلة سياسية بـ مكتب الشرق الأدنى وجنوب آسيا التابع لوزارة الاستخبارات الأمريكية (سي. آي. آيه). الاستنتاج الأول الذي لابد أن يتصرف إليه ذهنه هو أن موضوع الكتاب ينتمي إلى التخصص الدقيق لخدمة الكتاب. هذا أمر له دلالات متعددة أسطهها. أو لعله أوضحها. الإيهام بأن ما يكرهه هذا الكتاب هو الحقيقة، ليتحول بذلك من مجرد كتاب في المستقبلات أو تنبؤات يصيب أصحابها حيناً ويخطئون حيناً آخر إلى كتاب حقائق. Factbook يتناول ما سيكون عليه الشرق الأوسط بعد حوالي عشر أو أكثر من الزمان.

شكر هذا الكتاب ضمن أدبيات الحرب على الإرهاب، ليتلجج الحرب التي شنتها الولايات المتحدة في أعقاب الهجمات الإرهابية التي استهدفت برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك ومبنى وزارة الدفاع (البناتاجون) وراح ضحيتها أكثر من ثلاثة آلاف شخص لتفسير أصابع الاستخبارات (إلى أن تنظيم القاعدة زعماءه بالتشكيك في بلاد - كانت إدارة بوش الابن قد جعلت من الحرب على الإرهاب، كما يطلق عليها أهم أهدافها الاستراتيجية بل وفي أعلى القائمة في أجندة السياسة الخارجية، ضمن البسيهي أن يتساءل مجلس

الإقليمية وبالتالي في التخطيط الاستراتيجي الأمريكي. يأتي هذا الطرح من خلال توقع ميل الشباب الإسرائيلي (خاصة المهاجرين الروس) إلى تحقيق المكاسب الاقتصادية بدلاً من الصراع على الأرض. إلا أن جهود السلام التي يبذلها الفلسطينيون المحتلون واليهود المهيروين يمكن أن تتحطم على صخرة التطرف من كلا الجانبين.

بالنسبة لدول الخليج، فإنها ستظل تعتمد على موارد النفط والغاز الطبيعي. من الطبيعي أن يرمس الشباب الخليجي - وفقاً لرؤية الكتاب - نظريته لمستقبل من خلال الاستفادة من عوائد النفط. سيطر على الدول الخليجية اتجاه نحو زيادة عدد السكان مما سيؤدي عام ٢٠١٥ إلى زيادة معدل المواليد. وتوقع الشباب الخليجي - أن يظل الخليجيون بفترة ما قبل ظهور النفط وجعل الشباب العراقي بمرحلة ما قبل صدام واليهود الإسرائيلي ما قبل اندلاع الثورة الإسلامية. إلى ضعف الرؤية السياسية وزيادة الشعور بالباط.

التغير ضمن حتمياً في إيران ٢٠١٥، ولن يشكل التوجه المعتدل في السياسة الخارجية والدفاعية الإيرانية أي تهديد إذا استمر في المستقبل على المصالح الأمريكية في المنطقة. الوضع الأمثل للعلاقات الأمريكية الإيرانية هو التعاون البناء خاصة في ظل سيطرة الصادقين على مقادير السلطة في العقد القادم إلى جانب زيادة التعاون السياسي مع أوروبا. أما في الفصل المخصص لمناقشة العلاقات التركية الإسرائيلية، فيرى آلان ماكوفسكي أن ورغم وصف تلك العلاقات بأنها «استراتيجية» أكثر من وصفها «بالتحالف» فإنه يتوقع أنها لا تجاوز نطاق الخلاف الاستراتيجية خاصة قضية الخلاف وتقسيم العراق والعلاقات مع إيران، سوف تعتبر نموذجاً يتحدى في لباقي دول الشرق الأوسط في ظل سلام وتطبيع شامل مع إسرائيل. على جانب تعبيره عن توقعات كتاب ويأخذه لهم وزنه، فإن هذا الكتاب لا يجب قراءته إلا من مصدر المعلومات عن الوضع الراهن أو التوقع في الشرق الأوسط. أكثر من قراءته ككاشف من العقل الأمريكي في نوية الليبرالي المحافظ الجديد.

علاء الدين محمد عبد الرحمن

## الجيل المشدود

وتقول الأرقام الصادمة لتعابري الطريق أن "الحرب في العراق كلفت دافعي الضرائب الأميركيين مبلغ ١٣٢ ٥ مليار دولار حتى الآن، ويزداد هذا الرقم بمعدل ١٧٧ مليون دولار يوميا و ٢٢٢ ٨٢٠ دولار في الدقيقة، وانتخابات نوفمبر الأميركية، رغم حقيقة أن لا مجالاً فكرياً للتناقص، ستسبب حتماً في ظلال ما يحدث في العراق، فرغم حقيقة أن العراقيين يذهبون للرئاسة على الانترنت، كما قال مانشتيت في جريدة أمريكية قبل أسابيع، إلا أن المتناوذين لا يستطيعون أن يدافع أمام الناخب الأمريكي عن سلوكيات جنوده في سجن أبو غريب، كما أنه ورغم حاجة يوش الانتخابية الماسة لأن يستقر الوضع فوراً في العراق "الحرب"، إلا أن العنف المفرط في قمع الانتفاضات شعبة يبقى مبركاً إعلامياً، خاصة إذا طال مد العنف الطائفة الشيعية التي طالما هال الأميركي أنها عانت أيام صدام.

ماذا يفعل الأمريكيون؟ تبقى كل الخيارات مرة حتى وإن كان الضرب بـ"يد علوى الحديدية"، فالخسعة لا تلتصق طوال الوقت على الجميع، كما يقول المثل المعروف. وعملنا السابق أفضى على ما بقي من أهدافنا الخيرة في العراق، كما قالت النيويورك الأمريكية في افتتاحيتها قبل أسابيع



العرب أيضاً، بدا وكأن الزلزال العراقي - رغم أنه كان متوقلاً - أصابهم بالصدمة، والصدمة يحكم طبيعتها تؤدي إلى حالة من عدم الاتزان... فالخيرة والأولئك، ثم وبعد أن تبين للجميع - ورغم الأمنيات - بأن حدثت حرب داخل الوطن لا يفيش من حق شعبنا، راجع تصريحات زعماء عرب قبل اجتياح العراق بأن لديهم تأكيدات أمريكية بأن واشنطن لن تفعلها (١)، (٢) وبأن العرب لم ينجسوا لديهم بدماء يهوديين؛

١. القصة هي انتظار ما لا يأتي، أو يتوهم أن، ليس لنا علاقة.

٢. التحذير بين التحريض والتشديد، تقريبا بكل ما له علاقة، راجع نشرات الأخبار في الإذاعة، الرسمية، العربية... لاحظ تصارب الأوصاف والمواقف، فالقوات الأمريكية متلا في قوات الاحتلال، في فترة الاحتلال، في فترة الاحتلال، في فترة الظهور... "مستعدة للجنسية"، في فترة الهدوء... ربما، ولا أبالغ، تصبح الشرطة العراقية، للصومعة، في مزيج متشعب للثورة.

وصار الحرف غربياً وصعباً، فالدنيا لا يطيقون، أو لا يريدون، ولذلك منطقته، الحل الزلزالي أو الصدري، بات وكأن ليس أمامهم غير الترحيب، أو على الأقل الرضا - وإن هي خضعت، بالأحتلال، والفاهين القاديين في ظلال مدافعه، وألهم من ذلك اعتماد صيغة الشرط الأمريكي... ولم يكن ذلك بأي المقاييس سهلاً.

حاول العرب إذن، حكوماتهم، بل وبعض مفكرهم، أن يلجؤوا بحكمة الصمت أو أن يختاروا وسط جلبة الزعيق والصراع والصخب، ولكن إن كان الحريق على الأبواب لم يكن الصمت لينفع... وإن كان حكمه، ولا الصراع... وإن كان شكوى أو حاسة، هذا وقت الخيارات الصعبة، والتوازن الدقيقة، وأسألو رجال الإنفاذ، أو لأبي السيرت.

حتى المواطنين العدائين لم ينجحوا من لعنة الجيل المشدود فوق الجميع، بعد أن اختلصت المعايير، وغامت الروى وفقدت اللغة معانيها التي استقرت عليها لآلرون، فضاعت، أو كانت، المسافات الفاصلة بين "التحرير" والاحتلال... و"المقاومة" والترويع، (يسمونه رغم أنه اللغة، إلهاباً، بعد أن أصبحت للفظ، رغم ألف اللغة مرة أخرى - الجريئة الأولى التي تيجع كل "الجرائم" الاستيطانية).

فالدنيا يقفون، مهددين، ضد الاحتلال وما يترتب على باطله، وجدوا أنفسهم وكأنما هم يدافعون عن التفتيرات الضوئية ومسلمات الذئب "الحرب" التي ارتكبتها، بعد أن استباحوا حرب الصدمة والترويع فائقة العنف والجبروت كل الحرمات، وبعد أن حرقت القضايل الذكية الأرض لكل بذور الفتنة والعنف.



الحاصل أن العراق، الذي هو مهياً أصلاً، بحكم تاريخه وجغرافيته وتاريخه، للانفجار، اشتدته قبل الثوران، وبدا وكأنما أمام كومة من القمم تراكتت عبر سنوات من كبت الانفجار، الصاعق، وظلم الحصار الأمريكي، ثم كان أن أشعل أحدهم، متفطرًا بوقته متباهياً بسطوته المتفرقة، عود القناب الأرضي في كومة القش العالمية على بحر من النفط، فكان ما كان، ويتنا جميعاً تراقص، أو تتوازن، على الجيل المشدود، ولا عزاء له بقع.

## أيمن الصياد

ربما كانت السياسة، بالتعريف، هي فن اللعب بالمتناقضات أو الصياحة: أماناً، بهنأ، ولكن لعناتها لم تكن يوماً كما تراها اليوم في العراق أو بسببه، حيلاً مشدودة، فوق الجميع، فالجميع: حكاماً ومحكومين، ساسة ومسوسين، متوطنين ومتفرجين، قريبين أو بعيدين، مجاورين أو على الطرف الآخر من العالم، سيرون مرغمين على حيل الدول المشدود... أملاً في ألا يمتلأوا بنزارة، أو يتألمهم بعض من شرده. هكذا الحال في "دول الجوار"... العراقي هذه المرة، بعد أن كان للشفعة معنى آخر لعقود، وهكذا في دور رغبت أن تصبح في معية سيد العالم الجديد، فقفزت في وجه حكوماتها أسئلة العراق الصعبة، مع تزايد حالات الاختطاف وإجراجات مطالب الخاطفين، وهكذا الحال حتى داخل العراق نفسه: حكومة الوفاق، وجنود جيشه المتمركزون في معسكرات تدريب تابعة، لمن كنا نحاربهم عدوا غازياً قبل عام... الله، وسأستعزوهم الولاء طائفاً وحزبياً ومثاليّاً... وبالطبع مقاومة متعدده الأهداف والالتزامات... والحسابات، وليل كل ذلك مواطنوه، الذين انتهكتهم سنوات القمع والحصار... والحروب، والذين يبحثون عن طريق مستقبلهم بين تجاذبات ماضٍ مستبد وحاضر محتل.



حكومة (المحل)، الوفاق، والتي يرى كثيرون أنها الموحدة الوحيد، المتاح، لولادة عراق جديد، يعطون منها أن تثبت أن العراق يستطيع أن يحكم نفسه، وهو أمر لو انصهوا لا يحتاج إلى إثبات في بلد كان هو الذي اخترع القانون قبل آلاف السنين، والإثبات حال طابيه يعني ابتداء بسط الأمن، وهي مهمة إن جازها أنها في بلد محتل، تسير حتماً على جيل مشدود، تتجاذبت شريعتان: شرعية الحكم، وشرعية المقاومة، وكذلك حال المقاومة، على اختلاف أطرافها وأهدافها، والصدور أبرز رموزهم، تتجاذب في ناحية تقاضاها الحوزة القاضية بالابتعاد عن العمل السياسي المباشر، ومن ناحية أخرى إرثه... وتجواب الكثيرون مع خطابه المناهض للاحتلال، ومايها أمانه من طريق للمقاومة، ولكنه بالضرورة يعرف أن طريقه هذا مأهول إلا جيل مشدود عليه أن انتهجه أن يوزن ويروز أقوى المرجح على ناحية، وسفكرة قانونية يحكمه من ناحية أخرى، وسألا ربما تسلم إلى عقول بعض أتباعه عن الإبراهيم والوليد.

وهكذا حال الشبهة، القوة الأولى في العراق، ساسة ومرجعيات وأتباعاً ومقلدين... تتجاذبهم جميعاً على "الجيل المشدود"، أحلام وحقائق على الأرض، ففي الأفق يبدو بارغا حلم لم يكن بالمشدود أبداً أيام صدام، أن تصبح لهم، الفلبية، التي تعكس ما يراجون به في الظلم، أو لا، أغلبية، عديدة، فليس الحكومة، "جاء منهم، رغم أن أكثرهم يرون اليوم أن تاريخ مائتة، ويتفاخرون، رغم أن حقيقة أنه الوجه المسمى الأول لصدام، وعن حقيقة أنه لم يكن ليتوهم عن نفسه، شره فراقهم، كما قال بذلك صراحة وزير دفاعه متكرراً، وإن لم يطق، بما جرى لتمرد الشيعة على يد جيش صدام عشية حرب الكويت (١٩٩١).

على الجيل المشدود يعض السيساتيين، المرجع، الأعلى، إلى لندن، مريضاً أو متمازراً أو متفاهماً... لا بهم، ولكنه في جميع الأحوال، منتهمة، حتى بعد أن الثوران استطلو طرف عيابه في المدينة القديمة، فكان لابد من العودة إلى القضاة الذين تقول فيها عودته أنه لا يخبره... صادراً على حسم ما يمر جرح الصدر ولا دعاء علوى إلى القوة الأمريكية الطاغية على حسمه... جندة بحكمة السبعين، بعت "السيد"، من خلف لعنة البيضاء والفوز برسالة - إلى من يهيمه الأمر.

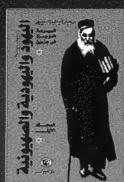
على الجيل المشدود، ذاته بعض ساسة الشيعة، في العراق، تتجاذبهم رغبة في إنهاء التيار الصدري، الذي يرون استحالة ترويضه، ولكنهم في نفس الوقت لا يستطيعون إغفال أن نازير شحس، سالم بتمرد، كما هو أبوا، أو إعتاقه، رغم الشيعة وزنا أكبر من العدالة العراقية التي يتم موعها، وأنه في اللحظات، للنجاة، كما في العراق، تصبح للزاد أهميتها ويصبح لإبراز "القتل"، الشمعي دور، ولكن على "الجيل المشدود، ومع حساب كل، التجاذبات، الإقليمية والمحلية يبقى "اللعب بالقتل" مغامرة.

سيرة ساسة الشيعة، لأنهم ساسة، دول، ولأنهم لا يهدفون إلى تحقيق الانقلابات السياسية الطولية يمشون من أي يهدد جرح التيار الصدري (وتوليقيته الخطرة من الفقر واستشهادية العتيدة) بانقلاب على المسرح الشيعي بل العراقي بمرته، مهدداً وهذا بيت القصيدة عند الساسة، مكاسب تبدو مشؤونة عندما يتحجب العراقيون إلى صناديق الاقتراع.

في الطريق إلى صناديق الاقتراع تبدو إدارة بوش الأمريكية تسير على حيل مشدود.

ففي الطريق، وفي وسط ساحة، تايمز سكوير، في نيويورك ينتصب عداد إلكتروني ضخم (ارتفاعه ١٧ متراً) يهدف إلى تسجيل فضات الحرب التي تتزايد يوميا في العراق.

# أحدث الإصدارات من دار الشروق



## تغلب من

دار الشروق ٨٠ شارع سيدي بيه المصري - رابعة العدوية - مدينة نصر تليفون ٤٠٢٣٣٩٩ ومكتبة الشروق ١٠ ميدان طلعت حرب تليفون ٣٩١٢٤٨٠  
ومكتبة الشروق : مبنى فرست أمام حديقة الحيوان ٣٥ ش الجزيرة محل رقم ١٩ تليفون ٥٧٣٥٠٣٥

كما يمكنك شراء الكتب الإلكترونية [www.e-kotob.com](http://www.e-kotob.com)

# ضاعف مدخراتك من خلال

الوثيقة ذات العائد المدفوع مقدماً

الوثيقة ذات العائد المتعدد العملات

وثيقة الأمان



أعلى عائد مع ضمان صرفته  
بالعملات الأجنبية



عائد شهري لمدة ٣ سنوات

وثيقة الإدخار الذهبية



جنيه ذهب لكل ٢٥ ألف جنيه



إدخر وأمن مستقبلك



إصدار بطاقات البنك العربي

وتمتع بإمكانية



الإقراض

اتصل الآن على ١٩١٠٠ / ٣٣١٩٩٢٢

يومياً من ٩ صباحاً حتى ٩ مساءً

www.arabbank.com

البنك العربي

أكبر شبكة مصرفية عربية

